



المركز القومي للدراسات
عالم الطفل



جزيرة الكنز

تأليف: روبرت لويس ستيفنسون
ترجمة: محمد عبد الحافظ ناصف
مراجعة: يسرى إبراهيم



2813

كان قلبي يدق عندما بدأنا تلك المغامرة الخطيرة، تلك الليلة الباردة؛ حيث كان القمر بديراً رغم أنه كان يُرى بصعوبة على الحافة الجنوبية بسبب الضباب، وزاد ذلك من سرعتنا كي نصل، فقد كان كل شيئاً واضحاً قبل أن نبدأ رحلتنا مرة أخرى، كان واضحاً كالنهار ورحلتنا كانت معرضة أن يكتشفها كل المارين، لذا هربنا عبر الأحرار بلا صوت وبسرعة لكي لا يراونا أو يسمعنا أحداً حتى لا يزيد من رعبنا، واصلنا الرحلة ولم نرتاح حتى أغلقنا باب الفندق وراعنا، سحبنا رتاج الباب في الحال ووقفنا للحظات نلهث في الظلام، وجدنا جثة الكابتن في المنزل، أحضرت أُمي شمعة من البهو، أمسكنا أيدي بعضنا البعض ثم تقدمنا، كان الكابتن ممداً كما تركناه على ظهره وعيناه مفتوحتين وإحدى نراعيه كانت مفرودة..

جزيرة الكنز

المركز القومي للترجمة
تأسس في أكتوبر ٢٠٠٦ تحت إشراف: جابر عصفور
مدير المركز: أنور مغيث

سلسلة عالم الطفل
المشرف على السلسلة: يعقوب الشاروني

- العدد: 2813
- جزيرة الكنز
- روبرت لويس ستيفنسون
- محمد عبد الحافظ ناصف
- يصرى إبراهيم
- الطبعة الأولى 2017

هذه ترجمة كتاب:

TREASURE ISLAND

By: Robert Louis Stevenson

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومي للترجمة
شارع الجبلية بالأوبرا- الجزيرة- القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: nctegypt@nctegypt.org Tel: 27354524 Fax: 27354554

جزيرة الكنز

تأليف : روبرت لويس ستيفنسون
ترجمة : محمد عبد الحافظ ناصف
مراجعة : يسرى إبراهيم



بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

ستيفنسون؛ روبرت لويس، ١٨٥٠-١٨٩٤
جزيرة الكنز: تأليف: روبرت لويس ستيفنسون؛ ترجمة: محمد عبد الحافظ
ناصف؛ مراجعة: د/ يسرى إبراهيم
ط ١ - القاهرة: المركز القومى للترجمة، ٢٠١٧
٢٧٢ ص؛ ٢٤ سم
١- القصص الإنجليزية
(أ) ناصف، محمد عبد الحافظ (مترجم)
(أ) إبراهيم، يسرى (مراجع)
(ج) العنوان
٨٢٢

رقم الإيداع ٢٠١٦/٢٥٦١٩
I.S.B.N. 978-977-92-0905-0 الترقيم الدولى
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافتهم، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز.

المحتويات

الجزء الأول (القرصان العجوز)

- ١- البحار العجوز فى فندق الأدميرال بنبو 13
- ٢- الكلب الأسود يظهر ويختفى 21
- ٣- البقعة السوداء 29
- ٤- صندوق البحر 36
- ٥- نهاية الرجل الأعمى 42
- ٦- أوراق القبطان 49

الجزء الثانى (طباخ البحر)

- ٧- سأتذهب لبرستول 59
- ٨- عند علامة جبل النظارة المكبرة 66
- ٩- الأسلحة والذخيرة 73
- ١٠- الرحلة البحرية 81
- ١١- ما سمعته فى صندوق التفاح 88
- ١٢- مجلس الحرب 96

الجزء الثالث (مغامرة الشاطئ)

- ١٣- كيف بدأت مغامرتى الشاطئية 105
- ١٤- أول عاصفة 111
- ١٥- رجل الجزيرة 117

الجزء الرابع (الحصن)

- ١٦- الدكتور يروى الحكاية: كيف هجرت السفينة 127
١٧- الدكتور يروى الحكاية: الرحلة الأخيرة لقارب جولى (القراصنة) 132
١٨- الدكتور يروى الحكاية: نهاية قتال اليوم الأول 138
١٩- جيم يستأنف الحكاية: (الحامية فى الحصن) 144
٢٠- دبلوماسية سيلفر 151
٢١- الهجوم 158

الجزء الخامس (مغامرتى البحرية)

- ٢٢- كيف بدأت مغامرتى البحرية 167
٢٣- بداية المد والجزر 173
٢٤- رحلة الزورق الصغير البحرية 178
٢٥- تنكيس راية القراصنة 184
٢٦- إسرائيل هاندز 190
٢٧- عملة الثمانى 200

الجزء السادس (كابتن سيلفر)

- ٢٨- فى معسكر الأعداء 209
٢٩- البقعة السوداء ثانية 219
٣٠- وعد شرف 227
٣١- اصطياد الكنز.. مؤشر فلنت 235
٣٢- اصطياد الكنز.. الصوت بين الأشجار 243
٣٣- سقوط رئيس العصابة 250
٣٤- الختام (النهاية) 257

إهداء

إلى

إس إل أو S. L. O

الرجل الأمريكي اللطيف.

إلى أصحاب المذاق الكلاسيكي.

الرواية القادمة خُطط لها.

هي الآن عودة للساعات المرحمة السيدة.

كل الأمنيات الطيبة.

المعدة

من صديقه المحب.

المؤلف

إلى المشتري المتردد

لو أن

حكايات البحار

للبحار تغنى

سنجد

العاصفة والمغامرة

تشتعل وتهداً

لو أن المراكب الشراعية والإشارات

والقراصنة والمذهب المدفون

لو الحكايات الرومانسية القديمة تكررت

بنفس طريقته القديمة

سنسعد كما سعد القدماء

وسنرى الشاب الحكيم لزماننا

إذ هى تساقطت علينا

لو أن الشباب الشغوف لم يعد يحن

وشهيته للقديم لم تعد تن

فإن كينج ستون وويلانتين الشجاع(*)

أو كوبر الغابة سيتأرجحون

تلك هي الحكايات وربما حكاياتي أيضا

وكل قراصنتي يشاطروننى الحزن

لأن هؤلاء وكل الخلق يكذبون.

(*) مجموعة من الكتاب الذين كتبوا قصصاً عن البحر، وهم:
كينج ستون (١٨١٤-١٨٨٠) أ. أم بلانتين (١٨٢٥-١٨٩٤)، جيمس كوبر (١٧٨٩-١٨٥١).

الجزء الأول
(القرصان العجوز)

١- البحار العجوز فى فندق الأدميرال بنبو

حين عدنا طلب منى الإقطاعى أسكوير تريلونى والدكتور ليفزى وياقى الرجال الطيبين أن أدون كل شىء عن جزيرة الكنز من البداية للنهاية ولا أترك شيئاً إلا الحديث عن الطرق الموصلة إلى الجزيرة، فبعض الكنز لم يكتشف بعد، حملت قلمى وبدأت الكتابة باهتمام خلال عامى السابع عشر.

رجعت بذاكرتى حين كان والدى مريضاً ومحجوراً بحانة الفندق والبحار العجوز الغامق اللون المصاب بطعنة سيف يقضى أول أيامه تحت سقفتنا، أتذكره وكأنه بالأمس القريب، حين جاء متثاقلاً إلى باب حانتنا وصندوقه الخاص يتبعه فى عربة يد كارو، كان رجلاً طويلاً قوياً ضخماً، بندقى اللون، تتسدل ضفيرة شعره المغطاه بالقار على أكتاف معطفه الأزرق المترب، كانت يده متسختين وأظافره مكسورة وكانت يده مرعوبتين ومنهكتين، كما توجد ندبة على أحد خديه القذر الشاحب، أتذكره ينظر حول الخليج الصغير، ويصفر لنفسه كما كان يفعل ذلك دائماً ويبدأ فى غناء أغنية البحر القديمة.

خمسة عشر بحارا فوق التابوت

ياه، هو، هو، وزجاجة روم

ولما يزداد السكر، يظهر صوت هذا العجوز ملحناً وإيقاعياً رغم أنه كان منكسراً. أطرق على الباب بعضاً قصيرة مثل رافعة حديدية يحملها وحين ظهر والدى طلب بفضافة كأساً من خمر الروم التى أحضرت إليه وبدأ يشربها بتلذذ وتريث كأنه يتنوق طعامها لأول مرة وظل ينظر لأبى وينظر إلى اللافتة وقال بعد فترة:

- هذا خليج ملائم جداً ومكان به إقامة مريحة.. هل لديكم نزلاء كثيرون؟ أخبره أبى أنه لا يأتى إلينا إلا نفر قليل جداً، فكلما زاد العدد من النزلاء زاد الشقاء.

قال العجوز:

- حسناً.. سيكون هذا مضجعى وستكون زميلى!!

وصاح على الرجل الذى يجر العربى الكارو اليد قائلاً:

- أحضر الصندوق هنا بجوارى، سأنزل فى هذا الفندق.

واستمر فى حديثه قائلاً:

- أنا رجل بسيط، كل ما أريده شراب الروم ولحم الخنزير المقدد والبيض وأسكن فى مكان عال لرؤية السفن المغادرة.

وأضاف قائلاً:

- من الممكن أن تدعوننى الكابتن.

- لقد فهمت لماذا تريد أن تسكن فى الطابق الأعلى.. هناك!

ورمى الكابتن بثلاث أو أربع قطع ذهبية على العتبة وقال بقسوة وعنف وكأنه قائد المكان:

- تستطيع أن تخبرنى متى يجب أن أدفع ثانية!

وكان حقاً سيئاً مثل ملابس القذرة وفضلاً حين تكلم، فلم يكن أبداً يملك منظراً لبحار قاد يوماً صارى سفينة لكنه يبدو كمجرد زميل أو ريان اعتاد أن يطاع ولا سيهاجم أو يؤذى من يخالفه.

أخبرنا الرجل الذى جاء بالعربى الكارو اليد أنه وضع البريد أمس الأول عند رويل جورج وأنه سأل كل الحانات التى توجد بطول الشاطئ وأنه سمعنا ونحن نتحدث جيداً، لذا يعتقد أنه اختارنا دون غيرنا للإقامة عندنا دون باقى الحانات.. يبدو أن كل من يأتى من ضيوفنا يقول ذلك وما نستطيع أن نعرفه منهم هو ذلك فقط.

كان الرجل العجوز صامتاً جداً كعادته، يظل يتجول طوال النهار فى الخليج الصغير ويصعد على المنحدرات بتلسكوبه النحاسى الصغير وحين يأتى المساء يجلس فى أحد أركان الردهة أمام النار يشرب شراب الروم بشراسة.

لم يكن الرجل العجوز يتحدث غالبا مع أحد وإذا حدثه أحد ينظر إليه فجأة بغضب وتنتفخ أوداجه وأنفه كصفارة عاصفة، لذا تعلمنا ونزلاء الفندق أن نتركه مع نفسه لا نحدثه أبدا.

كان حين يعود من جولته اليومية، يسألنا إذا كان أحد البحارة قد سلك الطريق الذى يمر أمام الفندق، اعتقدنا فى البداية أنه يسأل رغبة فى رفقة أحد أصحابه الطيبين، ولكننا اكتشفنا أخيرا أنه كان يرغب فى تجنبهم.

فعندما كان يحضر إلينا أحد البحارة فى فندق الأدميرال بنبو - كما كان يفعل من حين لآخر بعض الذين يستخدمون طريق الساحل للذهاب إلى بريستول(*) - كان يراقبه من وراء الستار قبل أن يدخل البهو ويلاحظ أنه يظل صامتا كالفأر حين يحضر أى أحد من هؤلاء البحارة.



طوال اليوم يسير على شاطئ الخليج ويصعد المنحدرات
ومعه تليسكوبه النحاسى

(*) مدينة كبيرة جنوب غرب إنجلترا مشهورة بالتجارة الملاحية.

لم يكن هناك سر بالنسبة لى بشأن ذلك على الأقل، فقد كنت شريكاً فى تحذيراته على أى حال، وذات يوم انحنى بى جانباً ووعدنى بقطعة فضة مقدارها أربعة بنسات فى بداية كل شهر إذا فتحت عيني جيداً لقدم بحار بقدم واحدة وأبلغته لحظة أن يظهر.

ومع قدوم كل شهر أطلبه بالمبلغ الشهري، فيعبر عن استيائه الشديد نافخاً أنفه ومبحلقاً فى بشكل سيئ، لكنه يعود ويفكر جيداً قبل أن ينقضى الأسبوع الأول من الشهر ويحضر القطعة الفضية ذات الأربعة بنسات ويكرر أوامره الحاسمة أن أراقب وصول البحار صاحب القدم الواحدة جيداً.

كيف استطاعت تلك الشخصية البارزة أن تلائمنى فى أحلامى، لن أحتاج أن أحكى لكم، فقد كنت أراها فى الليالى العاصفة عندما تضرب الريح أركان البيت الأربعة وتزأر العواصف عبر الخليج وفوق التلال، كنت أرى تلك الشخصية بألف وجه وآلاف التعبيرات الشيطانية، أراها مقطوعة الساق من عند الركبة، ثم من عند الفخذ، صار الرجل الآن مخلوقاً رهيباً لا يملك إلا ساقاً واحدة تكون فى منتصف جسده، أراه يقفز ويجرى ويطاردنى فوق سياج الأشجار وفى الحفر، ياله من كابوس سيئ كنت أراه، لقد دفعت أعز ما أملك من راحة البال مقابل البنسات الأربعة شهرياً كى أرى تلك الأشكال من الخيالات الشيطانية الكريهة، وبالرغم من أننى كنت مرعوباً من فكرة مقابلة الرجل ذى القدم الواحدة فإننى كنت أقل خوفاً من الكابتن نفسه وعن أى شخص آخر كان يعرفه.

وفى الليالى التى يشرب فيها الكابتن شراب الروم والخمر أكثر مما يستطيع أن يتحمل، يجلس ليغنى أغنيته المفضلة عن البحر، يغنى تلك الأغنية القديمة دون أدنى اعتبار لأحد وأحياناً يدعو أن تنور كؤوس الخمر على الجميع ويجبر رفقاءه المرتعشين أن يستمعوا لقصصه ويردبوا غناءه مثل كورس، فكنت أحياناً أسمع البيت يتمايل حين تأتى فقرة:

يو، هو، هو، وزجاجة روم

كان يشاركه الغناء كل الجيران خوفاً على حياتهم، فيرفع كل واحد صوته تجنباً للملاحظات، فقد كان الأكثر هيمنة وسيطرة على الآخرين أثناء تلك الحالة، فيطرق بيده

سى المائدة كى يصمت الباقيين ويستشيط غضباً لسؤال أحدهم أو لعدم توقفه وسماعه لأوامره، فلا يسمح لأحد أن يغادر الحانة حتى يشمل تماماً ويذهب إلى فراشه.

كانت قصصه من النوعية التى تثير الرعب بين الناس أكثر من غيرها، فقد كانت قصصاً عن الشنق والمشى على الألواح وحكايات البحر وجزر تورتيوجس القاحلة(*) والحملات الشرسة وبعض الأماكن فى عرض البحر الإسباني ويؤكد أنه عاش حياة بين أسوأ بشر خلقهم الله وسمح لهم أن يكونوا فى البحر، لقد صدمت تلك الحكايات أناساً من القرويين البسطاء وخاصة وصفه لتلك الجرائم.

يعتقد أبى أن ذلك سوف يدمر الحانة؛ فالناس توقفت عن الحضور إلينا لإحساسهم أنهم سوف يُظلمون أو يُضطهدون أو يُرسلون إلى سرائرهم وهم مرتعشون مرتجفون، لكنى أعتقد أن حضوره كان جيداً بالنسبة لنا، بالرغم من خوف الناس لبعض الوقت فإنهم - عند عودتهم - يحبون ذلك، فتلك إثارة ممتعة لعالم الريف الهادئ، وكانت هناك مجموعة من الشباب الذين يدعون الإعجاب به ويدعونه البحار الحقيقى والملاح العجوز ويطلقون أسماء أخرى عليه ويقول: إنه من نوعية الرجال الذين يجعلون إنجلترا تنقلب فى عرض البحر.

كان الكابتن دون غيره يدفع الحساب حين يريد ومتى يشاء كى يجبرنا ليستمر أسبوعاً بعد أسبوع وشهراً بعد شهر، لدرجة أن الحصول على تلك الأموال صار أمراً مضمناً وأبى لا يمتلك الشجاعة كى يطلب المزيد من تلك الأموال المتراكمة، وإذا ذكر ذلك له فإن الكابتن يهب بصوت عالٍ وكأنه زئير الأسد، فينسحب أبى من الحجرة عانداً يجر أذيال الخيبة، لقد رأيته يعض يديه بعد رفض وصد الكابتن له، أصبحت متأكداً أن حالة الضيق والرعب التى عاش فيها عجلت بنهايته وموته الحزين.

لم يطرأ على الكابتن أى تغيير طول الوقت الذى عاش فيه معنا، ولا حتى على ملبسه باستثناء بعض الجوارب التى اشتراها من بائع متجول، لدرجة أنه أعاد إصلاح محابس قبعته مرة أخرى رغم أن ذلك سبب له ضيقاً كبيراً حين سقطت.

(*) سبع جزر صغيرة على بعد سبعين ميلاً من كى وست بقلوريد.

أنتذكر جيداً منظر معطفه الذى رقعته بنفسه فى حجرته بطابقه العلوى وصار ذلك هو الشيء الذى لا يفعل غيره، لم يكن يكتب أو يستلم أى رسائل، ولم يكن يتحدث مع أحد إلا جيرانه فقط وكان الشيء الأعظم فعله شراب الروم، كما لم يره أحد يفتح صندوقه أبداً.

وأثناء احتضار أبى وضعفه الشديد مر علينا لأول مرة وكان قد اقترب أبى من نهايته، وجاء إلينا الدكتور ليفزى ذات ظهيرة ليرى أبى المريض ثم أخذ غداءه القليل من أمى وذهب إلى البهو كى يدخل الباب حتى يأتى حصانه من القرية الصغيرة لأننا لا نملك إسطنبول للخيل فى فندق بنبو القديم، تابعت الكابتن داخل البهو ورأيت التناقض الشديد بين الدكتور ليفزى الأنيق المنمق الأبيض مثل الثلج بعينيه السوداوين اللامعتين وبين الكابتن، كان سلوك الدكتور ليفزى مفرحاً مؤدباً وقد ظهر عليه مع الولد السنايس القروى الذى أحضر له الحصان، مقارنة بخيال الماتة الثقيل البذئ، قرصان الفندق الجالس يحتسى شراب الروم ويداه على المائدة، وفجأة يقف ويفاجئ الحضور بأغنيته الأبدية:

خمسة عشر بحاراً على التابوت

يو هو هو وزجاجة روم

اشرب وسيفعل الشيطان الباقي

يو هو هو وزجاجة من الروم

اعتقدت فى البداية أن تابوت الرجل الميت هو نفسه الصندوق الكبير الذى يوجد بالطابق الأعلى أمام حجرته الأمامية واختلطت الفكرة فى كوابيسى مع البحار ذى الساق الواحدة.

كنا قد قررنا سابقاً ومن وقت بعيد أن نكف عن إبداء أى ملاحظة على أغنيته تلك وندعى الإعجاب بها، لقد كان هذا الأمر جديداً على دكتور ليفزى ولاحظت أنه لم يعط أى تأثير بالموافقة والإعجاب على الأغنية، فاثار غضب الكابتن، بل واستمر فى حديثه

إلى "تايلور العجوز" الجنائني عن العلاج الجديد للروماتيزم وأثناء ذلك اندمج الكابتن بالتدريج مع موسيقاه الخاصة، وفجأة خبط بيده على المائدة بطريقة يفهم منها أنه يريد الهدوء، فتوقفت كل الأصوات في الحال، لكن الدكتور ليفزى استمر في الحديث كما كان يفعل من قبل، فقد كان كلامه واضحاً ورقيقاً ويدخن غليون به برشاقة بعد كل كلمة أو كلمتين.

نظر الكابتن بغضب وسخط وخبط بيده مرة ثانية واستمر في النظر إليه بسخط شديد وأخيراً قال بحنق وشر:

- الهدوء.. هناك بين المقاعد!!

قال له الدكتور ليفزى:

- هل تقصدني؟!

قال الكابتن الهمجي بتهديد ووعيد:

- نعم!!

فقال له الدكتور ليفزى:

- سأقول لك شيئاً واحداً.. إن لم تتوقف عن تناول شراب الروم فسوف يغادر

العالم نذل قذر مثلك!!

كان غضب الكابتن مُرعِباً، قفز على قدميه وسحب مطوأة بحار كانت حول وسطه ووازنها في راحة يده ثم فتحها وهدده أن يعلقه على الحائط، لم يتحرك الكابتن قيد أنملة وتحدث إليه كما كان يتحدث سابقاً وبنفس نبرة الصوت وزاد قليلاً حتى سمعه كل من في الحجرة وساد هدوء تام وقال بثبات:

- إذا لم تضع هذه السكينة في جرابها، أعدك بشرقي أنك ستشنق في الليرة

القضائية القادمة(*) .

(*) الليرة القضائية الإنجليزية assize .

واستمرت معركة النظرات بين الاثنين واضطر الكابتن أن يخضع فى النهاية
ويضع سلاحه فى جرابه وسحب مقعده ودمدم وتذمر مثل كلب مهزوم، واستمر
الدكتور قائلاً:

- عرفت أن فى الحى شخصاً مثلك يجب أن أضع عينى عليه ليلاً ونهاراً، أنا لست
طبيباً فقط، أنا قاض أيضاً وإذا وصلتني أى شكوى ضدك مثل الفضلانة
التي ارتكبتها اليوم سأخذ كل الإجراءات كي يُقبض عليك وتُرمى فى الشارع..
وهذا يكفى!

وبعد لحظة جاء حصان دكتور ليفزى وامتطاه وذهب بعيداً وأصبح الكابتن أكثر
هدوءاً فى تلك الأمسية ولأمسيات كثيرة قادمة.

٢ - الكلب الأسود يظهر ويختفى

لم يمض وقت طويل على ذلك الحدث الذى يعتبر واحداً من الأحداث الغامضة التى خلصتنا أخيراً من الكابتن الذى رأيتم أحواله السيئة وسلوكه الشاذ فى فندقنا .

كان الشتاء قارساً جداً والصقيع قاسياً وطويلاً وعواصف ثقيلة تهب، كان واضحاً من البداية أن أبى لن يرى الربيع، فقد كان يغمى عليه يوميا وتحملت وأمى كل أعباء الحانة وظللنا منهمكين فى العمل دون أن نعطى أى اهتمام لضيفنا التعيس .

ياله من صباح بارد جداً، كان أحد صباحات شهر يناير، حيث الخليج مغطى تماماً بالصقيع واللون الرمادى يغطيه وموجات الماء تلتق الصخور برقة، والشمس ما زالت بعيدة تلمس فقط قمم الجبال وتشرق من بعيد نحو البحر، استيقظ الكابتن على غير العادة ونزل إلى الشاطئ، كان خنجره يتمرجح تحت جيبيته الواسعة تحت معطفه الأزرق القديم والتسكوب النحاسى تحت إبطه وقبعته المائلة على رأسه، أذكر نفسه المعلق كالذخان فى استفاقته كلما خطى خطوة، آخر صوت سمعته له لما حرك الصخرة الكبيرة كان صوت شخير الغضب، يبدو أن عقله ما زال يفكر فى الدكتور ليفزى .

حسناً.. كانت أمى فى الطابق الأعلى حينما كنت أعد مائدة الإفطار تحسباً لعودة الكابتن عندما فتح باب البهو رجل لم أره من قبل، كان شاحباً ومخلوقاً شمعيًا له إصبعان فى يده اليسرى ويرتدى خنجرًا، لم يكن يبدو كمقاتل، كنت دائماً أترقب البحار صاحب الساق الواحدة، أتذكر أن هذا الرجل حيرنى، لم يكن مثل البحارة وإن كان به مذاق البحر هو أيضاً، سألته إن كان يريد أى خدمة.. فقال: إنه يريد شراب الروم، وبينما أنا ذاهب لإحضاره، جلس على المائدة وطلب منى أن أقترب منه، توقفت مكانى وأنا أمسك منديل المائدة، قال:

- تعال هنا يا بنى.. اقترب أكثر.

أخذت خطوة أقرب، سألتني بنظرة خبيثة:

- هل هذه مائدة زميلي بيل؟

أخبرته أنني لا أعرف زميلاً له يسمى بيل، وأن تلك المائدة لشخص ينزل في فندقنا نسيمه الكابتن، قال:

- حسناً.. صديقي بل يدعى أحياناً الكابتن وتوجد ندبة على أحد خديه وله أسلوب قوى وشرس ومدمن شراب الروم، هذا هو زميلي بيل.

اتفقنا دون جدال أن الكابتن له ندبة على أحد خديه وكانت فعلاً على خده الأيمن.

- حسناً.. هل صديقي بيل هنا في هذا البيت؟

- نعم.. هو خرج يتنزه.

- لأي طريق يا بني، أي الطرق سلك؟

أشرت له إلى الصخرة وأخبرته أنه على وشك العودة حالاً وأجبته على أسئلة أخرى وقال:

- سيكون ذلك الشراب جيداً لصديقي بيل.

لم تكن تعبيرات وجهه سعيدة حين قال تلك الكلمات، ولدى أسبابي للتفكير أن الغريب كان مخطئاً في افتراض ما قاله، لكن الأمر لم يكن يعنيني في شيء، فكرت وكان من الصعب أن أعرف ماذا سيفعل.

ظل نظر الرجل معلقاً بباب الحانة الداخلي، يتلفت ناحية الناصية مثل قط ينتظر فأراً، سحببت نفسي إلى خارج الحانة لكنه نادى عليّ أن أعود في الحال، ولما لم أستجب بسرعة غمر وجهه الشمعى تغير رهيب، أمرني بنظرة عميقة متحدية فجعلني أقفز عائداً، وبمجرد أن عدت عاد ثانية لسابق عهده معي وعاد يتملقني ثانية وينظر إليّ ساخراً ويربت على كتفي وأخبرني أنني ولد جيد وأنه يمتلك رؤية طيبة تجاهي وقال:

- لدى ولد مثلك، يشبهك تماماً وفخور دائماً بى، لكن الشيء الجيد للأولاد هو النظام.. النظام يا بنى، والآن إذا أبحرت مع بيل لم تكن لتقف هناك لتتحدث معاً.

أعتقد أن تلك ليست طريقة بيل ولا طريقة مثل أولئك الذين يبحرون معه، ها هو زميلى بيل وتلسكوبه تحت إبطه، يمارس هوايته القديمة، هيا نذهب معاً إلى داخل البهو لنقف خلف الباب كى نفاجئه وندهشه.

وأثناء الكلام تراجع الغريب للخلف وأنا معه للبهو وجعلنى خلفه فى الركن حتى صرنا مختفيين وراء الباب المفتوح، لم أكن مرتاحاً وكنت منزعجاً جداً، وأضاف إلى مخاوفى إحساسه نفسه بأنه خائف وخاصة حين أمسك مقبض السيف وفك النصل من غمده، كما أنه كان يبلع ريقه أثناء فترة انتظارنا كما لو أن حجراً يقف فى حلقه.

أخيراً دخل الكابتن وأغلق الباب وراءه بعنف دون أن ينظر يميناً أو يساراً، سار مباشرة إلى حيث كان الفطور فى انتظاره، قال الغريب بصوت جريء وقوى:

- بيل!!

استدار الكابتن على عقبيه وواجهنا وهرب الدم كله من وجهه، حتى أنفه صارت زرقاء، ظهر عليه وكأنه شاهد شبحاً أو شخصاً شريراً أو شيئاً سيئاً، رغم كل شيء وأى شيء شعرت بالحزن أن أرى الكابتن هكذا، صار فى لحظة عجوزاً ومريضاً، قال الغريب:

- تعال يا بيل.. ألا تعرفنى؟! ألا تعرف زميل السفينة القديم؟!

شهق الكابتن شهقة وقال:

- الكلب الأسود؟!

استدار الغريب له بعد أن استلب الكثير من اطمئنان الكابتن، وقال:

- نعم.. الكلب الأسود بنفسه.. جاء كى يرى صديقه القديم فى السفينة فى فندق الأدميرال بنبو، لقد عشنا أوقاتاً معاً نحن الاثنين، منذ أن فقدت إصبعى الاثنين.

ورفع الغريب يده المبتورة الأصابع لأعلى.. قال الكابتن:

- وماذا تريد الآن بعد أن وجدتني هنا؟!

قال الكلب الأسود:

- ها أنت دائماً يا بيل تضع الأمور فى مكانها الصحيح، سأخذ كأساً من الروم من يد هذا الغلام العزيز لأنى أريد أن نجلس معاً ونتحدث عن زملاء السفينة القدامى.

حين عدت بشراب الروم، كانا جالسين على الجانب الآخر من منضدة فطور الكابتن، كان الكلب الأسود يجلس بجوار الباب ويشكل جانبى لكى يضع عيناً على زميل السفينة القديم وعيناً أخرى على مكان هروبه، وطلب منى أن أذهب وأترك الباب مفتوحاً وقال لى:

- أرجو ألا تكون أذنك معنا ولا تتابعنا!!

غادرتهما ورجعت إلى البار، ولوقت طويل حاولت أن أستمع إليهما لكنى لم أسمع سوى ثرثرة بصوت منخفض وأخيراً بدأت أصواتهما تعلو وتعلو حتى استطعت أن ألتقط كلمة أو كلمتين وخاصة تهديدات الكابتن الغامضة، ثار الغريب قائلاً:

- لا، لا، لا.. هذه نهاية كل شىء.

وأضاف:

- لو أن الأمر صار مائعاً، لن نصل لشىء أبداً.

وفجأة سمعنا انفجاراً رهيباً من التهديدات والضوضاء الصاخبة وطار كرسي ومنضدة فى الهواء وسقطا ككتلة وتبعه تصادم حديدى ثم صرخة ألم مفزعة، ثم رأيت الكلب الأسود يسرع بالهرب والكابتن يلاحقه بحرارة وكلامهما يشهر سيفه والدم يتدفق من الكتف الأيسر للكابتن، ثم صوب الكابتن آخر ضربة رهيبة للرجل الهارب وقد جرحته بالتأكيد فى العمود الفقرى، ولم يوقف ذلك العراك وجودهم تحت لافتة فندقنا الكبير الأميرال بنبو، فربما ترى قطعاً بتلك اللافتة أخذ الحرف V على الجانب المنخفض للإطار بعد إصابتها.

كانت تلك العاصفة آخر شيء في المعركة، هرب الكلب الأسود خارجاً إلى الطريق بالرغم من جرحه وبخفة مذهلة، ثم اختفى عند حافة الجبل في نصف دقيقة تقريباً، وقف الكابتن يحملق في اللافتة مثل رجل مذهول، ثم مرر يده أمام عينيه عدة مرات وعاد إلى المنزل مرة ثانية قال بلهفة:

- شراب الروم!!

وبينما كان يتحدث أصيب بدوار قليلاً واستند بإحدى يديه على الحائط، فصرخت:

- هل جرحت يا سيدي؟



كانت ضربة أخيرة رهيبة أدمت الكابتن حتى العمود الفقري ولم تعترضها حتى لافتتنا لفندق الأدميرال بنبو.

وكرر الكابتن طلبه:

- الروم!! يجب أن أبعد عن هنا، الروم، أريد الروم.

جريت كى أحضر له شراب الروم، لكنى لم أكن مستقرا على ما حدث فى الخارج، كسرت كأساً وأخطأت السدادة. وبينما أسير فى طريقي، سمعت ارتطام سقوط مدو فى البهو، جريت بسرعة للداخل وحملت الكابتن الممدد على الأرض، فى نفس الوقت أسرعت أُمى المنزعجة من الصراخ والعراك، نزلت بسرعة كى تساعدنى، رفعنا رأسه بيننا، كان يتنفس بصوت عالٍ وبصعوبة وعيناه كانتا مغلفتين ولون وجهه كان مربعاً، صرخت أُمى:

- يا عزيزى!! يا خراب هذا البيت، فأبوك المسكين مريض جداً.

وأثناء ذلك لم يعد لدينا تصور ماذا نفعل لنساعد الكابتن، ولا أى فكر سوى أنه أصيب إصابة موت فى الشجار مع الغريب، أحضرت له شراب الروم، حاولت أن أضعه فى فمه لكن أسنانه كانت مغلقة بقوة وفكيه كانا مثل الحديد، كان الأمر مريحاً عندما فتح الباب فى الوقت المناسب ودخل علينا الدكتور ليفزى فى زيارته لأبى، صرخنا:

- دكتور ليفزى.. ماذا نفعل؟

قال الدكتور ليفزى:

- جرح؟! نهاية طعنة عبثية!!

وأضاف:

- لا أحد مجروح أكثر منك ومنى، الرجل أصيب بسكتة دماغية، لقد حذرته والآن يا مسز هوكنز، اصعدى إلى زوجك ولا تخبريه بما حدث وأنا بدورى سأبذل قصارى جهدى كى أنقذ حياة هذا الزميل، هل تحضر لى يا جيم الطست؟!

حين عدت بالطست وجدت الدكتور قد شق كُم الكابتن وكشف أوردة نزاعه وضرب عليها عدة ضربات وقال:

- سيكون حظ بيلى بونز فى هذا الساعد، لعل الريح تكون طيبة.

كان يوجد بالقرب من كتف بيلى بونز وشم لمشنقة ورجل معلق بها، قال الدكتور ليفزى وهو يلمس الصورة بإصبعه أسيان:

- حدث ما كنت أتوقع.. نبوءة!!

- والآن يا سيد بيلي بونز لو كان ذلك اسمك، سنلقى بنظرة على لون الدم، هل

تخاف يا جيم من لون الدم؟!

قلت:

- لا يا سيدى.

قال الدكتور ليفزى:

- حسنًا أنت أحضرت الطست بسرعة.

أخذ الدكتور ليفزى المشروط وفتح أحد الأوردة بعد أن أخذ احتياطاته، وقبل أن يفتح عين الكابتن الذى نظر إليه بضبايية، تعرف بيلي فى البداية على الدكتور بتجهم واضح، ثم ألقى نظرة على ونظر بارتياح قليلاً وفجأة تغير دمه وحاول أن ينهض وصرخ:

- أين الكلب الأسود؟!

قال الدكتور ليفزى:

- لا يوجد هنا كلب أسود باستثناء ما يوجد على ظهرك من طعنة، أنت ما زلت تشرب الروم وأصببت بسكتة دماغية كما قلت لك من قبل وحذرتك، وسأحاول أن أبذل ما فى وسعى حتى أنقذك وأسحبك من القبر الذى ستدخله الآن يا سيد بونز.

قاطعه بيلي قائلاً:

- اسمى ليس بونز.

عاد الدكتور للحديث قائلاً:

- سأعتنى بك قدر استطاعتي وأعتقد أن ذلك الاسم لأحد القراصنة وأنا أدعوك به كي أختصر لا أكثر ولا أقل، وما يجب أن أقوله لك أن كاساً واحدة من الروم لن تقتلك ولكنك لو أخذت واحدة ستأخذ الثانية وأراهن إن لم تتوقف ولو لفترة قصيرة

ستموت، ستموت.. هل تفهم؟ ستلقى حتفك كما يقول الإنجيل، تعال معي الآن، أعطني يدك، ابذل قصارى جهدك وسوف أساعدك حتى ترتاح في سريرك.

بصعوبة بالغة استطعنا أن نصعد به على السلالم وأن نضعه في سريره حيث ارتاحت رأسه على المخذة وكأنه فقد وعيه تماماً، قال الدكتور ليفزى له بحسم:

- الآن سأخلص ضميري وأقول لك: إن مجرد اسم الروم بالنسبة لك يعنى الموت المحقق.

ثم أخذنى الدكتور ليفزى من يدي كى يكشف على أبى وأضاف بعد أن أغلق الحجرة:

- هراء، اضطررت لسحب دم كاف كى أحافظ عليه هادئاً لفترة، يجب أن ينام لمدة أسبوع فى مكانه وهذا أفضل شئ له ولك، لكن إغماءة أخرى سوف تصيبه حتماً!

٣- البقعة السوداء

توقفت أمام باب الكابتن عند الظهر تقريباً، أحمل بعض المشروبات الباردة وبعض الأدوية، كان يرقد مرتاحاً كما تركناه، فقط يرتفع صوته قليلاً ويبدو ضعيفاً ومنهكاً، قال لى حين رأتى:

- جيم، أنت الوحيد هنا الذى يستحق أى شىء، أنت تعرف أننى دائماً طيب معك، سأعطيك قطعة نقود فضية تقدر بأربعة بنسات كل شهر لأجلك، الآن كما ترى يا صاحبي، إننى محبط جداً والجميع قد هجرنى.. جيم هو الصديق الوحيد، أرجو منك أن تحضر لى قنينة واحدة فقط من شراب الروم، والآن هل تفعل يا صديقى؟!

بدأت أرفع صوتى:

- والدكتور؟!

انفجر الكابتن فى لعن الدكاترة ولكن بصوت منخفض، وقال من كل قلبه:

- الدكاترة لا يقدمون شيئاً نافعاً، وهذا الدكتور هناك وليس هنا الآن، ماذا يعرف هذا الدكتور عن البحارة؟ فقد كنت فى أماكن ساخنة جداً وحولى مجموعة من الزملاء الأشرار مثل " بلوجاك " فى الأرض المقدسة التى كالبحر والملائكة بالزلازل، ماذا يعرف الدكتور ليفزى عن أرض مثل تلك، كنت أعيش فيها على شراب مثل الروم كما أخبرتك، إن الشراب بالنسبة لى هو كل شىء، هو اللحم والشراب والإنسان والزوجة، فإذا لم أشرب الآن الروم سأكون مثل رجل ضخم الجثة فقير يبحث عن شاطئ وملاذ وسيكون دمي فى عنقك يا جيم وفى رقبة هذا الدكتور الفظ.

واستمر لحظات فى اللعن والسب ثم قال لى:

- انظر يا جيم كيف ترتعش أصابعى.

واستمر فى نغمة التوسل قائلاً:

- لن أستطيع أن أبقى إلا إذا أخذت قطرة من شراب الروم فى هذا اليوم المبارك، هذا الدكتور أحقق كما قلت لك، فإذا لم آخذ قليلاً منه يا جيم سوف أصاب بالرب، سأتى بعض الأشياء المرعبة، سأتى القرصان العجوز الشرير فلنت فى الركن هناك، خلقتك، واضحاً كالبحر، أراه الآن وإذا رأيت تلك الأشياء المرعبة سأتحول إلى شخص فظ خشن، سأكون مثل قابيل بن آدم، طبيبك نفسه قال: إن كأساً واحداً لن تؤذيني، سأعطيك قطعة ذهبية مقابل قنينة من شراب الروم يا جيم.

لقد صار الكابتن أكثر إثارة مما جعلنى حذراً وخائفاً على أبى الذى كان يعانى هذا اليوم كثيراً وفى حاجة للهوى، وقد أؤكد على من جانب الدكتور وكلماته التى ترن فى أذنى ألا أتأثر أبداً أو تجرح مشاعرى أو تتأثر لأى عرض للرشوة من جانبه. قلت له:

- لا أريد نقودك وما نريده ديونك لوالدى، سأحضر لك كأساً واحداً لا شيء أكثر. وعندما أحضرت الكأس له، قبض عليه بشراهة وشربها مرة واحدة، قال الكابتن سعيداً:

- إنه بعض الشراب الجيد، لكنه يكفى، والآن يا بنى ما المدة التى قال الدكتور: إننى سأبقى فيها بمضجعى هنا؟! قلت له:

- أسبوع على الأقل.

قال:

- سيأتى الرعد!! أسبوع!! لا أستطيع أن أفعل ذلك، سيضعون البقعة السوداء حولى، حينئذ سيكون الأغبياء على وشك أن يعرفوا أين وجهتى فى تلك اللحظة، فالأغبياء لن يحتفظوا بما يعرفون ويريدون أن يسمرونى على الحائط، هل هذا هو سلوك البحارة الآن؟! أريد أن أعرف، سأنتقد روحى ولن أضيع نقودى هباءً أو أفقدها، سوف أخدمهم ولن أخاف منهم، سأواجه أى عقبة خطيرة يا بنى، سألاعبهم مرة أخرى.

وبينما يتحدث، نهض من فراشه بصعوبة بالغة مستنداً على كتفى بمسكة شديدة جعلتني أصرخ، وكان يحرك قدميه بثقل شديد وكأنه ميت، كانت كلماته تخرج مملوءة بالحزن والضعف كلما تحدث، توقف قليلاً حتى وصل إلى مكان جلوسه على الحافة ودمدم قائلاً:

- ما هذا الذي فعله بى الدكتور، لقد جعل أذنى تصفر وتغنى، دعنى أعود ثانية.
وقبل أن أستطيع أن أساعده سقط مرة أخرى لمكانه الأول حيث رقد صامتاً للحظة، قال الكابتن بيل بصعوبة:

- جيم.. هل رأيت البحار اليوم؟!

سألته:

- هل تقصد الكلب الأسود؟!

قال:

- نعم، الكلب الأسود، إنه شخص سيئ لكن يوجد من هو أسوأ منه وأرسله لنا، الآن لن أستطيع أن أهرب بأى طريقة، فقد حددوا لى البقعة السوداء، هل تفهمنى؟! ستجد صندوقى الذى يبحثون عنه، ستركب الحصان، أليس كذلك؟! حينئذ ستذهب إلى - نعم.

قلت له:

- سأفعل.

أضاف قائلاً بعد أن ارتاح قليلاً:

- إلى الطبيب الفظ وأخبره أن الأمر صعب أيها القاضى وأن يضع الصندوق على سطح فندق الأدميرال بنبو، فكل طاقم قلنت العجوز سيحضرون، كل رجل، كل غلام، كل من تبقى من رجاله، فقد كنت أول زميل له، كنت مساعده الأول وكنت الوحيد الذى يعرف المكان، وأعطانى هذا السر عند السفانا، حين كان يحتضر كما أحتضر الآن، لكن لا تبلغ حتى تتأكد أنهم وضعوا العلامة السوداء حولى أو حتى ترى الكلب الأسود مرة ثانية أو البحار ذا القدم الواحدة، إنه أخطرهم جميعاً يا جيم.

قلت له:

- لكن ما البقعة السوداء يا كابتن؟!

قال:

- هى إشارة يا زميلى، سوف أخبرك حين تصلنى، لكن يجب أن تفتح عينيك جيداً يا جيم وسأعطيك نصف الكنز بشرفى.

وسرح الكابتن بخياله قليلاً وبدأ صوته يضعف بعد أن أعطيته الدواء الذى أخذه كطفل بعد أن قدم ملاحظاته قائلاً:

- لو أراد بحار مخدرات اعرف أنه أنا.

ثم راح فى نوم عميق، فتركته، فما يجب أن أفعله قد تم بشكل جيد. لا أدرى كيف؟ من المحتمل أن أخبر الدكتور ليفزى بكل تفاصيل القصة، لأنى كنت فى خوف مميت أن يندم الكابتن على اعترافاته ويضع نهاية لذلك، لكنى نسيت ذلك وتلاشت مخاوفى قليلاً وانشغلت فى موت أبى فجأة هذا المساء فوضعت كل الأمور على الهامش، لقد أصابتنا تلك المحنة وبدأت زيارات الجيران وترتيبات الجنازة وشغلتنى كل أعمال الفندق، فلم أعد أملك وقتاً وصرت مشغولاً بدرجة كبيرة حتى إنى نادراً ما كنت أفكر فى أمر الكابتن أكثر من أننى أحياناً أخاف منه.

نزل فى الصباح التالى من حجرته وتناول وجباته كالمعتاد وبالرغم من أنه أكل قليلاً فإنه شرب كثيراً من الروم أكثر من المعتاد فكنت خائفاً، استطاع أن يساعد نفسه ويخرج من البار عابساً، كان يبدو عليه الغضب فلم يجرؤ أحد أن يوقفه، وكانت صدمة فى بيت يعلن الحداد أن يشرب كثيراً جداً بعد يوم من الجنازة، وسمعتة يغنى أغنيته القديمة القبيحة عن البحر وكان ضعفه يجعلنا نخشى عليه جميعاً من الموت.

كان الدكتور ليفزى قد انشغل بحالة أخرى على بعد عدة أمتار ولم يكن قريباً من البيت بعد موت أبى، قلت للجميع: إن الكابتن صار ضعيفاً ويزداد ضعفاً أكثر من العودة للصحة مرة أخرى، كان يستلقى أحياناً فى الدور العلوى وأحياناً فى الدور السفلى ويخرج أحياناً من البهو إلى البار ويعود مرة ثانية ويخرج أحياناً كى يشم

بعض الهواء على البحر ويواصل الخروج من تلك الجدران كلما أراد أن يشم الهواء ويدعم نفسه، فقد كان مثل رجل على حافة جبل ولم يكن يبلغنا بذلك.

كان اعتقادي أنه مازال بخير طالما أنه ينسى ثقته الكبيرة بنفسه، لكن مزاجه كان متغيراً ويؤثر في ضعف جسده وصار أكثر عنفاً عن ذي قبل، صار له أسلوب تمهيدى الآن خاصة حين يشرب الخمر ويسحب سيفه ويضعه أمامه على المائدة خالياً من غمده، وكان يعارض الناس قليلاً ويبدو متحفظاً في أفكاره الخاصة، وكثيراً ما كان غافلاً، فكنا على سبيل المثال ندهش من غناؤه في أى وقت لأغنية وطنية تعلمها في شبابه قبل أن يبدأ حياته في البحر.

ومرت الأشياء عادية حتى جاء يوم بعد الجنازة وتقريباً الساعة الثالثة مساءً يوم ضبابي عاصف قاسٍ، كنت أقف على الباب في تلك اللحظة ويدور في ذهني الكثير من الأفكار الحزينة بشأن أبي، رأيت شخصاً يتسلل بهدوء عبر الطريق، كان كفيف البصر يطرق بعصاه قبل أن يخطو، يرتدى عصابة خضراء على عينيه وأنفه ومحنياً كما لو كان رجلاً عجوزاً وضعيفاً ويرتدى عباءة بحار قديمة بقلنسوة تشوه شكله، لم أر في حياتي شكلاً أكثر رعباً منه، توقف بعيداً عن الفندق إلى حد ما، ورفع صوته بأغنية غريبة مناجياً الهواء الذي أمامه قائلاً:

- هل من صديق يقول لرجل أعمى فقد أعز ما لديه في الدفاع عن وطننا الحبيب إنجلترا - وأعز الله ملكنا جورج - أين هو الآن وفي أى جزء من الوطن؟! قلت له:

- أنت الآن في فندق الأدميرال بنبو، وفي خليج بلاك هيل يا سيدى.
رد الرجل الأعمى قائلاً:

- أسمع صوتاً، صوت شاب، هل تعطينى يدك، صديقى الشاب الصغير وتصحبني إلى الداخل.

مددت له يدي، لكن هذا المخلوق الرقيق المرعب قبض على يدي في لحظة مثل ملزمة الحداد الحديدية، حاولت قدر استطاعتي أن أسحب يدي منه لكن الرجل الأعمى سحبني حتى التصقت به بحركة واحدة من يده، قال:

- والآن يا ولد، خذني إلى الكابتن.

- قلت له: أنا لا أجزؤ يا سيدى.

قال ساخراً:

- سيحدث، خذنى إليه مباشرة وإلا سأكسر ذراعك.

وشدنى بعنف من يدى شدة جعلتنى أصرخ عالياً، فقلت له:

- أقصد أن الأمر ليس فى مصلحتك، فلن تستطيع أن تتعامل مع الكابتن،
لأنه يجلس وسيفه دائماً بجواره.

قاطعنى قائلاً:

. - تعال والآن سر أمامى.

لم أسمع صوتاً أكثر قسوة وبرودة وقبحاً من صوت هذا الرجل الأعمى، فقد
روعنى أكثر من أى ألم آخر، لذا بدأت أطيعه فى الحال وأدخل معه من الباب إلى حيث
البهو حيث يجلس صديقنا البحار العجوز فاقداً للوعى بفعل شراب الروم، التصق بى
أكثر وقبض على يدى بقبضة حديدية واثكأ على بكل ثقله لدرجة أننى لم أستطع أن
أتحملة، وقال لى:

- خذنى مباشرة له، وحين أقترب منه قل لى: هذا صديقك بيل، وإن لم تفعل ذلك
سوف أفعل هذا.

وضغط علىّ حتى شعرت أننى سوف يغمى علىّ، وبين هذا وذاك كنت مرعوباً من
هذا الشحاذ الأعمى ونسيت رعبى تماماً من الكابتن، وحين فتحت باب البهو قلت
الكلمات التى طلب منى أن أقولها بصوت مرتعش.

رفع الكابتن المريض عينيه وبنظرة واحدة للرجل الأعمى ضاع تأثير شراب الروم
من رأسه وعاد ثانية لاتزانه وامتلاً وجهه بالرعب كالمصاب بمرض مميت، حاول أن
يتحرك لكنه لم يكن يمتلك القدرة الكافية فى جسده، قال الشحاذ الأعمى:

- والآن، ابق كما أنت يا بيل، فإذا لم أكن أرى فإننى أسمع حركة إشارة
الأصابع، ارفع يدك اليسرى يا ولد وخذ يده اليسرى من معصمه وأحضرها بالقرب من
يدى اليمنى.

أطعناه معاً ورأيتَه يمرر شيئاً من تجويف يده التى تحمل عصاه إلى راحة يد الكابتن التى قبضت على الشيء بسرعة، قال الأعمى:

- والآن تم ما أريد.

وفجأة غادرنا وبدقة متناهية ورشاقة وثب خارج البهو إلى حيث الطريق، طللت واقفاً أراقبه بلا حركة وأسمع صوت عصاه تدق الطريق من بعيد، مر وقت قبل أن أستطيع أنا والكابتن أن نجمع شتات أحاسيسنا وفى نفس اللحظة فتح راحة يده التى ما زلت أحملها وسحب يده ونظر بحدة فيها وصرخ قائلاً:

- الساعة العاشرة!! لدينا ست ساعات نستطيع أن نفعل شيئاً.

ثم قفز على قدميه، فأدى ذلك إلى إصابته بالدوار فوضع يده على زوره ووقف يتمايل للحظة وبصوت خاص سقط من طوله على الأرض.

جريت إليه فى الحال واستدعيت أُمى، لكن ضاع جهد الجميع عبثاً، فقد سقط الكابتن صريعاً بسبب سكتة دماغية(*)، كان ذلك شيئاً غريباً على أن يفهم، بالرغم أننى لم أكن أحب الرجل إلا أننى بدأت أشفق عليه والغريب أنه مات بمجرد أن حدث ذلك، انفجرت دموعى فقد كان ذلك الموت الثانى الذى شاهدته ومازال حزنى على أبى متربحاً فى قلبى.

(*) فقد الوعي فجأة حين ينقص الأكسجين فى المخ بسبب تجلط الأوعية الدموية.

٤- صندوق البحر

لم أضيع وقتاً طويلاً فى إبلاغ أمى عن كل ما عرفته بالطبع، فاحتمال أننى قد أخبرتها عن الموقف منذ فترة طويلة، ورأينا أنفسنا فى الحال فى ورطة وفى وضع خطر جدا.

رأينا أن بعضاً من نقود الرجل - لو عنده - حق لنا، ولكن الباقى سوف يأتى أصدقاءه كى يأخذوه، فهم بالطبع من عينة الاثنين اللذين شاهدتهم، فالكلب الأسود والشحاذ الأعمى لن يتخليا بالطبع عن حقهما فى كنز الرجل من أجل دفع دين الكابتن.

كانت أوامر الكابتن بيل أن نركب فى الحال ونذهب للدكتور ليفزى، فكيف أترك أمى وحيدة وغير محمية، لم أكن أقدر أن أفعل ذلك، سيكون ذلك بالطبع مستحيلاً لكل واحد منا أن يبقى وقتاً طويلاً بمفرده فى المنزل، فسقوط الفحم فى المطبخ شئ مزعج وحركات الساعة المتتالية ملأتنا بالحذر، قرب هذا الدق من أذاننا جعله ملتصقاً متزامناً ومرتبلاً بوقع أقدام القادمين.

وما بين جسد الكابتن الميت على أرضية البهو والأفكار السيئة لعودة الشحاذ الأعمى التى تحوم بالقرب من يده والمستعدة للعودة مرة أخرى، مرت اللحظات ثقيلة، اختبأت فى جلدى من الرعب، شئ ما سوف يحل بسرعة، شئ حدث أخيراً لنا كى نذهب معاً لنبحث عن المساعدة فى القرية المجاورة، لم نكد نفكر حتى تحركنا بسرعة، كنا بلا أفكار محددة، فذهبنا فى الحال فى هذا المساء شبه الضبابى المكسو بالصقيع.

لم تكن تبعد القرية عنا أكثر من مئات الأمتار بالرغم من أنها لم تكن على مرمى البصر وكانت على الجانب الآخر فى الخليج، ما شجعنى بشكل كبير أنها كانت فى

الاتجاه المعتاد للاتجاه الذى ظهر فيه الرجل الأعمى الذى ربما قد يعود منه، لم نأخذ دقائق قليلة حتى كنا على الطريق رغم أننا كنا أحياناً نتوقف لكى نساعد بعضنا البعض ونحاول أن نستمع لأى شىء، لم يكن هناك أى صوت غير عادى، لا شىء سوى خرير الماء ونقيق ساكنى الغابة.

حين وصلت القرية لم أجد غير ضوء شمعة، لم أنس لماذا كنت سعيداً حين رأيت الشعاع الأصفر الواهن للشمس على الشبايبك والأبواب، لكن الأمل الأكبر يكمن فى مساعدة أهل هذا المكان إذا وافقوا على ذلك، وإن لم يساعدونا فسوف يشعر الرجال بالخزي والعار إذا لم يأتوا معنا، لكن للأسف لم نجد روحاً واحدة وافقت أن تعود معنا إلى فندق الأدميرال بنبو، وكلما أخبرناهم عن الكثير من مشاكلنا ازدادوا التصاقاً أكثر بمساكنهم سواء كانوا رجالاً أو نساء أو أطفالاً ولم لا؟! ومجرد ذكر اسم الكابتن فلنت كفيل أن يحمل لهم من الرعب الكثير، كنت أعتقد أنه غريب عنهم لكنه كان معروفاً لهم جيداً، بعض الرجال الذين كانوا ذاهبين إلى حقولهم بجوار فندق الأدميرال بنبو تذكروا أنهم شاهدوا الكثير من الأغراب على الطريق واعتقدوا أنهم مهربون، وأعلن أحدهم أنه قد شاهد قارباً مزوداً بأربعة أشعة كنا نسميه كيتى هول.

لذا كان أى زميل للكابتن فلنت كفيلاً بأن يسبب الرعب لهم لدرجة الموت، وبعد جذب وشد للأمر معهم، لم نجد أحداً لديه الرغبة كى يركب حصانه إلى الدكتور ليفزى الذى يوجد فى الاتجاه الآخر، لم يرد أحد أن يساعدنا لكى ندافع عن الفندق وقالوا لنا: إن الجبن شىء معد لكن الجدل على الجانب الآخر يزيد ويصبح أكثر شجاعة، وحين قالوا ذلك جعلتهم أمى حديثها وأعلنت أنها لن تفقد أبداً مال ابنها اليتيم وقالت:

- إذا لم يجرؤ أحد على مساعدتنا والذهاب معنا أنا وجيم، سنذهب فى الليل من نفس الطريق الذى جئنا منه، وشكراً قليلاً للرجال الأقوياء الذين يملكون قلوب الدجاج، وسوف نفتح هذا الصندوق حتى لو قتلنا فى سبيل ذلك، وسأشكركم لإحضار هذه الشنطة، سيدة كروسلى، لإعادة نقودنا الشرعية فيها مرة أخرى.

قلت لهم سأذهب بالطبع مع أمى، ولكنهم صرخوا معترضين غباءنا المحكم، لأننا سنذهب لهلاكنا، فلم يذهب معنا حتى رجل واحد، فكل الذى فعلوه أن أعطونا مسدساً محشوا بالرصاص خشية أن نهجم ووعدونا بوجود حصانين جاهزين معنا فى حالة

أن يتعقبنا أحد ما فى طريق عودتنا للفندق، بينما كان أحد الغلمان على وشك أن يمتطى جواده إلى مكان الدكتور كى يبحث عن المقاومة المسلحة.

كان قلبى يدق عندما بدأنا الرحلة فى تلك المغامرة الخطيرة فى هذه الليلة الباردة، حيث كان القمر بدرًا ومشرقًا وبالرغم من ذلك يُرى بصعوبة على الحافة الجنوبية بسبب الضباب وزاد ذلك من سرعتنا كى نصل، فقد كان كل شىء واضحاً قبل أن نبدأ رحلتنا مرة أخرى، كان واضحاً كالتنهار ورحلتنا كانت معرضة أن يكتشفها كل المارين، لذا هربنا عبر الأحراش بلا صوت ويسرعة لكى لا يرانا أو يسمعنا أحد حتى لا يزيد من رعبنا، واصلنا الرحلة ولم نرتج حتى أغلقنا باب فندق الأدميرال بنبو وراعنا، سحبنا رتاج الباب فى الحال ووقفنا للحظات نلهث فى الظلام، وجدنا جثة الكابتن فى المنزل، أحضرت أمى شمعة من البهو، أمسكنا أيدي بعضنا البعض ثم تقدمنا، كان الكابتن ممدداً كما تركناه على ظهره وعيناه مفتوحتان وأحد ذراعيه كان مفروداً.. قالت أمى هامسة لى:

- سد منافذ الفندق يا جيم، فاحتمال أن يأتوا ويراقبوا الخارج.

ثم أضافت وأنا أنفذ ما طلبته

- يجب أن نخفى المفتاح تماماً ومن يلمسه يجب أن أعرف.

ثم تنهدت بعد أن قالت ذلك ونزلت على ركبتي فى الحال واقتربت أكثر من الكابتن، كانت توجد ورقة على الأرض قريبة من يده ومسودة على إحدى جوانبها، لم أشك أن هذا السواد هو البقعة السوداء، ألنقطتها، وجدت كتابة على الجانب الآخر بخط واضح، كانت رسالة قصيرة تقول "لديك حتى الساعة العاشرة مساءً"، قلت:

- لقد قال حتى العاشرة يا أمى.

ثم كررت الجملة، بدأت ساعتنا القديمة فى الدق، صدمتنا هذه الضوضاء المفاجئة لكن الأخبار كانت جيدة، لأن الساعة كانت السادسة الآن، قالت أمى:

- والآن يا جيم.. أين المفتاح؟!

بحثت فى جيبه واحداً بعد الآخر، لم أجد شيئاً إلا عملات فضة وخيطاً وبعض الإبر الكبيرة ولفة من التبغ وسكيناً بيد معقوفة وجراب بوصلة وصندوقاً من مادة التندر، وهذا كان كل شىء، لذا بدأ اليأس يدب فى قلبى، اقترحت أُمى قائلة:

- ربما يكون حول رقبتك!!

تغلّبت على اشمئزازى من الجثة وبدأت أبحث، مزقت قميصه من عند الرقبة بدرجة تكفى، يتدلى من رقبتك خيط، قطعتك بالسكين المعقوف، وجدت المفتاح، شعرنا فى تلك اللحظة بالانتصار، لذا ملّنا بالأمل وأسرعنا إلى الطابق الأعلى نون أى تلكؤ إلى الحجرة الصغيرة حيث كان ينام وقتاً طويلاً وحيث يوجد صندوقه منذ يوم وصوله إلى الفندق، كان هذا الصندوق من الخارج مثل صندوق أى بحار ومطبوع عليه الحرف "B" بالحديد المذاب ويبدو أن أركانه قد تهشمت منذ فترة بفعل استخدام عنيف، قالت أُمى:

- أعطنى المفتاح.

وعلى الرغم من أن القفل كان متيبساً فإن أُمى استطاعت أن تدير المفتاح ثم استطاعت أن ترفع الغطاء فى لحظة خاطفة، فارتفعت رائحة التبغ والقطران من عمق الصندوق ورغم أننا لم نر شيئاً فى القمة إلا بذلة جديدة كانت من نظفة ومطوية بعناية ولم تكن ممزقة أبداً، كان تحت ذلك أشياء كثيرة ومتنوعة بدأت تظهر مثل مقياس وبعض عيدان من التبغ وسدسين جديدين وقطعة من الفضة وساعة إسبانية قديمة وبعض الإكسسوارات والحلى الرخيصة المصنوعة فى الخارج وبوصلة مطلية بالنحاس وخمس أوست من المحارات الهندية الغربية، كنت أتسائل منذ متى وهو يحمل تلك المحارات معه فى حياة القنص والإثم والتجوال.

وأثناء ذلك لم نجد شيئاً له أهمية أو قيمة غير قطعة فضة وبعض الحلى الرخيصة، لا شىء من ذلك كان فى طريقنا، وكان تحت ذلك عباءة يكسوها اللون الأبيض بفعل ملح البحر فى بارات الموانئ، سحبتها أُمى بلا اكتراث ووضعتها بجوارنا، كان آخر ما وجدناه كومة من المشمع الذى يبدو كالورق وشنطة من القماش تعطى رنين الذهب عند لمسها، قالت أُمى:

- سيعرف هؤلاء الأشرار أننى امرأة أمينة وسوف أخذ حقى فقط، لا شىء أكثر.

وبدأت أمى تعد المبلغ المستحق على الكابتن من حقيبة البحار إلى حقيبة أخرى كنت أحملها، كان الوقت طويلاً والأمر صعباً والعملات الفضية الموجودة من كل الأقطار والأحجام، كان من بينهم عملة الديلون الإسبانية القديمة وعملة اللويسية الذهبية الفرنسية والجنيهات الإنكليزية وقطع من ذوات الثمانى بنسات و عملات أخرى إضافية، كان الجميع معاً بشكل عشوائى والجنيهات الإنكليزية هى الأندر وكان ذلك ما استطاعت أمى أن تعدّه.

فى منتصف عملية العد، وضعت يدى فجأة على ذراعها، فقد سمعت صوتاً قادمًا من الهواء الضبابى الصامت جعلنى ازداد رعباً، صار صوت ضربات عصا الرجل الأعمى على الطريق الجليدى أقرب وأقرب ونحن جالسون نلتقط أنفاسنا، ثم يطرق بعنف على باب الحانة، سمعنا صوت يد الباب يُحاول فتحها فارتفعت خشخشات القفل، فالبايس يحاول الدخول، عاد الصمت يخيم على المكان ثانية، أخيراً توقف الخط على الباب، شعرنا بفرح لا يوصف وبدأ الصوت يبعد ببطء مرة أخرى حتى توقف تماماً، قلت لأمى:

- أمى، علينا أن نأخذ الأشياء ونمضى.

كنت متأكدًا أن الباب المغلق سوف يثير الشك وسوف يحضر عش الدبابير بالقرب من أذاننا بالرغم من أنني أشعر بكل الامتتان لأننى أغلقته، فلا أحد يعرف من سيقابله هذا الأعمى المرعب، كانت أمى مرعوبة لكنها لم توافق أن تأخذ أى شىء رائدًا عن حقنا وكانت مصرة إصراراً شديداً أن تأخذ حقنا وألا يقل أبداً، قلت:

- لن يقل عن سبعة!!

كانت تعرف حقها تماماً وسوف تأخذها وتناقشت معى عندما سمعنا صوتاً لصغير بسيط قادم من الجبل، كان ذلك كافياً وأكثر من الكاف فى لكل منا، قالت أمى وهى تقفز على قدميها:

- سأخذ ما جمعت.

فقلت وأنا ألتقط الكيس المشمع:

- وأنا سأخذ كى يسدد الحساب!!

بدأنا فى اللحظة التالية نتلمس النزول وتركنا الشمعة بجوار الصندوق الفارغ، حين فتحنا الباب شعرنا بالملأى والأمان التام، لم نضيع لحظة أخرى، بدأ الضباب يتشتت بسرعة وظهر ضوء القمر جلياً فى الجانب الآخر، كان يسكن قاع الوادى الصغير حول باب الحانة الذى كوين حجاباً رقيقاً مازال معلقاً ليخفى الخطوات الأولى لهروبنا، وفى أقل من منتصف الطريق إلى القرية وقليلًا خلف قاع الجبل كنا نسير فى طريقنا نحو ضوء القمر فى سعادة، سمعنا صوتاً لخطوات عديدة تاتى إلى أذاننا وحين نظرنا خلفنا شاهدنا ضوءاً يجرى ويروح ويتقدم بسرعة ويظهر أحد القادمين الحاملين لفانوس، قالت أمى فجأة:

- ابنى العزيز، خذ النقود واهرب، سيفمى على.

شعرت أن تلك نهايتنا وبدأت ألعن وأسب حالة الجبن لجيراننا وحالة الأمانة والطمع لأمى وحالة الغباء الشديدة والضعف الحالية، كنا لحسن الحظ على الكوبرى الصغير، ساعدتها حتى وصلنا إلى حافة الضفة، هناك شعرنا بالأمان بشكل كبير وتنهدت أمى تنهيدة كبيرة وسقطت على كتفى، لم أعرف كيف جاءت إلى هذه القوة لأفعل، كنت خائفاً أن أكون فعلت ذلك بخشونة لكنى جاهدت أن أجراها قدر استطاعتى إلى الضفة حيث طريق صغير تحت القنطرة، لم أستطع أن أحركها أكثر من ذلك تحت الكوبرى، فلم أفعل أكثر من سحبها تحته واضطررنا أن نبقى فى هذا المكان مدة، كانت أمى مكشوفة تماماً وكانت أذاننا مع ما يمكنه أن يحدث داخل الحانة.

٥- نهاية الرجل الأعمى

كان إحساس الفضول لدى أقوى كثيراً من الخوف كى لا أبقي حيث أكون، لذا عدت ثانية زاحفاً إلى الضفة حيث أخفيت رأسى خلف شجيرة من البراعم، كشفت الطريق تماماً قبل الذهاب لبيتى، كنت تقريباً فى مكان مناسب قبل أن يأتى أعدائى، كانوا سبعة أو ثمانية رجال يتحركون بسرعة وبجد وأقدامهم تسابق الزمن على الطريق وأحدهم يحمل فانوساً ويسبقهم ببضع خطوات، رأيت ثلاثة رجال معاً يداً فى يد، اكتشفتهم رغم الضباب، ويسير الرجل الأعمى وسط الثلاثة، أكد لى صوته فى اللحظة التالية أنه هو المتسول الأعمى حين صرخ:

- افتحوا الباب.

أجاب اثنان أو ثلاثة منهم:

- نعم يا سيدى!!

ثم اندفع الرجال نحو باب فندق الأدميرال بنبو ومن قبلهم حامل الفانوس، ثم رأيتهم يتوقفون مؤقتاً، سمعت صوتاً وخبطاً جاء إلى من الباب المفتوح الذى دهشوا لكونه كذلك، ثم واصلوا التحرك وأصدر المتسول الأعمى أوامره مرة أخرى، كان صوته عالياً ومرتفعاً مثل نار مشتعلة فى لهفة وغضب، صاح فى غضب:

- هيا ادخلوا، ادخلوا.

ثم سب ولعن تأخرهم رغم أن أربعة أو خمسة رجال قد أطاعوا أوامره فى الحال وظل اثنان على الطريق مع المتسول المرعب الفظيع، سيطرت حالة من الصمت المؤقت ثم خرجت صرخة لها دهشة كبيرة، ثم علا صوت ينادى فى المنزل:

- بل مات!!

لكن الرجل الأعمى سبهم مرة أخرى لتأخرهم، وقال لهم:

- فتشوه، البعض منكم يجب أن يتجنب الأغبياء والبعض الآخر يصعد لأعلى للحصول على الكنز.

سمعت وقع أقدامهم تصعد على سلمنا القديم حتى إن المنزل كان يهتز بهم ثم ارتفعت بعد ذلك أصوات التعجب وفتح شباك غرفة الكابتن بعنف مما أدى إلى كسر الزجاج وأحدث صوتاً مرتفعاً ثم أطل منه رجل فى ضوء القمر وتدلّى برأسه وكتفه ونادى على المتسول الأعمى أسفله على الطريق وصاح قائلاً:

- بو، لقد وصلوا قبلنا وشخص ما قلب الصندوق رأساً على عقب

زأر بو:

- ألا يوجد شىء؟!

قال الرجل:

- يوجد نقود.

لعن الرجل الأعمى النقود، وصاح قائلاً:

- أقصد سر كنز فلنت!!

رد الرجل:

- لم نر شيئاً حتى الآن.

صرخ الرجل الأعمى قائلاً:

- هنا.. أنتم بالقرب منه، مع بيل.

فى تلك اللحظة أتى أحد زملائه إلى باب الفندق، احتمال أن يكون الشخص الذى

ظل هناك لكى يفتش جثة الكابتن، قال:

- يبدو أن الكابتن قد فُتّش بالفعل ولا شىء تبقى!!

صرخ الرجل الأعمى قائلاً:

- أصحاب الحانة هم الذين فعلوا ذلك وإنه الغلام لا أحد غيره، ليتك فقأت عينيه يا بو.

وأضاف قائلاً:

- كانوا هنا من لحظات قليلة وأغلقوا الباب حين حاولت أن أدخل، عليك أن تجدهم يا سكرت أنت والغلمان.

نظر أحد الرجال من الشباك وقال:

- بالتأكيد كانوا هنا من وقت قصير جداً.

كرر بو الكلام:

- سيجدهم سكرت وسيهزمهم خارج البيت.

وبدأ يدب بعصاه على الطريق وبدأت أشياء كثيرة تفعل بحانتنا القديمة، الأقدام القوية تروح جيئةً وذهاباً تبحث عن شيء، أثاث البيت بدأ يُرمى به، الأبواب تُرْفَس، حتى الاهتزازات بدأ يعلو صداها، خرج الرجال مرة أخرى واحداً بعد الآخر على الطريق ويعلنون أننا لسنا موجودين، سمعنا نفس الصفير الذي حذرنا من قبل أنا وأمى بشأن أموال الكابتن الراحل، صارت مسموعة أكثر من ذي قبل خلال الليل، ولكنها كررت مرتين الآن، أعتقد أن هذا الصفير هو بوق الرجل الأعمى لكى يخاطب عصابته لكى يستدعيهم من أجل الهجوم ولكنى وجدت الآن أن هذا الصفير إشارة من منحدر التل إلى القرية تبين هجوم القراصنة وتأثيرهم، هى إشارة تحذر أبناء القرية من اقتراب الخطر، قال أحدهم:

- درك هناك مرة أخرى، يجب أن نزحزح الزملاء بعيداً.

صرخ بو:

- تزحزح!! أنت تتخاذل!

وأضاف الأعمى قائلاً:

- درك رجل أحرق وجبان من البداية، ألا تذكر ذلك، يجب أن يكونوا قريبين من البيت وليس بعيدين عنه، سوف تضعون أيديكم عليهم، ابحثوا عنهما، يجب أن تضعوا أيديكم عليهم، يا سكرتير، كلاب، لقد أرجفتم روحى، آه لو أننى أملك عينى.

أثر هذا الموقف عليهم، بدأ اثنان منهم يبحثان فى كل مكان، هنا وهناك وبين سقط المتاع، ولكن بلا حماس وبلا قلب حقيقى، كنت أفكر وأتابعهم بنصف عين خطرهم الداهم طوال الوقت بينما باقى الرجال يقفون مترددين على الطريق، قال لهم الأعمى:

- أنتم أغبياء، ستضعون أيديكم على الآلاف، تريدون الراحة، ستكونون أغنياء كالمالوك إذا وجدتم الكنز وأنتم تعرفون أنه هنا، لكنكم تتخاذلون، لا أحد فيكم يجرؤ أن يواجهه "بل" لكننى فعلت، أنا الرجل الأعمى، أنا على وشك أن أفقد فرصتى لأجلكم، فانا على وشك أن أكون فقيراً، أزحف كمتسول، يتطفل من أجل كأس من الروم وربما أدور فى حافلة من أجل ذلك، لو أنكم تمتلكون شجاعة سوسة الفاكهة فى قطعة بسكويت لاستطعتم أن تقبضوا عليهم.

قال أحدهم متذمراً:

- دعك من ذلك يا بو، معنا الجنيهاات الذهبية الإسبانية.

قال آخر:

- ربما يخفون ما هو أهم من ذلك وأكثر قيمة، خذ الجنيهاات الإنكليزية يا بو ولا تقف هنا طويلاً، تتشاجر وتزعق وتنهق.

كانت كلمة التشاجر هى الكلمة التى أثارت غضب بو وارتفع غضب بو بسبب تلك الاعتراضات حتى زاد انفعاله لدرجة كبيرة، وبدأ يطيح بعصاه ويضرب يميناً ويساراً وعصاه تصدر صوتاً ثقيلاً للضربات واحدة بعد الأخرى.

وبدأوا يسبون بدورهم ويلعنون هذا الوغد الأعمى ويهددونه بالفاظ بغیضة وحاولوا عبثاً أن يمسكوا العصا وينزعوها من قبضته، الجميل أن تلك المشاجرة أنقذتنا، وأثناء ذلك سمعنا صوتاً قادمًا من قمة التل على جانب القرية، كان صوتاً لوقع أقدام خيل تعدو مسرعة، انطلقت فى نفس الوقت طلقات نارية وفلاشات تآتى من جانب سياج الأشجار،

وكان ذلك آخر إشارة قادمة للتعبير عن الخطر، فتحول القراصنة عن الرجل الأعمى وهربوا فى اتجاهات متفرقة، واحد هرب عبر الخليج وآخر انحدر إلى التل.



بدأ يطرق بعصاه الطريق فى جنون شديد
ويتلمس طريقه وينادى على زملائه

وفى خلال نصف دقيقة لم نر أحداً منهم إلا بو الأعمى، تركوه جميعاً وحيداً فى رعب مطلق وانتقاماً من كلماته الحقيرة، لكنه ظل خلفهم، وبدأ يطرق الطريق بعصاه فى جنون شديد ويحاول أن يتلمس طريقه وينادى على زملائه، أخيراً سلك طريقاً خاطئاً وجرى فى اتجاه خاطئ وراءنا فى اتجاه القرية وصاح:

- جوني، الكلب الأسود، درك، يجب ألا تتركوا بو العجوز الضريب، أيها الزملاء، لم يعد هناك بو العجوز بعد الآن.

وارتفع بعد ذلك ضوضاء الخيل القادمة، ظهر فى الأفق حوالى أربعة أو خمسة فرسان يعدون بسرعة إلى المنحدر، زاد رعب الأعمى بو حين سمع ذلك و رأى الرعب

بعينيه المطفئتين وصرخ مرعوباً وجرى فى اتجاه القناة حيث سقط وتدحرج لكنه استطاع أن ينهض مرة أخرى بسرعة وحاول الهرب لكنه ارتبك وسقط تحت أقرب حصان قادم، حاول الفارس أن ينقذه لكن عبثاً، فقد سقط بو وصرخ صرخة انتزعت سكون الليل، فقد داست عليه حوافر الحصان الأربعة ودهسته بثقلها ثم مرت عليه.

وقفت على قدمى بسرعة وناديت على الفرسان، حاولوا أن يشدوا اللجام لكى يوقفوا الخيل لكنهم لم يستطيعوا، كانت على أى حال حادثة مروعة، استطعت أن أحدد هويتهم، كان أحدهم يتعقب الآخرين، كان ضابطاً قد خرج من القرية إلى دكتور ليفزى وكان بقية الضباط من ضباط الجمارك والضرائب الذين قابلتهم على الطريق، وكان لديه الذكاء أن يكون معهم فى الحال، فقد كانت هناك بعض الأخبار عن وجود مركبة رباعية الأشرع للقراصنة فى كيت هول وجدت طريقها للمشرف "دانس" الذى اتخذ طريقه مباشرة إلينا فى تلك الليلة ولولاه ما أنقذنا، فأننا وأمى مدينان له بحياتنا.

لقد مات "بو" ميتة شنيعة وبالنسبة لأمى فقد حملناها إلى القرية، ورغم تعبها الشديد إلا أن قليلاً من الماء البارد ويعض الأملاح أعادتها ثانية إلى وعيها، لم تكن أسوأ حالاً من حالة الرعب التى كانت عليها، وبالرغم من ذلك كانت حزينة على ما ضاع من رصيدها من المال.

أثناء ذلك أسرع المشرف قدر استطاعته على الطريق إلى السفينة كيتى لكن رجاله اضطروا أن يترجلوا ويتجهوا إلى الوادى الصغير الظليل، يقودون خيولهم لكنهم كانوا فى خوف دائم من الاكمنة التى قد تفاجئهم من القراصنة، لذا لم يكن هناك أمر يدعو للدهشة حين نزلوا إلى السفينة الموجودة فى أسفل الطريق.

نادى عليها واستجاب له صوت، أخبره أن يبقى بعيداً عن ضوء القمر وإلا سيطلق عليه الرصاص، ومرت فى نفس الوقت رصاصة بجوار ذراعه وضاعفت المركبة من سرعتها واختفت، وقف السيد دانس هناك وقال نحن مثل السمك الذى خرج من الماء وكل ما فعله أن أرسل رجلاً لكى ينذر المركب المسلح بالصفيح لمنع التهريب وقال:

- هذه النتائج أفضل مما لا شئ، لقد فلتوا بجلدهم وتلك نهايتهم وأنا سعيد أننى دهست مستر "بو" وكان مستر "دانس" قد سمع منى حكايتى من قبل.

عدت ثانية معه إلى فندق الأدميرال بنيو ولك أن تتخيل المنزل فى مثل هذه الحالة من الدمار، فقد دُمرت ورُميت كل الأشياء بواسطة هؤلاء العصاة بعد أن هربت أنا وأمى، وبالرغم من ذلك لم يؤخذ شىء إلا صرة نقود الكابتن وقليل من الفضة من الصندوق، رأيت فى الحال كم دُمرنا، لم يفعل السيد دانس شيئاً تجاه الأمر، قال دانس:

- لقد حصلوا على النقود لكنى أرى أنهم تركوا الكثير من النقود ولم يأخذوا كل شىء.
- ليست النقود ما جاءوا لأجلها يا سيدى، أعتقد أن هناك شيئاً آخر معى فى جيب الصديرى وسوف أخبرك بالحقيقة، أود أن يكون فى أمان.

قال مستر دانس:

- تأكد من ذلك يا بنى وسوف أخذه لو أردت.

قلت له:

- أفضل أن يكون مع الدكتور ليفزى.

قاطعنى السيد دانس قائلاً بسعادة:

- رائع جداً، إنه سيد وقاضى صلح والآن يجب أن أفكر فى الأمر، يجب أن أركب حصانى وأذهب إلى هناك بنفسى وأبلغه أو أبلغ العمدة عن موت السيد "بو" متى حدث، لست نادماً ولكنه مات، لقد رأيت ذلك بنفسك لكن الناس سوف ترى ذلك الأمر بصعوبة أن يحدث من ضابط ملكى، والآن أقول لك يا جيم هو كنز لو أردت سوف أخذك إلى هناك مباشرة.

شكرته من كل قلبى لعرضه، وعدنا ثانية إلى القرية حيث يوجد الفرسان، وقبل أن أخبر أمى بما سافعل كان جميع الفرسان مستعدين للذهاب، وأخبر مستر دانس زميله روجر قائلاً:

- أنت لديك حصان جيد، خذ الغلام جيم وراك.

وبمجرد أن ركبت الحصان خلف روجر أعطى السيد دانس المشرف أمره بالتحرك، بدأنا جميعاً فى طي الأرض طياً فى طريقنا إلى منزل الدكتور ليفزى.

٦- أوراق القبطان

امتنطينا الخيول متحمسين حتى نزلنا قبل باب الدكتور ليفزى، كان البيت مظلماً حتى مقدمته، أمرنى السيد دانس أن أقفز وأطرق الباب وأعطانى روجر السرج حتى أهبط، فُتِح الباب بواسطة الخادمة التى سألتها:

- هل السيد ليفزى موجود؟

قالت:

- لا، سيأتى البيت بعد الظهر لكنه ذهب إلى صالة الغذاء كي يتناول العشاء ويمر قبل المساء على العمدة والإقطاعى تريلونى.

قال السيد دانس:

- يجب أن نذهب إلى هناك يا أولاد.

ولأن المسافة لم تكن طويلة فلم نركب الخيل ومشيت بسرعة مع السيد روجر إلى بوابة البيت عبر طريق زراعى طويل كان بلا أوراق للشجر وينيره ضوء القمر حتى للبيوت الريفية التى تطل على الجانب الآخر للحائى القديمة العظيمة، هنا أخذنى السيد دانس معه بعد أن نزل عن حصانه وأمر له بالدخول إلى المنزل، قادنا الخادم إلى ممر مفروش بالحصى وأرنا فى النهاية مكتبة عظيمة مصفوفة بالكتب والتماثيل على قاعدتها، حيث يجلس الدكتور ليفزى والإقطاعى العمدة تريلونى يدخان البايب على جانبى نار هادئة، لم أر الإقطاعى من قرب لكنه كان رجلاً طويلاً، تقريباً ستة أذرع ارتفاع، عريضاً فى حجمه وصريحاً وصاحب وجه جاهز وجامد وخشن وخجول وعليه آثار الرحلات والسنين، له حاجبان سوداوان وكثيفان ويتحركان بثبات وذلك يعطيه نظرة غضب ليست سيئة على أى حال، قال الإقطاعى العمدة تريلونى بجلال وعطف:

- ادخل يا مستر دانس.

وقال الدكتور ليفزى بإيماءة ترحيب:

- مساء الخير يا دانس، مساء الخير عليك وعلى صديقك جيم، أى ربح طيبة أحضرتك إلى هنا؟

وقف المشرف مستقيماً وثابتاً وهو يحكى القصة وكأنه يلقي درساً جعل ذلك السيدين يتكئان للأمام إنصاتاً له حتى إنهما نسيا أن يطفأ الباب اهتماماً ودهشة ونظرا إلى بعضهما البعض حين سمعا كيف عادت أمى إلى الحانة مرة أخرى، ضرب الدكتور ليفزى فخذه دهنشاً وصرخ الإقطاعى العمدة تريلونى قائلاً بدهشة:

- برافو!!

وكسر الباب فى الحاجز الحديدى الذى أمامه وقبل أن يحدث ذلك بفترة نهض السيد تريلونى من مقعده وبدأ يخطو خطوات واسعة فى الحجرة وبدأ الدكتور يسمع لما يقال باهتمام وخلع باروكتيه وجلس ينظر بشكل غريب لببغائه الأسود والملتصق به وأخيراً انتهى السيد دانس من القصة، قال تريلونى:

- سيد دانس، أنت إنسان وزميل نبيل وبالنسبة لمصرع هذا الوغد البشع الأسود، فلا تأس، انظر لذلك كنوع من الفضيلة يا سيد، مثلما تركل صرصوراً، وهذا الغلام جيم هوكنز هو زميل عزيز ورفيق ملكى، أعى ذلك جيداً، اضرب الجرس يا هوكنز، لابد أن يأخذ السيد دانس بعض البيرة.

قال الدكتور ليفزى:

- وكذلك جيم، لابد أن يأخذ شيئاً، فأنت تمتلك الآن الشيء الذى جاءت من أجله العصابة، أليس كذلك؟

أعطيت الكيس الجلدى للدكتور وقلت:

- هاهو يا سيدى الكيس.

نظر الدكتور للكيس جيداً من كل جانب كما لو كانت أصابعه تريد أن تفتحه لكنه بدلاً من ذلك وضعه بهدوء فى جيب المعطف، قال الدكتور:

- سيدى تريلونى، حين ينتهى السيد دانس من شرب الجعة سيذهب بالطبع إلى خدمته الملكية وأريد أن يبقى جيم معنا لكى ينام فى بيتى بعد إذنك يا سيد تريلونى، أقترح أن نتناول الفطيرة الباردة وندعه يتناول عشاءه.

قال تريلونى:

- كما ترغب يا دكتور ليفزى، فجيم كسب أكثر من الفطيرة الباردة.

لذا أحضرت فطيرة كبيرة من المطبخ ووضعتها على المائدة وتناولت عشائى بشهية كبيرة لأننى كنت جائعاً كالصقر وقد كان السيد دانس يمدح كثيراً، وأخيراً غادرنا، قال الدكتور ليفزى:

- والآن يا تريلونى!

قال تريلونى فى نفس اللحظة:

- والآن يا دكتور ليفزى!

ضحك دكتور ليفزى قائلاً:

- لقد قلنا فى نفس واحد، أعتقد أنك سمعت عن قلنت.

قال الإقطاعى تريلونى صارخاً متعجباً:

- أتقول أسمع عنه!! إنه القرصان الأكثر دموية، بلاك بيرد(*) بالنسبة له طفل صغير والأسبان يخافون منه بشكل مرعب وكبير، أنا فخور أن هذا القرصان رجل إنجليزى، ولقد رأيت سفنه بعينى، خارج ترينداند، هو أكثر جرأة من الخمر ورأيت ذلك أثناء عودتى إلى ساحل الأسبان.

قال الدكتور ليفزى:

- لقد سمعت ذلك بنفسى فى إنجلترا، لكن الأمر هل يملك نقوداً؟!

(**) بلاك بيرد: مجرم دموى وسفاح.

صرخ الإقطاعى العمدة تريلونى متعجباً:

- ألم تسمع القصة، ما الذى أحضر هؤلاء الأشرار إلا المال ، ماذا سيهتمون به إلا المال؟ ولماذا سيفامرون بأجسادهم الوضيعة إلا من أجل المال؟

قال الدكتور ليفزى:

- سنعرف قريباً كل شىء، أنت تثير الحيرة والعجب جدا لدرجة أننى لا أستطيع أن أقول شيئاً بعدك، ما أريد أن أقوله هو أفترض أننى معى فى هذه الصرة مفتاح كنز فلنت المدفون، هل هذا الكنز كبير جدا كى نغامر لأجله؟!

صرخ الإقطاعى العمدة تريلونى قائلاً:

- إنه يعنى الكثير جدا، لو معى المفتاح الذى نتحدث عنه سوف أجهز سفينة فى رصيف برستول كى تأخذنا أنا وأنت وجيم مباشرة إلى هناك وسوف أحضر هذا الكنز حتى ولو بحثت عنه لمدة عام.

قال الدكتور:

- حسناً، الآن لو وافق جيم سوف نفتح الجيب.

ثم وضعها أمامه على المائدة، كانت الصرة مخيطة، أحضر الدكتور ليفزى شنطة أدوات وقطع الغرز بمقص طبى، كانت الصرة تحتوى على كتاب وورقة محكمة الغلق، أعطى الدكتور ملاحظة قائلاً:

- يجب أولاً أن نجرب الكتاب.

كنت والإقطاعى تريلونى نقف فوق رأسه حين فتح الكتاب، أمرنى الدكتور ليفزى أن أتحرك كى أكون حول المائدة التى كنت أتناول طعامى عليها كى أمتع بلحظة فتح هذا الكتاب، ففى الصفحة الأولى وجدت بعض قصاصات من الكتابة، مثل رجل بقلم فى يده ربما مصنوعاً للكسل أو النشاط، كان يشبه وشماً، وخيال ببلى بونز ومستتر ديبلو بونز موجودين ولكن بلا مزيد من شراب الروم وبعيداً عن مفتاح الشجرة الذى حصل عليه، كانت توجد بعض نتف وبعض كلمات فردية غامضة، لم أستطع أن أندesh أو أفهم من يكون هذا الذى يملك كلمة "أحصل عليه" وما هو الشىء الذى يحصل عليه، أشعر أنه كخنجر مخفى وراء ظهره لا أراه، كانت الصفحات العشرة أو

الاثنتا عشرة مليئة بالعبارات الغريبة الأطوار ويوجد تاريخ في نهاية كل سطر، وعند المبلغ الآخر للمال وكأن ذلك كشف حساب بنكى بدلاً من التفسير الكتابي والكتابة التفسيرية، نجد عدداً من التقاطعات المتنوعة بين كل اثنين.

على سبيل المثال، فى الثانى عشر من يونيو عام ١٧٤٥، مبلغ من المال يقدر بـ ٧ جنيهاً صاروا من حق شخص ما، ولا يوجد شيء فى الصفحة إلا ستة تقاطعات لكى تفسر الأمر وتوضحه، وفى بعض الأحوال لكى تكون متأكدًا يضاف اسم المكان مثل "أوف كاركاس" أو خط العرض والطول مثل: ٦٢، ١٧، ٢٠، ١٩، ٢، ٤٠ ظل الرقم ما يزيد عن ٢٠ عاماً ومقدار العبارات المنفصلة يزداد اتساعاً كلما مر الزمن وفى النهاية رأينا مجموعاً كبيراً بعد خمس أو ست إضافات خاطئة، كما أضافت تلك الكلمات "بونز وكومته".

قال الدكتور ليفزى متعجباً:

- أنا لا أفهم شيئاً.

رد على تريلونى صارخاً:

- هذا واضح مثل الظهيرة، فكلب الصيد الأسود هذا يستطيع أن يقدر الحساب، فالتقاطعات تمثل السفن أو المدن التى غرقت أو نهبت، فالمبالغ هى أنصبة الوغد لأنه كان خائفاً فجعل الشيء غامضاً ثم وضع شيئاً جعله أكثر وضوحاً وهو "أوفى كاركاس" والآن كما تشاهدون يوجد هنا مركبة غير سعيدة تبحر خارج الساحل وليساعد الرب الأرواح المسكينة التى توجد عليها، فكم قابلوا الشعاب المرجانية من قبل.

قال الدكتور:

- حسناً.. كم يتكلف المسافر كى يكون آمناً، حسناً فالتقدير يزيد كلما زاد فى مرتبته أو منزلته.

كان يوجد مقدار قليل وبعض الاحتمالات القليلة لبعض الأماكن الموضوعه بأوراق الشجر البيضاء فى اتجاه النهاية ومنضدة لتقليص قيمة الأموال الفرنسية والإنجليزية والإسبانية إلى قيمة عامة، صرخ الدكتور قائلاً:

- ياله من رجل مقتصد، لم يكن أحد يستطيع أن يغشه أو يخدعه!

قال الإقطاعى تريلونى:

- والآن.. ماذا بالنسبة للآخر؟!

كانت الورقة محكمة الغلق فى جوانب عديدة باستخدام الكشتبان عن طريق ختمها، احتمال أن يكون الكشتبان الموجود فى جيب الكابتن، فتح الدكتور ليفزى الأختام بعناية فائقة فسقطت خريطة الجزيرة مرسوماً عليها خطوط الطول والعرض والأعوام وأسماء التلال والخلجان وكل شئ يحتاج لإحضار سفينة إلى مرسى أمام شواطئها.

كانت الجزيرة حوالى تسعة أميال طولاً وخمسة أميال عرضاً وتبدو وكأنها تنين ضخم يقف وله ميناءان على قطعة من الأرض المغلقة وتل فى الوسط يسمى النظارة المكبرة، وتوجد بعض الإضافات لتاريخ لاحق، وفوق كل ذلك يوجد ثلاثة صلبان مرسومان بالحبر الأحمر، اثنان منهما فى الجزء الشمالى من الجزيرة والآخر فى الجهة الجنوبية الغربية ويجانب ذلك يبقى نفس الحبر الأحمر فى كف أنيقة صغيرة تختلف عن شخصيات الكابتن المائلة وهذا كله يعنى أن الكنز موجود هنا.

وعلى ظهر الخريطة، كتبت نفس اليد بعض المعلومات الإضافية، شجرة طويلة، كتف جبل النظارة المكبرة، اتجاه يشير إلى الشمال من شمال شمال شرق جزيرة الهيكل شرق جنوب شرق لعشرة أقدام، سبائك الفضة فى مخبأ الشمال، من الممكن أن تجد ذلك فى اتجاه شرق الرابية، وعشر قامات أى حوالى ٦٠ قدما جنوب الصخرة السوداء التى لها سطح. ستجد ألسنة البحر بسهولة فى التل الرملى وتشير إلى شمال نقطة رأس الخليج فى اتجاه الشرق وعند الممر شمالاً.

وكان ذلك كل شئ، ولكنه كان باختصار كما يتضح، ولكنه كان بالنسبة لى غير مفهوم ولكنه ملأ العمدة تريلونى والدكتور ليفزى بالسعادة. قال الدكتور ليفزى للإقطاعى العمدة تريلونى:

- يجب أن نتوقف عن هذا العمل البائس الآن.

رد قائلاً:

- لذا سأنتج إلى برستول وخلال ثلاثة أسابيع، لا. بل خلال أسبوعين، لا عشرة أيام، سيكون عندي أحسن سفينة وأحسن طاقم بحار فى إنجلترا كلها وسيأتى معنا جيم كمساعد كابينه، ستكون أشهر ولد كابينه يا جيم وستكون يا ليفزى طبيب هذه السفينة وسأكون أنا الأدميرال.. أمير البحر وسأخذ معى خدمى ردروث وجويس وهنتر وستكون معنا الريح الطيبة، والممر السريع ولن نجد صعوبات كثيرة فى العثور على تلك الجزيرة وسيكون معنا المال للأكل والبحث واللعب.

قال الدكتور ليفزى:

- سأذهب معك يا تريلونى وسأتولى كفالة ذلك، ومسئولية جيم وكن واثقاً من هذا التعهد، ما أخاف منه رجل واحد فقط.

صرخ الإقطاعى تريلونى قائلاً:

- من هذا؟! اذكر لى اسم هذا الكلب يا سيدى.

أجاب الدكتور:

- أنت!! لأنك لا تستطيع أن تمسك لسانك، فنحن لسنا الذين يعرفون أسرار هذه الأوراق فقط، هؤلاء الذين هاجموا الحانة الليلة جماعة من الأوغاد المسلحين بأسلحة بائسة، إضافة للباقيين الذين على ظهر السفينة وأكثر من ذلك لا تعرفهم، أقول لك جازماً: إنهم ليسوا بعيدين عن هنا، جميعهم كبيراً وصغيراً جاؤا من أجل هذه النقود، ويجب ألا يكون أحد بمفرده حتى نصعد للسفينة، أنا وجيم سوف نلتصق ببعض وأنت يجب أن تأخذ معك جوسى وهنتر حين تذهب إلى برستول وقبل كل شىء وبعده يجب ألا يتنفس أحد بكلمة واحدة عما نعرفه وعما وجدناه.

قال الإقطاعى العمدة تريلونى:

- ليفزى.. أنت دائماً صبح، ساكون صامتاً مثل القبر.

الجزء الثاني
(طبأخ البحر)

٧- ساءذهب إلى برستول

مر وقت طويل عما تخيله الإقطاعى تريلونى قبل أن نكون جاهزين لركوب البحر، لم يكن ذلك فى خططنا الأولية ولا حتى فى خطط الدكتور ليفزى أن أظل بجواره وأن ننفذ ما قد نوبنا وأردنا، فقد ذهب الدكتور ليفزى إلى لندن لكى يكلف أحد الأطباء ليتولى مهام عمله أثناء غيابه، وعشت أنا فى الصالة تحت مسئولية "ردروث" حارس الطرائد الذى يمنع الغرباء من الصيد فى القرية أو التطفل، كنا تقريباً كسجينين لكنه كان مملوءاً بأحلام البحر وكل التوقعات الساحرة للجزر الغريبة والمغامرات القادمة.

لقد فكرت كثيراً فى الساعة التى نكون فيها حول الخريطة ومعنا كل التفاصيل التى سوف أتذكرها جيداً، لقد قربت تلك الجزيرة من خيالى من كل الجهات، حاولت أن أستكشف كل شبر من سطحها، تسلقت مئات المرات إلى التل الذى يدعوته النظارة المكبرة، تمتعت من فوق القمة بالمشاهد الطبيعية الرائعة والمتغيرة، أحياناً تكون السفينة مكتظة بالوحوش الضارية الذين تقاثلهم وأحياناً ملائمة بالحيوانات الخطيرة التى تصطادها، لكن على أى حال لم أتخيل شيئاً غريباً أو مأسوياً فى رحلتنا الفعلية.

ومرت الأيام حتى جاء خطاب فى أحد الأيام الطيبة مُعنوناً للسيد ليفزى وعليه ملاحظة.. يفتح فى حالة غيابه بواسطة "توم ردروث" أو بواسطة الصغير "جيم هوكنز"، وتنفيذاً لأوامره وجدنا أو قد وجدت بعض الأخبار التالية المهمة والجدير بالذكر أن الحارس ردروث لم يكن جيداً فى القراءة.

(حانة انكر القديمة، برستول ١ مارس، ١٦)

- عزيزى الدكتور ليفزى:

"أنا لا أعرف إذا ما كنت موجوداً فى البهو أم مازلت فى لندن، لقد أرسلت الرسالة إلى كل من المكانين، لقد اشترت السفينة وجهزتها وهى تقبع فى مرساها وجاهزة كى تبحر، لن نتخيل كم هى تكون مركبة شراعية جميلة، فالطفل يستطيع أن يقودها وتأخذ حمولة مائتى طن وتسمى "هيسبنيولا"، حصلت عليها عن طريق صديقى "بلاندى" الذى برهن أنه الإنسان المفضل والأكثر دهشة لى والزميل الأكثر إعجاباً من الجميع والأكثر اهتماماً منى وعن كل واحد فى برستول وبمجرد أن يكتشف الناس أمر السفينة فى الميناء سوف نبحر لأجل الكنز وأعنى ذلك تماماً".

توقفت عن القراءة وناديت على ردروث:

- ردروث!! لم يحب الدكتور ليفزى ذلك، فالإقطاعى تريلونى مازال يتحدث عن أمر الكنز بعد كل ذلك.

تذمر الحارس ردروث قائلاً:

- أيهما الأفضل والأصح، أرى أن مشكلة ما سوف تحدث إذ لم يتحدث الإقطاعى تريلونى مع الدكتور ليفزى، أعتقد ذلك.

توقفت بعد ذلك تماماً عن إعطاء أى تعليق وواصلت القراءة دون توقف...

- لقد وجد "بلاندى" نفسه المركبة هيسبنيولا، كما أوجد لها الطاقم الإدارى لتلك الرحلة البسيطة، توجد طبقة من الرجال فى بريستول يقفون ضد بلاندى، لقد تمادوا فى اتهامهم له أن هذا المخلوق يفعل أى شئ من أجل المال وأنه يمتلك السفينة وباعها بسعر عالٍ وأعتقد أن ذلك تشويه كبير جداً لسمعة الرجل ولا أحد بالرغم من ذلك يجرؤ أن يقلل من سمات السفينة، وأكد أنه لن يكون هناك أى تطفل على السفينة ولن يوجد إلا الرجال والأجهزة اللازمة وقد تكون الرحلة بطيئة قليلاً لكن الزمن سوف يعالج أى أخطاء ولن يضايقنى إلا طاقم السفينة، وأتمنى أن أجد مجموعة محورية مخصصة من الرجال فى حالة وجود أى من القراصنة أو الفرنسى البغيض، لدى قلق من الاثنين تجعلنى أحاول أن أجد نصف دسته من هؤلاء الرجال المخلصين وأومن أن لدى الحظ الذى سوف يحضر لى الرجال الذين أطلبهم.

وأنا جالس على رصيف الميناء منتظراً لتلك الحادثة المهمة تحدثت مع رجل، اكتشفت أنه بحار عجوز له منزل عام ويعرف كل البحارة في برستول وقد أضاع عمره على الشاطئ ويريد فقط مكاناً جيداً كطباخ لكى يرى البحر ثانية، وأنه يعرج وأكد لى أنه يتمنى أن يشم يود البحر.

لقد تأثرت كثيراً لحالته وأعتقد أنك ستتأثر كذلك، وبعيداً عن الشفقة اتفقت معه أن يعمل طباًخاً للسفينة، اسمه لونج جون سيلفر وفقد إحدى قدميه حين كان يخدم الوطن تحت قيادة القائد الخالد هوك(*) وأرى أن ذلك تركيبة له، ومنذ ذلك الوقت لا يمتلك معاشاً، هل تتخيل يا دكتور ليفزى هذا العجر الكريه الذى يعيش فيه.

حسناً سيدى، كنت أعتقد أننى وجدت مجرد طبباخ لكنى وجدت طاقماً كاملاً، صار بينى وبين سيلفر صحبة فى أيام معدودة، ليس بالسهل أن تُخترق، فلها روح لا تقهر، فلسنا مجرد صاحبين عابرين، أعلنت أننا قد نحارب سفينة بحرية، واستطاع لونج جون أن يخلصنى من اثنين من ستة أو سبعة رجال كنت قد اتفقت معهم للعمل معنا، فقد كشف لى فى لحظة أنهما لا يصلحان لهذه المغامرة المهمة جداً.

أنا فى أحسن أحوالى الصحية وروحى المعنوية عالية جداً وأكل مثل ثور وأنام قرير العين مثل شجرة، ولكنى لن أستمتع بتلك اللحظة حتى أسمع وقع أقدام الملاحين حول رحوبة(**) السفينة، ما أروع البحر حين نحصل على الكنز، إنه كبرياء البحر الذى غير رأسى تماماً، والآن يا صديقى دكتور ليفزى تعال بسرعة لا تضيع أى ساعة إذا كنت تقدرنى، دع الصغير جيم يذهب فى الحال لأنه كى يراها مع ردروث لحراسته ثم يأتيان بسرعة إلى برستول.

"جون تريلونى"

(*) أدميرال إوارد هوك انتصر فى معظم المعارك ضد الفرنسيين والإسبان أثناء حرب السنوات السبع (١٧٥٦-١٧٦٣)

(**) أداة يديرها الملاحون لرفع الأثقال أو المراسى.

ملحوظة:

لم أخبرك أن بلاندى هو الذى يجب أن يرسل لنا سفينة مرافقة إذا لم نبدأ قبل نهاية أغسطس وقد وجد لنا زميلاً رائعاً لقيادة الإبحار، هو رجل صارم للأسف لكنه فى كل الأحوال يحترم الكنز، اكتشف لونج جون سيلفر لنا رجلاً كفوئاً مؤهلاً للزمالة يسمى "أرو" لكن لدينا عريف الملاحين الذى يصدر الأوامر بصفارته، لذا أعتقد أن الأشياء كلها ستكون على نسق عسكري فى السفينة الرائعة هيسبنيولا.

نسيت أن أقول لك: إن سيلفر رجل غنى، عرفت بمعلوماتى الخاصة أنه يمتلك حساباً فى البنك الذى لم يسحب منه شيئاً حتى الآن وأنه ترك زوجته تدبر الحانة، وهى امرأة من الملونين، فزوج من غير المتزوجين مثلى ومثلك ربما يعذران إذا فهمنا أن تلك الزوجة القوية أرسلته كي يعاود التجوال والسفر مرة أخرى.

"جون تريلونى"

ملحوظة:

ربما يقضى جيم مع أمه ليلة واحدة.

"جون تريلونى"

لا تستطيع أن تتخيل كم الإثارة التى وضعنى فيها هذا الخطاب، أصبحت سعيداً جداً رغم أنني أتضايق من الرجل العجوز "توم ردروث" الذى لا يفعل شيئاً إلا التذمر والنذب، ولا يستطيع أى من الرجال الذين يحرسون الطرائد أن يغير الأماكن معه بسعادة وهذا لا يسعد الإقطاعى رغم أن سعادة الإقطاعى تريلونى مثل قانون بينهم، فلا أحد غير "ردروث" يجزؤ أن يتذمر.

فى الصباح التالى خرجنا سيراً على الأقدام إلى فندق الأدميرال بنبو، وجدت أمة بصحة جيدة وروح معنوية عالية، فالكابتن الذى طالما سبب لنا المشاكل قد رحل إلى حيث التوقف النهائى عن المشاكل، فقد أصلح الإقطاعى تريلونى كل شئ وأعاد دهان الحجرات العامة واللافتة وأضاف بعض الأثاث، إضافة إلى كرسى جميل وثير لأمة على البار وأحضر لها غلام صغير يساعدها كي لا تحتاج أى مساعدة أثناء غيابه.

وعند رؤية هذا الغلام عرفت لأول مرة أهمية دورى وشعرت كم المغامرة التى سيكون عليها البيت وأنا غائب، حين شاهدت هذا الغلام غير المدرب، كيف سيأخذ مكانى بجوار أمى، كانت حقيقة مؤلة، شعرت بدموعى تهاجمنى لأول مرة، أنا خائف أن أترك أمى فى حراسة هذا الولد الذى ما زال جديداً على العمل، كان لدى بعض الوقت كى أدربه وأتركه فى مكانى، كان لدى المقدرة لفعل ذلك.

مرت الليلة سريعاً وكذلك نهار اليوم الثانى وبعد العشاء خرجت مع رودروث إلى الطريق نمشى على أقدامنا بعد أن ودعت أمى والخليج الذى عشت بجواره منذ أن ولدت وفندق الأدميرال بنبو العجوز الذى لم أر أجمل منه خاصة بعد أن أعيد دهانه.



ودعت أمى والخليج

كانت آخر الأفكار التى راودتنى عن الكابتن الذى كان يتمشى على الشاطئ يرتدى قبعته المربودة وسيفه وتلسكوبه القديم، وبعد لحظة استدرنا تاركين المكان واختفى البيت من أعيننا.

ركبنا عربة البريد عند الغسق من عند محطة جورج الملكية عند المستنقع جلست بين درووث ورجل عجوز لطيف، وبالرغم من حركة العربة السريعة وهواء الليل البارد فإننى نعست لفترة منذ بداية الرحلة، نمت وكأنتى سفينة تصعد تلالاً وتهبط لوادٍ فترة بعد أخرى، ثم استيقظت أخيراً على رفصة فى أضلاعى ففتحت عيني لنجد أنفسنا نقف قبل مبنى كبير فى شارع المدينة الكبير وظل هذا اليوم يحمل ذكرى حزن فى ذاكرتى لوقت طويل.

سألت: أين نحن.

قال قوم: برستول، انزل.

تبوأ السيد تريلونى مقعده فى حانة ليست بعيدة عن أرصفة الميناء لكى يشرف على العمل فى السفينة، اضطررنا أن نذهب إلى هناك، كانت فرحتى كبيرة، وضعنا رحالتنا على الأرصفة بجوار حشد كبير من السفن التى من كل الأحجام ويكل المعدات ومن كل الجنسيات، كان البحارة يغنون أثناء عملهم وفى أماكن أخرى حيث الكثير من الرجال فوق رؤوسنا يشعرون الحبال التى تبدو أسماك من خيوط العنكبوت، وبالرغم من أننى كنت أعيش بجوار الشاطئ طوال عمري فإننى شعرت أننى لم أعش بجوار البحر قط، حين شاهدت الميناء، كانت رائحة القار والملح جديدة فى أنفى، رأيت أعجب رؤوس على ظهر المحيط، رأيت بالإضافة لذلك بحارة يرتدون الطلقان فى أذانهم وسوالفهم المجددة فى حلقات وضمائرهم تتهاوى وطريقتهم المتبجحة الخرقاء ولو أننى قد رأيت الكثير من الملوك والأساقفة لما كنت سعيداً جداً كما الآن.

ذهبت إلى البحر بنفسى كى أبحر مع بحار هادئ مسالم وبحارة بضفائر يغنون، يبحرون خصيصاً لجزيرة غير معروفة كى يبحثون عن الكنز المدفون، بينما كنت فى

حلمى السعيد وصلنا فجأة أمام حانة كبيرة، قابلنا الإقطاعى تريلونى، كان يرتدى مثل ربان البحر ملابس زرقاء قوية، خرج من الباب بابتسامة على وجهه وتقليد كبير لمشية البحار، وصاح:

- تفضلاً.. براقو، لقد اكتملت صحبة السفينة.

صحت قائلاً:

- سيدى ومتى نبحر؟!

رد قائلاً:

- نبحر!! سوف نبحر غداً.

وجاء الدكتور ليفزى من لندن الليلة الماضية.

٨- عند علامة جبل النظارة الكبيرة

حين أعددت طعام الفطور أعطاني الإقطاعي تريلوني ورقة كملحوظة موجهة إلى جون سيلفر - عند علامة جبل النظارة الكبيرة - وأخبرني أنني سأجد مكانه بسهولة إذا سرت في اتجاه أرصفة الميناء وسأجد حانة صغيرة عليها تيليسكوب نحاسي كبير كعلامة، بدأت الرحلة سعيداً لأنني سأجد الفرصة لأرى كثيراً من السفن والبحارة وأخذت طريقى بين جمهور كبير من الناس وعربات الكارو ويالات الملابس القديمة وصار الرصيف الآن أكثر زحمة من ذي قبل حتى وجدت الحانة.

كانت الحانة مكاناً صغيراً وجميلاً للتسلية وأعيد دهان اللافتة حديثاً والشرفات أنيقة وعليها ستائر حمراء والأرضية كانت مفروشة بالرمال ويوجد شارع على كل جانب وباب مفتوح في كلا الشارعين بحيث يجعل الحجرة الواسعة المنخفضة تُرى بوضوح بالرغم من دخان التبغ، كان الزبائن أغلبهم من البحارة ويتحدثون بصوت عالٍ لدرجة أنني توقفت عند الباب خائفاً أن أدخل عليهم.

بينما كنت أنتظر، خرج رجل من حجرة جانبية وفي لمح البصر تأكدت أنه لونج جون سيلفر، فساقه اليسرى كانت مقطوعة من عند وركه وكان يستند على عكاز تحت كتفه الأيسر، يمكنه من التحرك ببراعة ويقفز مثل طائر، كان طويلاً وقوياً ويوجه ضخم مثل الخنزير الشاحب، لكنه كان ذكياً ومبتسماً ويبدو في أحسن حالاته المعنوية ويصفر حين يتحرك بين المقاعد ويقول كلمات مرحة ويطرق على كتف الأكثر محبة له من الضيوف.

والآن أقول لكم الحقيقة، فحين رأيت لونج جون سيلفر لأول وهلة في خطاب تريلوني، صرت أخاف منه في عقلي، فاحتمال أن يكون هو نفسه البحار صاحب القدم الواحدة الذي انتظرت قدومه طويلاً في فندق الأدميرال بنبو القديم، لكن تكفى نظرة

واحدة للرجل للتأكد، فقد رأيت الكابتن والكلب الأسود والرجل الأعمى بو وأعتقد أنني أعرف ما يكون عليه القرصان، بالطبع هو مخلوق مختلف - طبقاً لى - عن الإقطاعى صاحب الأرض وصاحب المزاج العالى السعيد والمنمق.

استجمعت شجاعتي فى الحال وعبرت عتبة المحل وتوجهت مباشرة إلى الرجل حيث يقف مستنداً على عكازه ويتحدث إلى أحد الزبائن، سألته وأنا أمسك الرسالة:

- أنت مستر سيلفر يا سيدى؟!

قال لى:

- نعم أيها الفتى، هو اسمى بالتأكيد، ومن أنت إذن؟!

وشاهد خطاب الإقطاعى تريلونى وشعرت أنه يريد أن يفعل شيئاً وقال بصوت عالٍ قليلاً ومد يده:

- نعم.. أنت مساعد الكابتن الجديد، سعيد أن أراك.

وصافحنى بحماس وثبات بعد أن أخذ يدى فى يده، ثم وقف أحد الزبائن فجأة فى الجانب البعيد من الحانة واتجه ناحية الباب، اقترب من سيلفر ثم خرج للشارع فى لحظة، لكن سرعته قد جذبت اهتمامى، لقد تعرفت عليه فى لمح البصر، إنه الرجل صاحب الوجه المشحم الفاقد لإصبعين والذي جاء من قبل إلى فندق الأدميرال بنبو، صرخت:

- آه.. أوقفوه.. إنه الكلب الأسود!

صرخ سيلفر:

- إنه لم يدفع حسابه، من هذا، ضاعت الجنيهات، هارى، أسرع وراءه وأقبض عليه.

قفز أحد الزبائن الذى كان بجوار الباب مسرعاً وبدأ يطارده، صرخ سيلفر بعد أن ترك يدى قائلاً:

- لو كان الأدميرال هوك نفسه، سيدفع حسابه.

قلت:

- من يكون؟!

- الكلب الأسود يا سيدي، لم يقل لك السيد تريلوني عن القراصنة، إنه واحد منهم.

صرخ سيلفر قائلاً:

- لذلك.. هو في حانتى!! بن، اجر وراءه وساعد هارى، أهو أحد الملاحين؟! هل شربت معه يا مورجان.. تعال هنا.

كان مورجان رجلاً عجوزاً، أشيب الشعر، بحاراً له وجه ماهوجنى(*)، جاء إليه بسرعة وخجل وكان يمضغ شيئاً، قال له بصرامة:

- والآن يا مورجان، لم تضع عينيك قط على هذا الأسود، الكلب الأسود من قبل، أليس ذلك؟!

قال مورجان بترحيب:

- لا يا سيدي.

سأله سيلفر:

- ألا تعرف اسمه؟!

قال مورجان:

- لا يا سيدي.

قال له سيلفر:

- اسمع يا مورجان، لو أنك اختلطت مع هذا الرجل بعد ذلك، لن نقدم لك طعاماً فى حانتنا بعد ذلك، يجب أن تلتزم بذلك وأن تقول لنا ماذا كان يقول لك وهذا أحسن لك.

(*) لون بني ضارب إلى الحمرة.

قال مورجان:

- أنا لا أعرفه جيداً يا سيدى.

- كيف؟! ألا تحمل رأساً فوق كتفك تستطيع أن تميز بها، هل فقدت رؤيتك للناس يا مورجان.. ألا تعرفه فعلاً.. أمتأكد من ذلك؟! ربما لم تكن تعرف مع من تتحدث، ربما، تعال الآن، تُرى فيما كان يتحدث معك، عن رحلات السفن، قل عن ماذا يتحدث معك؟!

قال مورجان:

- كنا نتحدث عن عقاب سحل أحد الأشخاص تحت سطح السفينة.

- سحل رجل تحت سطح السفينة؟ وهل ذلك شيء مناسب؟! وهل اقتنعت بما يقول؟! هيا ارجع مكانك عند الملاح يا توم مورجان.

وبينما يعود مورجان ثانية إلى مقعده، أضاف لى سيلفر فى همس صامت أن مورجان شخص مجامل ومداهن جدا بينما أعتقد أنه شخص أمين لكنه غبى فقط، ثم استمر فى الصياح بصوت عالٍ:

- دعونا نرى الكلب الأسود!!

لا، لا أعرف الاسم، ليس أنا، ومع ذلك أعتقد أننى رأيته، نعم، رأيت هذا الفظ، اعتاد أن يأتى هنا مع الشحاذ الأعمى، نعم اعتاد.

قلت له:

- هل يفعل ذلك، أأنت متأكد، أنا أعرف هذا الرجل الأعمى، اسمه "بو".

قال سيلفر ثائراً:

- إنه هو!! بو! هذا اسمه بالتأكيد، يبدو كالوحش، هو كذلك، فلو طاردنا هذا الكلب الأسود، أعتقد أننا سيكون لدينا معلومات للكابتن تريلونى، "بن" عداء جيد لعله يقبض عليه، وبعض البحارة أيضاً أفضل من "بن" يجب أن يطاردوه ويقبضوا عليه بالقوة، لقد تحدث عن السحل تحت السفينة وأنا سوف أجرجه تحتها.

وظل طوال الوقت ينخع بهذه الكلمات ويربك الحانة بعاكزه ويضرب الموائد بيده ويقدم عرضاً من الإثارة لإقناعنا وكائه القاضى العجوز بيلي^(*) أو أعداء شارع بو، لقد ثارت شكوكى مرة أخرى حين وجدت الكلب الأسود عند الحانة، راقبت الطباخ عن قرب، لكنه كان أكثر حيطة وعمقاً وجاهزاً دائماً ونشطاً جيداً بالنسبة لى، وبعد فترة جاء رجلان مقطوعا النفس واعترفا أنهما فقدا أثره واختفى فى الزحام، فعنفهما سيلفر كاللصوص ولم أستطع إلا أن أصدق براءة سيلفر بشكل مؤقت.

قال سيلفر:

- أرايت ما حدث يا جو؟! يوجد تعاطف كبير على رجل مثلى كان قبطاناً، تُرى ماذا سيقول ويعتقد تريلونى؟ فقد كان فى بيتى رجل هولندى لعين، يجلس يحتسى شراب الروم، لقد جنّت وأخبرتني بذلك بكل وضوح، سوف أطلب منه أن يسامحنا على تلك الهفوة قبل أن نصعد إلى السفينة، والآن يا هوكنز، ستكون معى عادلاً مع الكابتن، أنت غلام جيد فعلاً، أنت إنسان ذكى مثل الحياة، سأذكر دائماً أول مرة جنّت فيها إلى هنا، والآن ماذا سأفعل بهذا الضلع الخشبى القديم من أضلاع المركب، إننى أعرج عليه، فعندما كنت ملاحاً فى البداية، كنت أقف بجوار الربان دائماً وأمسك بيده وأقترب منه بسرعة جداً، كنت أفعل ذلك، أما الآن..

وبعد لحظة وفجأة توقف وتدلّى فمه وكأنه يتذكر شيئاً ما وصاح بأعلى صوته:

- الحساب.

و دعا الثلاثة إلى شرب الروم فى الحانة، لماذا ترتعد أضلاعى حين أتذكر دفع الحساب؟!

ثم سقط على الطاولة، كان يضحك حتى تساقطت دموعه على خديه وضحكنا ثانية معاً وزاد الضحك أكثر حتى حذرنا من الحانة.

قال وهو يمسح دموعه:

- أنا لا أستطيع مقاومة الذهاب معكم.

(*) أحد أعضاء شرطة لندن التى أسست عام ١٧٥٠ ووجدت فى محكمة شارع بو.

وأضاف أخيراً:

- لماذا.. يالى من عجل بحر قديم قدير، أنا ذلك!!

ثم مسح خديه وأكمل:

- أنا وأنت سنكونان على حافة البئر يا جيم، وسوف أخذ معى صندوقى الذى ستضعوننى فيه حين أموت، ساكون فى منزلة غلام السفينة وأنا الذى كنت رباناً، لكن تعال الآن وأجهز حتى نذهب، سأرتدى قبعتى وأذهب معك مباشرة للسيد تريلونى وسوف أكتب له تقريراً عن الحالة وتذكر أن الأمر جد خطير، أيها الصغير جيم هوكنز، فلا أنا ولا أنت سنبعد عن الموضوع حتى بما حاولنا أن نفعله من جرأة لكى نكسب الثقة، لا أنا ولا أنت سنقول شيئاً عن الموضوع، فلا أحد منا لديه المقدرة، لكن ثق بى وهذا أمر جيد بشأن رصيدى عنده.

وبدأ يضحك مرة ثانية من قلبه لدرجة أننى اعتقدت أنه قال نكتة لما أسمعها وبدأت أسايره فى مرحة وأثناء سيرنا عبر الأرصفة، جعل من نفسه زميلاً شيقاً ومسلماً، حدثنى عن السفن المختلفة التى نمر بها وعن أشرعتها وحمولتها بالطن وجنسياتها وشرح لى العمل الذى يتطلع إليه، وكيف تفرغ السفينة حمولتها وتحميل أخرى بالبضائع وكيف تكون جاهزة بعد ذلك لرحلتها ومن وقت لآخر يحكى لى حكايات نادرة عن الفن والبحارة ويكرر عبارات متعلقة بالبحارة حتى تعلمتها بشكل رائع، بدأت أرى أنه سيكون واحداً من زملاء السفينة المحتملين.

وعندما وصلنا إلى الحانة، كان الإقطاعى تريلونى والدكتور ليفزى يجلسان معاً وقد انتهيا من ربح بيرة وبعض اللحم المقدد قبل الذهاب على المركب من أجل رحلة الأمل والبحث عن الكنز، وبدأ لونج جون سيلفر القصة من البداية حتى النهاية وبإحساس عال وحقيقة كاملة وكان دائماً يقول من وقت لآخر:

- وذلك هو الذى حدث بالضبط، أليس كذلك يا جيم.

وكننت دائماً أتحملة فيما يقول، وندم السيدان كثيراً لهروب الكلب الأسود بعيداً ولكننا جميعاً اتفقنا أنه لا داعى لأن يحدث ذلك وبعد أن جامل السيدان سيلفر، أخذ عكازه ورحل وصاح الإقطاعى تريلونى بعده:

- كل المساعدين سيرحلون للخارج قبل الرابعة ظهراً.

ثم صاح الطباخ وهو فى الممر قائلاً:

- نعم يا سيدى.

وقال الدكتور ليفزى:

- نعم، تريلونى، وإن كنت لا أضع أملاً كبيراً على اكتشافك بصفة عامة لكن أقول لك: إن جون سيلفر يناسبنى.

وأعلن الإقطاعى تريلونى قائلاً:

- الرجل شخص مناسب!!

وأضاف الدكتور:

- والآن احتمال أن يأتى جيم معنا واحتمال لا.

قال تريلونى:

- سيأتى بالتأكيد، خذ قبعتك يا جيم وسوف نتفقد السفينة.

٩- الأسلحة والذخيرة

استقرت السفينة بعيداً إلى حد ما، ذهبنا إلى مقدمتها وحول مؤخرات بعض السفن، كانت كابلات تلك السفن تنتشر أحياناً تحت سفينتنا وأحياناً تتأرجح فوقنا، وأخيراً صرنا بجوار بعضنا وقابلنا أحد الزملاء وحيانا على ظهر السفينة، كان "أرو" وهو بحار عجوز غامق اللون يرتدى حلقاً فى أذنيه وبه بعض الحول، كان والإقطاعى تريلونى صديقين جداً ولكنى لاحظت أن تلك الصداقة لم تكن موجودة بين تريلونى والكابتن.

كان الأخير رجلاً حاد النظر، يبدو غاضباً من كل شىء على ظهر السفينة وكثيراً ما يقول لماذا، خاصة حين ننزل بصعوبة إلى الكابينة ويتبعنا بحار، قال:

- الكابتن سموليت يا سيدى، قليلاً ما سيتحدث معك.

رد الإقطاعى تريلونى قائلاً:

- أنا دائماً ساكون تحت أمر الكابتن فى أى شىء يريد.

دخل الكابتن سموليت الذى كان قريباً جداً من رسوله وأغلق الباب وراءه.

- حسناً كابتن سموليت، ماذا تقول فيما أعددنا، كل شىء تمام، أمل ذلك، كل ما نحتاجه فى الرحلة..

قال الكابتن:

- حسناً يا سيدى، الأحسن أن نتحدث بوضوح، حتى مع تلك المخاطرة بهذا الهجوم لا أحب تلك الرحلة البحرية ولا أفضل هؤلاء الرجال والضابط الأول للسفينة، إنه قصير ورقيم.

تسأل الإقطاعى تريلونى قائلاً:

- ربما لا تحب تلك السفينة يا سيدى كما أرى.

قال الكابتن:

- لا أستطيع أن أقول ذلك يا سيدى فلم أرها وهى تبحر، فهى تبدو مركبة ماهرة أكثر مما قلت.

قال تريلونى:

- وربما لا تحب صاحبها أيضاً يا سيدى.

وعند تلك النقطة تدخل الدكتور ليفزى قائلاً:

- انتظر لحظة، استخدام الأسئلة بتلك الطريقة يؤدى إلى مشاعر سيئة، الكابتن قال كلاماً كثيراً أو قليلاً، أنا مضطر أن أسأل عن معنى بعض الكلمات، لقد قلت أنك لا تحب الرحلة.. لماذا؟

قال الكابتن:

- لقد كنت مشغولاً يا سيدى بما يسمى الأوامر الحاسمة لإبحار السفينة واكتشفت أن كل واحد فى السفينة يعرف عنها أكثر منى، لم أضع يدي على كل شىء فى السفينة، فهل هذا يعقل؟!

رد الدكتور ليفزى قائلاً:

- لا.. لم أفعل.

وأضاف الكابتن:

- وبعد ذلك عرفت أننا سنبحر وراء الكنز، سمعت عنه من بعض معاونين لى، هل تصدق ذلك؟ وأرى أن البحث عن الكنز شىء حساس جداً، أنا لا أحب رحلات البحث عن الكنز على أى حال وخاصة حين يكون الأمر سرّاً وبالرغم من ذلك يعرف أمره الجميع، حتى البيغاوات تعرفه، أرجو أن تسامحنى يا سيد تريلونى.

سأله تريلونى:

- بيفاء سيلفر؟!

قال الكابتن:

- لا.. إنه تعبير يشير أن الجميع يعرفون الأمر، أعتقد أن لا أحد من الشباب يعرف إلى أى مكان نسير، لكنى سوف أخبركم طريقتي للوصول لذلك، إنها مسألة حياة أو موت.

أجاب الدكتور ليفزى:

- هذا واضح جداً، وأؤكد أنه حقيقى بشكل كاف وسوف نقوم بالمخاطرة ولكننا لا نجهل أنك لا تصدقنا وقد قلت أنك لا تريد طاقم السفينة، أليسوا بحارة جيدين؟!

استدار الكابتن سموليت وقال:

- أنا لا أريدهم يا سيدى وأعتقد أننى يجب أن أختار المساعدين لى لو أنتم قررتم الرحلة.

أجاب الدكتور ليفزى:

- أعتقد ذلك وربما يأخذك صديقى معه والمشكلة أن يكون هناك شىء غير مقصود، ألا تحب السيد أرو؟!

قال الكابتن سموليت:

- بل أحبه يا سيدى وأعتقد أنه بحار جيد، لكنه ضابط متساهل جداً مع طاقمه وزميلى فى المسئولية يجب أن يحفظ نفسه بعيداً عن مرؤوسيه ويجب ألا يشرب مع رجاله فى السفينة.

صرخ تريلونى قائلاً:

- هل تقصد أنه يشرب الخمر؟!

قال الكابتن سموليت:

- لا يا سيدى.. أقصد أنه مألوف جداً ومتساهل جداً.

سأل الدكتور:

- والآن نريد أن نعرف أصل الموضوع، ماذا تريد يا كابتن؟

قال الكابتن سموليت:

- حسناً يا سادة.. هل قررتم أن تبحروا على هذه السفينة؟

أجاب تريلونى:

- بكل تأكيد.

قال الكابتن:

- رائع جداً، استمتعتم لى بصبر وقد قلت أشياء لم أثبتها بعد، أرجو أن تسمعنى قليلاً، إنهم يضعون الأسلحة والبارود فى المخزن الأمامى للسفينة ولديك مكان جيد جداً تحت الكابينة ولماذا لم تضعهم هناك؟ وتلك هى النقطة الأولى، وأحضرت أربعة من ناسك معك وأخبرنى بعض منهم أنهم تم تسكينهم فى الأمام، لماذا لم تعطهم حجرات هنا بجوار الكابينة وتلك هى النقطة الثانية.

سأل السيد تريلونى:

- هل تريد إضافة المزيد؟

قال الكابتن:

- شىء آخر، توجد ثروة كبيرة جداً فعلاً.

أجاب الدكتور:

- كثيرة جداً.

استمر الدكتور سموليت قائلاً:

- سأقول لك ما سمعته بنفسى، أنت تمتلك خريطة للجزيرة، توجد بعض الصليبان على تلك الخريطة تشير إلى وجود الكنز وموقع الجزيرة، وحدد أين تكون من خلال خطوط الطول والعرض.

صرخ تريولوني قائلاً:

- لم أقل ذلك لأى أحد.

استدار الكابتن سموليت قائلاً:

- أنت الذى قلت يا دكتور ليفزى أو جيم هوكنز.

أجاب الدكتور ليفزى قائلاً:

- لا يهم من يكون قد قال.

وأحسست أن لا هو ولا الكابتن أعطى أى اهتمام كبير لاعتراضات واحتجاجات تريولوني، وأنا لم أفعل ولم أخبر أحداً. أنا متأكد من ذلك، فالسيد تريولوني نفسه رجل منفلت اللسان وبالرغم من ذلك أعتقد أنه صح فعلاً وأن لا أحد قد أخبر شيئاً عن موقف الجزيرة، استمر الكابتن قائلاً:

- حسناً يا سادة، أنا لا أعرف من يمتلك هذه الخريطة ولكنى أؤكد على هذه النقطة وهى يجب أن يكون الأمر سرا حتى عنى وعن أرو وإلا سأطلب منك أن أستقيل.

قال الدكتور:

- لقد فهمتك، أنت تريد أن تجعل الأمر سرى ولا يعرفه أحد، تريد أن تجعل حصناً فى مؤخرة السفينة، مزود بالرجال من أصدقائنا المخلصين ومزود بالأسلحة والذخيرة على السفينة، باختصار أنت تخاف من تمرد البحارة.

قال الكابتن سموليت:

- سيدى.. لا توجد أى نية للإساءة، أنا أرفض أن تضع بعض الكلمات على لسانى، فالكابتن لن يبرىء من الإثم فى الذهاب إلى البحر على الإطلاق لو لم يكن لديه أرضية لقول ذلك، وبالنسبة للسيد أرو أعتقد أنه شخص أمين جداً وبعض الرجال مثله تماماً وهذا ما أعرفه ولكنى مسئول عن أمان السفينة وحياة كل شخص عن ظهرها، أرى أن هناك بعض الأشياء تسير بشكل ليس على ما يرام وأسألك أن تأخذ بعض التحذيرات أو تدعنى أترك مكانى وهذا كل شىء.

بدأ الدكتور بابتسامة قائلاً:

- كابتن سموليت، هل سمعت عن خرافة الجبل والفأر؟ أرجو أن تسامحني وأنا أقول لك ذلك، لكنك ستذكرني بالخرافة، فعندما دخلت هنا راهنت بباروكي، هل تقصد أكثر من ذلك.

قال الكابتن:

- دكتور.. أنت شخص ذكي، فعندما دخلت إلى هنا، قصدت أن أكون مبرئ الذمة وليس لدى فكرة أن السيد تريلوني سوف يسمع لي كلمة واحدة.

صرخ تريلوني قائلاً:

- ليس أكثر مما أريد وإذا لم يكن الدكتور ليفزي هنا، كنت سأراك غاضباً ومتشاجراً، على أي حال، لقد سمعتك وسوف أحقق لك ما تريد.

قال الكابتن سموليت:

- كما تحب وتسمح به يا سيدي وسوف تجد أنني سأقوم بكل واجبي.

وعند ذلك انصرف الكابتن سموليت، قال الدكتور ليفزي معلقاً على ماحدث:

- تريلوني، هذا الرجل عكس كل تصوراتي، أعتقد أنك اجتهدت كي تجد رجلين أمينين على ظهر السفينة معك، هذا الرجل وجون سيلفر.

صرخ تريلوني قائلاً:

- سيلفر، كما كنت تريد وتحب، أما هذا الدجال غير المحتمل، أعلن وأعتقد أن طريقته في التعامل غير إنسانية ولا علاقة لها بأصول البحر كما أن إنجليزيتة منحلة.

قال الدكتور ليفزي:

- حسناً.. سنرى يا تريلوني.

حين صعدنا على ظهر السفينة، بدأ الرجال فعلاً في إخراج السلاح والذخيرة وانشغلوا في أعمالهم بجد، بينما الكابتن والسيد أرو يراقبان ما يتم، كانت الترتيبات الجديدة ملائمة لما أحب، فقد تم فحص السفينة بعناية كبيرة وتم إعداد ست حجرات

فى مؤخرتها وبعيداً عن المخزن الأمامى الرئيسى وتم ربط هذه المجموعة من الكابتن بالمطبخ الرئيسى للسفينة والحصن الأمامى عن طريق ممر احتياطى مطلق على جانب الميناء وخصص ذلك أساساً للكابتن والسيد أرو وهنتر وجويس والدكتور والإقطاعى تريلونى، وسكنوا الغرف الستة، حصل ردروث وأنا على اثنين منهم وكان السيد أرو والكابتن نانمين على دكة تحت غطاء السفينة الذى يتسع فى كل جانب وكأنة بيت دائرى حيث كان منخفضاً جداً ويكفى بالطبع لأرجحة أرجوحتين، رأيت زميلى سعيداً بتلك الترتيبات وإن كان مشكوكاً فيه كما كنت أخمن- من طاقم السفينة كما سنسمع- ولم يعد يستفاد من رأيه أبداً، كنا جميعاً فى عمل شاق وجاد وقمنا بتغيير مكان البارود والحجرات، وحين انتهى آخر رجل أو رجلين وكان معهم لونج جون ورجل فى قارب شاطئ، صعد الطباخ إلى جانب السفينة مثل قرد يتقافز وبمجرد أن رأى ما حدث قال:

- ما هذا أيها الزملاء؟!

أجاب أحد الرجلين قائلاً:

- نحن نغير مكان الذخيرة يا جاك.

صرخ لونج جون قائلاً:

- لماذا؟ لو فعلنا ذلك سوف نفقد المد الصباحى.

قال الكابتن سموليت باختصار:

- أوامرى، يجب أن تذهب للمطبخ أيها الرجل، فالرجال فى حاجة للعشاء.

أجاب الطباخ قائلاً:

- حاضر يا سيدى.

ولس مقدمة شعر رأسه، واختفى فى الحال تجاه مطبخه، قال الدكتور:

- هذا رجل جيد يا كابتن.

أجاب الكابتن سموليت قائلاً:

- فعلاً.. تعامل الرجال الحسن يفعل الكثير.

وانطلق إلى الرجال الذين كانوا ينقلون الذخيرة، وفجأة فحص آلة المروود الدوارة التي حملناها إلى وسط السفينة، صرخ قائلاً:

- هيا يا فتى السفينة، اخرج من هنا واذهب إلى المطبخ وساعد في بعض الأعمال.

وأثناء هرولتى إلى هناك، سمعته يقول بصوت عال إلى حد ما إلى الدكتور:

- ليس لدى أحد مفضل على السفينة.

أؤكد لكم أنني كنت متأكداً من طريقة تفكير الإقطاعي تريلوني لكنى كرهت الكابتن بعمق.

١٠- الرحلة البحرية

طوال تلك الليلة كنا فى نشاط صاحب كبير للحصول على الأشياء المُخزنة فى أماكنها، وجاءت قوارب ممتلئة بأصدقاء تريلونى مثل السيد بلاندلى والمحبين له لى يودعوه ويتمنوا له رحلة سعيدة وعودة آمنة، لم أر ليلة مثل تلك الليلة فى فندق الأميرال بنبو حين كنت أقوم بأداء نصف العمل تقريباً، كنت متعباً جداً وظللنا نعمل حتى قبيل الفجر بقليل، أطلق الريان صفارته من نفيره وبدأ طاقم السفينة فى تزويد الونش بالرجال لرفع الهلب والأشرعة الثقيلة، كنت مرهقاً جداً، وبالرغم من ذلك لم أغادر سطح السفينة، كل شىء كان جديداً ومدهشاً بالنسبة لى، الأوامر المختصرة، الصيحات من الضفارة، الرجال النشطاء الذين يذهبون إلى أماكنهم فى لمح البصر، صرخ أحد الأصوات:

- الآن، حفلة الشواء، جهزوا لنا الحطب.

صرخ آخر:

- الواحدة القديمة.

قال لونج جون الذى كان واقفاً على عكازه الذى كان تحت ذراعيه:

- نعم أيها الزملاء.

وفى الحال أشعل الهواء وبدأ فى غناء الأغنية التى كنت أسمعها:

- خمسة عشر رجلاً على التابوت.

وبدأ الطاقم كله يردد:

- يو، هو، هو وزجاجة من شراب الروم.

وقبل "هو" الثالثة قاد الفواصل الموسيقية قبلهم بإرادة وتصميم، وحملتني تلك اللحظة المثيرة أن أعود بذاكرتي إلى فندق الأدميرال بنبو في ثانية وتخيلت أنني أسمع الكابتن يرتفع صوته مع الكورس، وفي تلك اللحظة بدأت المرساة تسحب، وبدأ المجدافان الأماميان يتدليان وبدأت الأشرعة تقرد، وبدأت السفينة تتحرك ببطء على الجانب الآخر وتختفي الأرض وراءها، واستطعت في تلك الظروف أن أخطف ساعة من النوم في القيلولة قبل أن تبدأ السفينة هيسبنيولا رحلتها إلى جزيرة الكنز.

لن أروى لكم كل تفاصيل تلك الرحلة البحرية، لقد كانت رحلة مزدهرة وأثبتت السفينة أنها سفينة جيدة، وقد كان طاقم السفينة بحارة قادرين وقد كان الكابتن يفهم عمله جيداً، وقبل أن تظهر جزيرة الكنز، حدث شيان أو ثلاثة أشياء تتطلب أن تُعرف.

في البداية صار السيد أرو أسوأ مما كان يخشى الكابتن، فلم يعد له سيطرة بين الرجال ويفعلون به ما يريدون، وكان ذلك أسوأ ما فيه، فبعد يوم أو اثنين من إبحارنا بدأ يظهر على سطح السفينة زائغ العينين وأحمر الخدين ومتلعثم اللسان وعليه علامات السكر، ومع مرور الوقت بدأ يُؤمر في خزي أن يكف عن ذلك، وكان أحياناً يسقط ويصيب نفسه وأحياناً كان يقضى النهار كله في سريره الصغير في أحد جوانب أدراج السفينة وأحياناً يصبح هادئاً وراضياً لمدة يوم أو يومين ويقوم بعمله كما يجب أن يكون.

وأثناء ذلك لم تكن نعرف من أين يحصل على الشراب وكان ذلك حكاية السفينة الأسطورية، كنا نراقبه كلما يسمح الأمر بذلك، لم تكن نفعل شيئاً لحل تلك المشكلة، وعندما نطلب منه أن يتوقف كان يضحك فقط إذا كان متناولاً للشراب وإذا كان هادئاً ورصيناً يفكر تماماً أنه لا يشرب إلا الماء.

لم يكن السيد أرو بلا فائدة فقط، وله تأثير سيئ وسط البحارة والرجال، ولكن من الواضح أنه سيقتل نفسه بشكل صريح، لذا لم يكن أحد مندهشاً ولم يكن حزيناً حين اختفى بشكل تام ولم يعد بعدها أبداً، قال الكابتن:

- حسناً أيها الرجال، رجل تائه وهذا أنقذنا من مشكلة حبسه.

وبالرغم من وجودنا هناك وبدون زميل كان من الضروري وبالطبع أن نقدم أحد الرجال، كان جون أندرسون الريان الكبير وأكثر الرجال محبة على ظهر السفينة بالرغم من احتفاظه بلقبه القديم للريان الكبير فإنه كان يخدم الكل وكأنه زميل للجميع ومساوٍ لهم، كان السيد تريلوني يتابع البحر وجعلته معرفته وعلمه مفيد جداً وكان عادة ما يختلى بنفسه ساعة الطقس الجيد، وكان الريان أسرائيل هاندر المسئول عن قارب السفينة وكان حريصاً جداً ومراوفاً ولديه خبرة بحار عجوز موثوق فيه يمسك كل شيء في قبضة يده، كان عظيم الثقة في جون سيلفر، ولذا مجرد اسمه يقودنى أن أتكلم عن طباع سفينتنا "باريكيو" كما يحلو أن يسميه الرجال.

على متن السفينة، كان يحمل سلفر عكازه بواسطة حبل قصير حول رقبتة لكي يجعل يده حرة قدر الإمكان، كان يدق بأقدام العكاز ضد الحاجز الذى يقسم السفينة إلى حجرات، يصعد بطيخه وطعامه مثل شخص آمن على الشاطئ، كان شيئاً غريباً جداً أن تراه فى أقصى حالات الطقس وأثقلها وهو يعبر السفينة. كان لديه طريقة وجهازان يساعدونه للعبور إلى الأماكن الأوسع، كان يساعد نفسه بيده من مكان لآخر، والآن يستخدم العكاز ويجرجه بجانبه بواسطة الحبل، يتحرك بسرعة وكأنه رجل عادى يستطيع المشى، وبالرغم من أن بعض الرجال الذين أبحروا معه قبلاً عبروا عن شفقتهم لرؤيته فإنهم الآن صاروا أقل عن ذى قبل.

قال لى كبير الريان جون أندرسون: باريكيو "سيلفر" ليس رجلاً عادياً، وإنه تلقى تعليمًا جيداً في بداية حياته لما كان شاباً ويتحدث فى الكتاب المقدس حين يكون حاضر الذهن وشجاعاً مثل أسد لأحد بجواره، لقد رأيته يصارع ويدك رؤوسهم فى بعض الأحيان ولم يكن مسلحاً.

يحترمه كل طاقم السفينة ويطيعونه ولديه طريقة للتعامل مع كل واحد ويفعل لكل واحد خدمة خاصة، كان بالنسبة لى طبيباً ويبدو سعيداً حين يرانى فى المطبخ الذى يحافظ عليه نظيفاً وكأنه قطعة بروش جديدة حيث الأطباق المعلقة اللامعة جداً وبيغاؤه الذى فى قفصه فى أحد الأركان:

كان يقول لى: تعال يا هوكنز، تعال وتجادب الحديث مع بيبغائى، لا أجد أحداً
مرحباً به هنا إلا أنت يا بنى، اجلس واسمع إلى بعض الأخبار، هنا الكابتن فلنت، إنه
اسم بيبغائى، الكابتن فلنت على اسم القرصان الشهير، هنا الكابتن فلنت يتنبأ بنجاح
رحلتنا، أليس كذلك يا كابتن؟



كان بالنسبة لى طبيباً جداً وسعيد دائماً لرؤيتى فى الصلاة

وكان الببغاء يكرر بسرعة كبيرة

- قطع الثمانى.. قطع الثمانى(*)!!

وكان يزيد فى تكراره بسرعة حتى تتساعل وتندهش أن ذلك ليس خارج الحجرة
أو حتى يرمى له جون سيلفر منديله فوق القفص، قال سيلفر:

(*) قطع الثمانى: عملة معدنية هى قطع البيزوج القديمة التى تساوى ثمانية ريالات.

- ربما يبلغ هذا الطائر الآن ٢٠٠ عاماً يا هوكنز، أحياناً يعيش أكثر من ذلك ولو أن شخصاً ما رآه أنه أكثر خطراً سيجده بالتأكيد الشيطان نفسه، فقد أبحر مع الكابتن إنجلند القرصان العظيم، أبحر من ميدجسكار ومن ملبار وسيرنام وبروفيدنس وبورتوبيلو، كان أثناء عملية الصيد على قوارب مسطحة محطمة وعلى متنها تعلم هذا الببغاء كلمة "قطع الثماني" وتساؤل بسيط عن ثلاثة وخمسين ألفاً منها يا هوكنز(*) كان على متن سفينة لنائب الملك للهوند خارج مستعمرة جوا، كان صغيراً وحين تنظر إليه سوف تعتقد أنه مولد صغير، لكنك تشم رائحة البارود.. ألا تشم تلك الرائحة يا كابتن؟!

صاح الببغاء مردداً:

- استعدوا لكي نبدأ المسير.

قال الطباخ سيلفر:

- أه.. إنها سفينة جميلة، هي فعلاً كذلك.

ثم أعطى سيلفر الببغاء بعض السكر من جيبه وبدأ الطائر ينقر قطبان القفص الحديدي ويشم ويسب ويقسم ويعطى اعتقاداً بالخطر والشر، وأضاف الطباخ سيلفر قائلاً:

- أيها الفتى هوكنز، لن تستطيع أن تلمس القفص لأنه ملوث، إن هذا الببغاء طائر عجوز برىء يقسم بالنار الزرقاء، ولا أحد أكثر حكمة منه وربما تتفق مع ذلك أو ترفض، سوف يقسم بنفس طريقة الكلام قبل أن يتكلم القسيس الموجود في السفينة.

بدأ جون يلمس مقدمة شعر رأسه بشكل رسمي جعلتني أعتقد أنه بالفعل واحد من أحسن الرجال، وأثناء ذلك كان الإقطاعي تريلوني والكابتن سموليت ما زال على نفس العلاقة السابقة من التحفظ مع بعضهما البعض، لم يصنع تريلوني أى شىء يُحسّن الأمر وما زال يحتقر الكابتن والكابتن ما زال على موقفه لا يتحدث إلا إذا تحدث معه

(*) جوا: مستعمرة برتغالية رئيسية وميناء في جنوب غرب الهند.

وما زال حاداً ومقتضباً فى حديثه وجافاً ولم تخرج من فمه كلمة هباءً وحين يساق إلى إحدى أركان السفينة يزى أنه كان مخطئاً فى تصويره بشأن طاقم السفينة خاصة حين يجد بعضهم نشيطاً ومفعماً بالحياة كما يريد والجميع يتصرفون جيداً.

وبالنسبة للسفينة كانت كما كان يتخيل تقريباً وتحقق خياله بالنسبة لها وسوف ترسو فى نقطة بالقرب من الاتجاه الذى يريده مثل رجل يتوقع تماماً ما الذى سوف تفعله زوجته حين يأمرها أن تفعل شيئاً وأضاف قائلاً:

- كل ما أردت أن أقوله: إننا لسنا فى بيتنا مرة أخرى وإننى لا أحب تلك الرحلة.

وعند تلك النقطة استدار تريلونى وسار جيئةً وذهاباً على سطح السفينة كى يشم بعض الهواء النقى وقال غاضباً:

- لقد زادت ثقافة هذا الرجل وسوف أنفجر فيه.

لقد قابلنا بعض الطقس السيئ الذى كشف فعلاً الصفات الجيدة للسفينة هيسبنيولا، فكل رجل على ظهر السفينة يبدو جيد المستوى وكانوا فعلاً جادين فى أعمالهم لدرجة تسعد وإلا سيكون الأمر خطراً، وبالنسبة لوجهة نظرى، أرى أننى لم أر صحبة أو رفقة سفينة أسوأ وأنسب من تلك منذ أن وجدت سفينة نوح، فالمشروبات الروحية والخمر كانت تتواجد وتشرب دون أى عذر أو سبب، ولم يكن هناك أى عمل فى الأيام غير العادية وكان إذا سمع الإقطاعى تريلونى عن ميلاد أحد الرجال يأمر ببرميل من التفاح للرجال، ويكون مثقوباً من الوسط ليتاح لأى واحد أن يأخذ منه ما يريد وما يتخيل، قال الكابتن للدكتور ليفزى:

- لا أرى خيراً يأتى من ذلك، وإفساد رجال مقدمة السفينة يأتى دائماً بالشر ويصنع الشياطين، هذا ما أعتقد.

لكن الخير سيأتى من برميل التفاح كما ستسمعون بشرط ألا يكون كما قال، لم تكن هناك أى ملحوظة للتحذير من ذلك وربما يهلكون جميعاً بأيدي الخيانة وهذا سوف يأتى بعد ذلك.

أنجزنا كل الأعمال لكي نكون مستعدين لاستقبال الرياح التي ستأخذنا إلى الجزيرة بعد ذلك، لم يكن مسموحاً لي أن أكون أكثر ظهوراً وبدأنا في المراقبة الليلية والنهارية الصارمة، كان اليوم الأخير لرحلتنا الظاهرية طبقاً لحسابتنا التقديرية الواسعة، مر بعض الوقت من هذا الليل، كان آخر وقت لرؤية القمر قبل شروق النهار، يجب أن نرى جزيرة الكنز، كنا نقود السفينة، والبحر كان هادئاً، والسفينة هيسبنيولا تنهاوى بثبات ويغطس دقلها "العمود" الذي في مقدمة السفينة ولفحات من النسيم تداعبها.

كان الكل يهبط ويعطو وكل واحد كان في أقصى درجات الشجاعة والمعنويات العالية لأننا كنا قرييين جداً من نهاية الجزء الأول للرحلة.

بعد غروب الشمس كنت انتهيت من كل أعمالي وكنت في طريقى إلى حجرتى، وحدث أننى أحببت أن أكل تفاحة، تحركت على ظهر السفينة، كانت المراقبة تتطلع فقط صوب الجزيرة، والرجل الذى كان على الدفة يراقب الإبحار فى اتجاه الرياح للشرع ويصفر برفق لنفسه وكان ذلك الصوت الوحيد الموجود، باستثناء هسيس البحر فى مقابل المجذافين الأماميين وحول جوانب السفينة.

نزلت إلى برميل التفاح فلم أجد غير واحدة فقط متبقية، هبطت إلى أسفل البرميل فى الظلام الدامس، سمعت حولى صوت ماء البحر وحركة السفينة، لم أكد أسقط نائماً حتى سمعت حركة لرجل ثقيل استند على البرميل محدثاً تصادماً قريباً عندما اتكا بكتفه عليه، كنت على وشك القفز حين بدأ الرجل يتحدث، كان صوت سيلفر، وقبل أن أستمع إلى بعض الجمل قررت ألا يرانى أحد وأن أبقى فى مكانى وظللت فى مكانى أرتعش وأستمع بغضول وأنا فى قمة خوفى، ومن خلال الكلام الذى سمعته تأكد لى أن حياة كل الرجال الأمانء على ظهر السفينة سوف تعتمد على بمفردى.

١١- ما سمعته فى برميل التفاح

قال سيلفر:

- لا.. لست أنا، فلنت كان هو الكابتن، كنت مجرد ضابط صغير على السفينة بساق خشبية وكما فقدت ساقى فقد العجوز "بو" مناوّر شرفات السفينة الخاصة به التى تجلب له الضوء، لقد كان جراحاً عظيماً ورائداً، فهو الذى بتر ساقى رغم أنه لم يكن جامعياً لكنه كان جيداً وعلى قدر عال من الكفاءة، وبالرغم من ذلك فقد شنق مثل كلب واختفى مثل الباقين فى قلعة كورسو، إنهم رجال روبرت الذين يغيرون أسماء سفنهم مثل الخاصة الملكية.

يا لها من سفينة تم تعميدها وتسميتها، فكانت تسمى كاسندرا وهى التى أحضرتنا بأمان إلى وطننا من مالبار بعد أن تولى أنجليد نائب الملك، لذا كان مع سفينة "وليرس" العجوز سفينة فلنت، ولقد رأيت حالة سعار للقتال والدم من أجل أن يفرقوا فى الذهب.

صرخ أحد البحارة الصغار فى السفينة وكان مملوءاً بالإعجاب:

- آه.. لقد كان زهرة الرجال.. إنه فلنت!

قال سيلفر:

- لقد كان ديفيز رجلاً بمعنى الكلمة، لم أبحر أبداً معه؛ كانت البداية مع أنجليد، ثم فلنت، تلك قصتى، والآن هنا على حسابى، لقد راهنت بتسع مئات من إنجلترا وألفين بعد فلنت، هذا لم يكن يدفع لرجل قبل الإبحار وهنا ليس سيئاً لرجل قبل صارى السفينة، فالكل آمن فى البنك، إنه لا يكسب الآن، إنه يوفر فعل ذلك، وربما نضع ذلك فى البنك، أين رجال إنجلترا الآن؟ أنا لا أعرف وأين أموال فلنت؟ لماذا معظم الرجال

هنا الآن؟ أنا سعيد أن أكون في عمل حقيقي، وقد كنا نتسول قبل ذلك بعضنا من بعض، كما فقد "بو" العجوز بصره ورؤيته وربما يُعيّر ويفضح، كما أنه أنفق حوالى اثنتى عشرة مائة جنيه فى العام مثل سيد فى البرلمان، أين هو الآن؟ حسناً، هو بالطبع ميت وتحت التراب قبل عامين من الآن، إن ذلك يرعش ساقى الخشبي، فالرجل مات من الجوع، وتسول وسرق وقُتل ومات من أجل ذلك.

قال البحار الشاب بقوة:

- ولم يعد يستخدم ذلك كثيراً.

صرخ سيلفر قائلاً:

- لم يعد يُستخدم ذلك للأغبياء فقط، من الممكن أن تراهن على ذلك، إما الكل أو لا شيء، لكن يجب أن تنظر هنا فمازالت شاباً صغيراً لكنك ذكى وعرفت ذلك حين وضعت عيني عليك، لذا سأحدث إليك كرجل.

ربما تتخيلون كيف أشعر حينما سمعت هذا الحديث القديم البغيض مرة أخرى بنفسى، كلمات النفاق كأنه استخدمها معى، أعتقد لو أستطيع، كنت قتلتة من خلال البرميل وأثناء ذلك، استمر على اقتراض أنه يستمع إليه.

وهذا بعض عن رجال الكتز، كانوا يعيشون حياة فظة ويخاطرون بأنفسهم بشكل شيطانى، لكنهم كانوا يأكلون ويشربون مثل الديوك المتصارعة، فحين بدأت الرحلة كان فى جيوبهم مئات الجنيهات بدلاً من مئات الأرباع من الجنيهات، ذهب الجميع الآن لأجل شراب الروم والملذات وليبحروا مرة أخرى مرتدين قمصان البحر، ولم تكن تلك الحالة التى حددتها فقط، فقد حددت كل شيء بعد ذلك، فالبعض كان هنا والبعض الآخر هناك، ولا شيء فى أى مكان آخر بسبب الشك، فقد كنت رقم ٥٠، وأحد الذين يعملون فى المؤخرة، بدأت أكون شخصية رجل رفيق، كان الوقت كافياً، نعم أقول ذلك لك، نعم، لكنى عشت بشكل سهل أثناء ذلك، لم أمنع نفسى من شيء يرغبه القلب، كنت أنام نوماً هادئاً وأتناول الطعام اللذيذ طوال أيامى، لكنى لا أعرف متى بدأ ذلك فى البحر، أو كيف بدأت؟ عند الشراع مثلك.

قال الآخر:

- حسناً.. لكن كل النقود ذهبت الآن، أليس كذلك؟ ولن تستطيع أن ترى وجهها
فى بريستول بعد ذلك.

قال سيلفر بسخرية:

- لماذا تفرض أن يكون حدث ذلك؟

أجاب الرفيق:

- فى بريستول وفى البنوك وبعض الأماكن.

قال الطباخ سيلفر:

- نعم، كان ذلك عندما رفعنا المرساة لنبداً الرحلة، لكن زوجتى العجوز امتلكت
هذا كله قبل الآن، وتوقفت عن العمل واستأجرت منزلاً.

وزاد شعور الود لدى الآخرين وجهزت الملابس، وخرجت الفتاة العجوز لى
تقابلنى، سأقول لك أين، فانا أثق بك، لكن ذلك سيثير الغيرة بين الزملاء.

سأله الزميل الآخر:

- وهل تستطيع أن تثق بزوجتك؟!

عاود الطباخ قائلاً:

- أصحاب الثروة عادة ما يثقون قليلاً فى أنفسهم ويكونون على صواب، وقد تتفق
مع ذلك، ولكنى لى طريقة ما أتعامل بها مع نفسى، وحين يأتى أى زميل بهفوة كما
يعرفنى البعض، لن يكون أبداً فى نفس العالم مع جون العجوز، كان يوجد بعض
الزملاء الخائفين من بو، والبعض الآخر الخائفون من فلنت، لكن فلنت نفسه كان يخاف
منى، وبالرغم من أنه كان خائفاً ومتكبراً، كان أخشن وأعنف طاقم للسفينة، لقد كان
فلنت الشيطان نفسه، وكان الشيطان يخشى أن يبحر معه فى سفينة واحدة، والآن
أقول لكم أنا لست رجلاً متكبراً، وكما ترون كيف أتعامل بسهولة مع رفقتى، وحين كنت
ضابطاً صغيراً لم يكن الضعفاء والصغار يمثلون أهمية لقراصنة فلنت الكبار، كونوا
متأكدين من أنفسكم فى سفينة جون العجوز.

أجاب الفتى:

- سأخبرك الآن، أنا لم أعمل مساعد ضابط قبل هذه الوظيفة حتى تحدثت معك يا جون، لكنني عرفتُها الآن وتعلمتها.

أجاب سيلفر ثم هز يديه بحميمية حتى شعرت بها داخل البرميل، وقال:

- وأصبحت شاباً شجاعاً وذكياً أيضاً وعنصراً محترماً لرجال الكنز لن تغفله عيني بعد ذلك.

بدأت أفهم معنى مصطلحاتهم، عرفت أنهم يقصدون برجل الثروة أو رجل الكنز إنه القرصان العام، والمشهد الصغير الذي استمتع إليه هو ببساطة الفصل الأخير لفساد أحد الرجال الأمناء، ربما يكون لآخر واحد ترك كي يكون على ظهر السفينة، وعند هذه النقطة ارتحت، وبدأ سيلفر يصفر صفارات هادئة وخفيفة، وبدأ الرجل الثالث يتنزه ويجلس مع تلك الزمرة.

قال سيلفر:

- الشريف ديك.

عاد صوت كبير البحارة إسرائيل:

- نعم.. أعرف أن ديك شريف وأمين وليس غيباً.

وعاد لمضغ التبغ والمشاحنة قائلاً:

- لكن انظر هنا!!

واستمر قائلاً:

- هذا ما أردت أن أعرفه، عرفت المدة التي سوف نقضيها على ظهر هذه السفينة المباركة، أنا عرفت تقريباً ما يكفي من الكابتن سموليت، هو سخر مني بدرجة كافية، والآن أريد الذهاب إلى هذه الكابينة، سأفعل، أريد بعض المخلاتات والخمور.

قال سيلفر:

- إسرائيل.. لا تشغل بالك الآن، لكنك قادر أن تسمع وأعتقد أنك تمتلك أذنين كبيرتين، والآن أقول لك:

- سوف تجد مضجعتك في الأمام وسوف ترتاح بجد وسوف تتحدث برقعة وسوف تبقى هادئاً ومرتزناً حتى أقول لك ما أريد واحتمال أن تفعل ذلك يا بنى..
دمدم الريان إسرائيل قائلاً:

- حسناً، أنا لم أقل لا، أليس كذلك؟ ما قلته متى، وهذا ما قلته.
صرخ سيلفر:

- متى!! بواسطة الرجال، حسناً، والآن إذا أردت أن تعرف، سأقول لك متى، حين أستطيع أن أحدد تلك اللحظة، وهذا هو الموعد، وهنا يوجد البحار الأول المسئول عن الرحلة، إنه كابتن سموليت، الذى يقود هذه السفينة المباركة لأجلنا ومعه الإقطاعى تريلونى والدكتور ليفزى ومعهم الخريطة، التى لا أعرف أين تكون، أليس كذلك؟ ولن تفعل أكثر من ذلك وأقصد أنهم سيفعلون لنا كل شىء، سوف يجدون لنا كل الأمتعة والمؤن ويساعدوننا أن نحصل عليه على ظهر السفينة بواسطة الرجال، وساعتها سوف نرى ولو كنت متأكداً منكم جميعاً، أبناء الهولنديين، سأجعل الكابتن سموليت يبحر بنا نصف طريق العودة قبل أن أهاجم.

قال ديك:

- لماذا؟! نحن جميعاً بحارة على ظهر السفينة هنا، أعتقد ذلك.
قال سيلفر بشكل حاد:

- نحن جميعاً رجال مقدمة السفينة، هل تقصد ذلك؟ نحن نستطيع أن ندير الدفة، لكن من الذى يفعل ذلك؟ هذا ما سيجعلكم أيها السادة تختلفون عليه فى البداية والنهاية، لو الأمر بيدى لجعلت الكابتن سموليت يعود بنا ونقوم نحن بالأعمال الأخرى وساعتها لن تكون هناك أى حسابات خاطئة تجعلنا لا نجد غير ملء ملعقة من الماء يومياً، لكنى أعرف من تكونون ومن أى نوع أنتم؟ سأنهى معهم الأمر على الجزيرة حين ينتهى عملنا البليد الكليل على السفينة، أعرف أنكم لن تكونوا سعداء حتى تشربوا الخمر، أراكم تشتتون اتجاهاتى، أشعر بقلب محزون أننى أبحر مع أمثالكم.

صرخ إسرائيل قائلاً:

- كل شيء سيكون سهلاً يا جون، ومن يقدر أن يتجاوزك؟

قال سيلفر:

- لماذا؟ فكر كم من السفن الكبيرة الضخمة التي أراها الآن مستعدة، وكم من الشباب النشطاء الذين يرقدون في الشمس وعلى استعداد للشنق من أجل الكنز والكل يتصارع نحو ذلك، هل فهمتني، لقد رأيت شيئاً أو اثنين في البحر، أنا رأيت ذلك، فلو أنك وضعت طريقتك وأسلوبك وحددت مهب الريح، سوف تقود سفينتك حتماً، وسوف تفعل ذلك، لكنك لست أنت الذي يفعل، أنا أعرفك، سوف تملأ فمك غداً بشراب الروم وتذهب كي تعتصم.

قال إسرائيل:

- نعرف أنك رجل كنانسي وتأملى يا جون، ولكن يوجد آخرون يستطيعون أن يساعدوا ويقودوا دفة السفينة مثلك ويحبون القليل من المتعة وإن لم يكونوا على درجة عالية، ولكنهم يحبون دائماً حياة الملذات والانغماس فيها مثل الرفقاء المرحين.

قال سيلفر:

- حسناً.. أين هم الآن؟ "بو" كان من هذا النوع، ومات مثل رجل شحاذ، وفلنت كان كذلك ومات من كثرة شراب الروم، لقد كانوا طاقماً جيداً، لكن أين هم الآن؟

سأل ديك:

- ماذا تفعل بهم حين نصل إلى الجزيرة؟!

قال الطباخ بإعجاب:

- هذا هو دورى وله رجاله، ولكن ما رأيكم، وماذا تفكرون بشأنهم؟ نتركهم على الشاطئ ونبحر بدونهم وتلك هى طريقة أنجلند، أو نقطع دابرهم ونقتلهم وتلك طريقة فلنت أو بيلي بونز.

قال إسرائيل:

- بيلي هو صاحب هذا المبدأ، كان يقول دائماً: إن الرجال الأموات لا يعضون،
حسناً، هو نفسه ميت الآن وكان يعرف كل كبيرة وصغيرة على السفينة ولو جاء أى
شئ فظ إلى الميناء سيكون بالطبع بيلي.

قال سيلفر:

- كلامك صحيح، كان خشناً وفضاً، لكنه كان دائماً مستعداً وأنا رجل سهل
وجنتلمان لحد كبير كما قلت، لكن الوقت جد خطير ولا يصح إلا الصحيح يا أيها
الزملاء، أنا أعطى صوتى للموت، حين أكون فى حالة اختيار لقيادة مركبتى لا أريد
أحدًا من محامى البحر فى كابينة العودة للوطن، لا أبحث عنهم مثل الشيطان فى
الصلوات، أنتظر ما ساقوله، وحين يأتى الوقت، لماذا نتركها منهكة تماماً.

صرخ الربان قائلاً:

- أنت رجل يا جون.

قال سيلفر:

- ستقول ذلك يا إسرائيل حين ترى ذلك، شئ واحد سوف أعلنه وأطالب به
وسأطالب به تريلونى، سوف أقوم بنزع رأس فتاة الغر عن جسده بيدي هاتين يا ديك،
وسوف تتفاخر ساعتها مثل فتى سعيد وجميل وستحضر لى التفاح لترطب غليونى.

ربما تتخيلون الرعب الذى أنا فيه، سوف أقفز خارج برميل وأجرى حين أجد
القوة لذلك لكن أطرافى وقلبى لا يطيعوننى أبداً، سمعت ديك ينهض، ويبدو أن شخصاً
ما قد أوقفه وبعض أصوات للرجال المندھشين تعلو قائلة:

- خبى ذلك ولا ترتشف من هذا الماء الأسن يا جون، دعنا نذهب إلى شراب الروم.

قال سيلفر:

- ديك، أنا واثق بك، معى مقياس للبرميل الصغير، تذكر، يوجد مفتاح وسوف
تجد كوباً معدنياً صغيراً أحضره.

كنت مرعوباً جداً، لم أستطع أن أقاوم التفكير، كيف يحصل السيد أرو على هذه الخمر القوي الذي ربما يدمره، ذهب ديك وبعد برهة وأثناء غيابه تحدث إسرائيل مباشرة في أذن الطباخ، كانت كلمة أو اثنتين استطعت أن أسمعهما، ومع ذلك جمعت عدة أخبار مهمة، وبعض القصاصات التي تصب في نفس الموضوع، فالجملة كانت مسموعة بالنسبة لي وعرفت أن لا أحد من الرجال سوف ينضم إليهم ومن ثم عرفت أن على السفينة بعض الرجال المخلصين.

حين عاد "ديك" ثانية، بدأ واحد بعد الآخر من الثلاثي يشرب الروم ويقول:

- في صحتك!!

ويقول الآخر:

- في صحة قلنت العجوز.

وقال سيلفر بطريقة غنائية:

- في صحتنا، هيا أبحروا نحو الريح، حيث الجوائز الوفيرة ومزيد من الحلوى.

وبعد ذلك، غطاني شعاع لامع وأنا في البرميل فنظرت لأعلى فوجدت القمر قد أشرق، وملا الأفق بضوء فضي، وشعاع أبيض على الشراع الأمامي للإبحار وسمعت صوتاً يصيح قائلاً:

- الشاطئ.. الأرض.. الأرض!!

١٢ - مجلس الحرب

حدث اندفاع كبير من الأقدام على سطح السفينة، سمعت البحارة يتوافدون من كبائنهم من مقدمة السفينة وينسلون فى انتظام بجوار البرميل الذى كنت بداخله، غصت أكثر خلف الشراع الأمامى وانسلت تجاه مؤخرة السفينة، ثم خرجت بعد ذلك للسطح المفتوح فى الوقت المناسب كى ألحق بهنتر والدكتور ليفزى فى اندفاعهما تجاه مجداف الريح الأمامى.

احتشد بعد ذلك كل الرجال على ظهر السفينة، كان هناك حزام من الضباب بدأ ينقشع بالتدريج لحظة ظهور القمر، شاهدنا الطريق إلى الجنوب الغربى على مرمى جبلين منخفضين وتقريباً على بعد ميلين، تلا ذلك شروق الشمس خلف أحدهما وكان جبلاً عالياً ظلت قمته مدفونة فى الضباب، كان الثلاثة حادى الشكل واتخذوا شكلاً مخروطياً.

كثيراً ما رأيت ذلك، لكن فى أحلامى فقط، لم أتخلص من خوفى الكبير قبل دقيقة أو دقيقتين حتى سمعت صوت الكابتن سموايت يصدر أوامره، صارت السفينة هيسبنيولا على بعد نقطتين فى اتجاه الريح وأبحرت فى طريقها للجزيرة التى صارت أكثر وضوحاً فى اتجاه الشرق، قال الكابتن:

- والآن أيها الرجال.. حين كانت تعود السفينة للوطن، هل رأى أحد منكم هذه الأرض؟

قال سيلفر:

- أنا رأيتها يا سيدى، وارتويت من هناك مع أحد التجار الذى كنت معه كطباخ.

قال الكابتن:

- أتخيل أن رسو السفينة سيكون فى الجنوب خلف الجزيرة.. أليس كذلك؟

قال سيلفر:

- نعم يا سيدى، هذه هى جزيرة الهيكل العظمى كما يسمونها، إنها المكان الرئيسى للقراصنة وكل رجل على ظهر تلك السفينة يعرف كل الأسماء لها، هذا الجبل الشمالى يسمونه جبل الشراع الأمامى، يوجد ثلاثة جبال فى صف واحد فى الجنوب، ويوجد فى الجزء الأساسى الأمامى هذا الجبل الضخم الذى تحيط به السحب ويسمونه النظارة المكبرة، ويسبب تلك الرؤية يظلون فى حالة نظافة للسفينة حين يرسون هناك، معذرة يا سيدى.

قال الكابتن سيموليت:

- معى خريطة، انظر إذا كان هذا هو المكان.

اخترقت عينا لونج جون حين أخذ الخريطة، ولكن من خلال نظرة جديدة لورق الخريطة عرفت أنه قد أخطأ، لأنها لم تكن الخريطة التى وجدها على تابوت بيلى بونز، لكنها نسخة دقيقة مقلدة ومكتمل عليها كل الأشياء، الأسماء والمرتفعات ومواقع الأنهار والبحار باستثناء الصليبان الحمراء والملاحظات المكتوبة، سببت الخريطة حالة من الضيق لسيلفر لكنه استطاع أن يخفى ذلك لم لديه من قوة عقلية، قال الكابتن سموليت:

- نعم يا سيدى، تلك هى البقعة، تأكد من ذلك فهى مرسومة ومحددة بشكل جيد جداً، أتساءل من فعل ذلك، فالقراصنة كانوا جهلة أيضاً، أعتقد أنه مرسى الكابتن كيد^(*) وهذا الاسم يطلقه عليه زملائى البحارة، كما يوجد مجرى مائى يتدفق إلى الجنوب ثم يصل حتى الساحل الغربى.

وأضاف قائلاً:

- كنت على حق يا سيدى، ولكى تغير اتجاه الريح وتحافظ على طقس الجزيرة، لا توجد أفضل من تلك البقعة فى المياه إذا كان عندك نية للدخول أو توجه السفينة إليها.

(*) كابتن "Kidd" ولد فى أسكتلندا ١٦٤٥ وشُنق فى إنجلترا عام ١٧٠١ لاتهامه بالقرصنة والكابتن وإليام كيد مشهور بالكنوز الخيالية.

قال الكابتن سموليت:

- شكراً لكم رجالى الأعزاء، سأطلب منكم فيما بعد أن تساعدونى، تستطيعون الذهاب الآن.

كنت مندهشاً جداً لبرودة جون سيلفر واعترافه أنه يعرف جزيرة الكنز، عن نفسى كنت مرعوباً حين رأيته يقترب منى، لم يكن يعرف - أؤكد من ذلك - أننى استرقت السمع لمجلس الحرب الذى عقده حين كنت فى برميل التفاح، ومع ذلك كنت مرعوباً قبل ذلك من قسوته ونفاقه، ولكنى استطعت بصعوبة أن أخفى رعبى حين وضع يده على ذراعى، قال متنهداً:

- توجد هنا بقعة حلوة، هذه الجزيرة جيدة للشباب لكى تتجول على شواطئها وسوف تستحم وتتسلق الأشجار وتصطاد الماعز، سوف تصعد عالياً على الجبال مثل عنزة، سوف يجعلنى ذلك شاباً مرة أخرى وسوف أنسى ساقى الخشبية، يا له من شيء رائع أن تكون شاباً وتمتلك عشرة أصابع فى قدميك وحين تود أن تقوم برحلة استكشافية قصيرة، عليك أن تسأل جون العجوز وسوف يخبرك ويزودك بوجبة خفيفة كى تأخذها معك.

وبعد أن ضربنى جون ضربة خفيفة على كتفى، عرج للأمام وذهب إلى أسفل السفينة، كان الكابتن سموليت وتريلونى والدكتور ليفزى يتحدثون معاً على ظهر السفينة وكانوا شغوفين لأننى سأحكى لهم قصتى، لم أشأ أن أقترح حوارهم مباشرة، لكنى ظللت أفكر وأعصف ذهنى حتى أجد سبباً لذلك، دعانى الدكتور ليفزى إلى جواره، وضع الباب فى الأسفل ولأنه كان مدمناً، أمرنى أن أذهب وأحضره مرة أخرى، وبمجرد أن اقتربت منه وكنت بدرجة تجعلنى أتحدث ولا أسترق السمع بدأت الحديث مباشرة:

- دكتور ليفزى.. دعنى أتحدث، ادع الكابتن سموليت وتريلونى للنزول إلى الكابينة واجعل سبباً لوجودى عندكم كى ترسل لى، فلدى بعض الأخبار المقلقة جداً.

تغيرت ملامح الدكتور ليفزى قليلاً، لكنه استطاع أن يسيطر على نفسه بعد ذلك، قال الدكتور ليفزى بصوت عالٍ إلى حد ما وكأنه يسألنى سؤالاً:

- شكراً يا جيم.. أريد أن أعرف كل شيء.

ورغم أنه حاورنى فإنه عاد للتداول مع الكابتن سموليت وعاود سيرته الأولى مرة أخرى، تحدثوا مع بعضهم قليلاً واعتقد أن أحداً منهم لم يبدأ ولم يرفع صوته، كان بسيطاً وواضحاً بدرجة كافية جعلت دكتور ليفزى يواصل ويعرض طلبى، والشىء الآخر الذى سمعته أن الكابتن أعطى أوامره.

"لجوب أندرسون" وللرجال أن يكونوا يقظين، قال الكابتن سموليت:

- أيها الشباب، لدى كلمة أريد أن أقولها لكم، هذه الأرض التى حددناها هى المكان الذى أبحرنا من أجل الوصول إليها، وكما تعرفون أن السيد تريلونى رجل كريم جداً وطلب منى حالاً أن أقول له فى كلمة أو كلمتين أحوال السفينة، أستطيع أن أقول له أن كل رجل فى السفينة قد قام بواجبه تماماً ولأجل ذلك لن أطلب منكم أن أرى أفضل من ذلك، ولأجل هذا سوف أذهب أنا والدكتور ليفزى إلى الكابينة كى نشرب فى صحتكم، وسوف نقدم لكم الخمر كى تشربوا فى صحتنا أيضاً، سأخبركم فيما أفكر فيه، أعتقد أن ذلك شىء رائع ولو أنكم اعتقدتم مثلما أعتقد سوف تهتفون هتاف البحر للسيد الذى أمر بذلك.

وتتابع هتاف الرجال منتظماً وقوياً وزاد حتى أصبح ووداً وحماسياً لدرجة أننى اعتقدت أن هؤلاء الرجال يتأمرّون على دمنا من شدة انتظامهم وتألفهم كفريق واحد، صرخ لونج جون حين هدا الرجل الأول قائلاً:

- هتاف آخر للكابتن سموليت.

فقاموا بالهتاف مرة أخرى بإرادة ورغبة قوية وبعد ذلك ذهب الرجال الثلاثة إلى الكابينة أسفل السفينة ولم يمض وقت طويل حتى أرسل لجيم أنه مطلوب فى الكابينة، وجدت الرجال الثلاثة متحلقين حول المائدة ويوجد عليها خمر إسباني وبعض الزبيب أمامهم والدكتور ليفزى يدخل بعيداً وباروكته موجودة على ركبته وأعرف أن ذلك إشارة أن الكابتن مثار لسماع شىء، كان الشباك الخلفى للسفينة مفتوحاً، كانت ليلة دافئة، ومن الممكن أن ترى القمر يشرق خلف السفينة، قال تريلونى:

- والآن يا جيم هوكنز، كان لديك شىء تريد أن تقوله، هيا تحدث.

عرضت وباختصار قدر المستطاع كل تفاصيل محادثة سيلفر، لم يقاطعنى أحد حتى انتهيت من كلامى لم يحرك أى من الرجال ساكنًا أثناء ذلك، لكنهم ظلوا يصيرون عيونهم على وجهى من البداية حتى النهاية، قال الدكتور ليفزى:
- جيم.. أجلس.

وجعلونى أجلس بجوارهم على المائدة وسكبوا لى كأسًا من الخمر وملأوا يدى بالزبيب، وظل الرجال الثلاثة يشربون الخمر فى صحتى ويقدمون لى خدماتهم والزبيب والشراب من أجل حظى الكبير وشجاعتى، قال الإقطاعى تريلونى:
- والآن يا كابتن سموليت، لقد كنت على حق وكنت مخطئًا، أنا نفسى جحش صغير وأنتظر أوامرك.

استدار الكابتن له قائلاً:

- لست جحشًا أكثر منى، لم أسمع عن طاقم سفينة يريد أن يتمرد، ولكن ما ظهر قبلاً علامات لا يمكن أن تخفى على أى رجل لديه عين فى رأسه، سيُعرف الخطأ وسوف يتخذ خطوات لمقاومة ذلك.
وأضاف قائلاً:

- لكن هذا الطاقم قد خدعنا وهزمنا.

قال الدكتور:

- كابتن، لو سمحت لى، إنه سيلفر، الرجل الجدير بالملاحظة ورأس هذا الطاقم.

وعاد الكابتن للحديث قائلاً:

- إنه سيلفر بالفعل، وهو جدير بالملاحظة والمراقبة وهو واضح جداً من على بعد ذراع واحد، وأرى أن ذلك مجرد كلام ولن يؤدى إلى شىء وأرى ثلاث نقاط أو أربع، وليسمح لى السيد تريلونى أن أحدهم.

قال السيد تريلونى بشكل رائع:

- أنت يا سيدى الكابتن والكلام لك الآن.

قال الكابتن سموليت:

- النقطة الأولى، يجب أن نستمر لأننا لا نستطيع العودة مرة ثانية، ولو أنني أعطيت أوامري بالعودة سوف يثورون في الحال، والنقطة الثانية أننا نمتلك وقتاً على الأقل حتى يُكتشف الكنز، والنقطة الثالثة أنه يوجد بعض الرجال المخلصين، والآن يا سيدي سوف نواجه المشاكل، أما ما اقترحه أن نأخذ وقتاً لكي نحل تلك المشاكل ونواجه تلك العواصف في يوم مناسب لا يتوقعونه ونستطيع أن نحدد من معنا، وأعتقد أن خدمك معنا يا سيد تريلوني.

أعلن الإقطاعي تريلوني قائلاً:

- أثق فيهم مثل نفسي.

قال الكابتن مؤكداً:

- الثلاثة.. إذن نحن الآن سبعة مع الشاب هوكنز وهو معنا، والآن ماذا عن

الرجال الأمناء؟

قال الدكتور:

- معظم رجال تريلوني رجالنا، وقد التقطهم وأحضرهم بنفسه قبل أن يأتي بسيلفر.

أجاب تريلوني:

- نعم.. هم جميعاً رجالى.

أضاف الكابتن:

- أعتقد أنني أثق في هؤلاء الرجال.

وأضاف تريلوني قائلاً:

- أعتقد أن هؤلاء جميعاً إنجليز وأرى أن نبدأ رحلتنا.

قال الكابتن:

- حسناً أيها الرجال، ما أقوله ليس كثيراً، يجب أن نبدأ رحلتنا لو سمحتوا وأن نظل نراقب الوضع جيداً، أرى أن الرهان على الإنسان، على الرجال وسيكون الأمر سعيداً حين نصل لحل تلك العواصف والأزمات، ولكن لن تكون هناك أى مساعدة حتى نصل إلى رجالنا المخلصين، علينا أن نبدأ وننتظر الريح حتى تكون معنا، تلك هى رؤيتى.

قال الدكتور:

- جيم معنا، يجب أن يساعدنا أكثر من أى أحد لأن الرجال لا يخلون ولا يأخذون حذرهم منه، إضافة إلى أنه شاب قوى الملاحظة.

أضاف الإقطاعى تريلونى:

- هوكنز.. أنا أضع ثقتى الكبيرة فىك.

بدأت أشعر بىأس كبير لأجل ذلك، لقد شعرت بعدم القدرة على ذلك، وبالرغم من الظروف الغريبة فإننى أشعر أن الأمان سوف يحدث وأثناء ذلك كنا نتحدث كما نريد، يوجد فقط سبعة من ٢٦ سوف نعتمد عليهم وأحد هؤلاء السبعة طفل والبالغون من الرجال فى جانبنا ستة فقط مقابل تسعة عشر رجلاً فى المعسكر المضاد.

الجزء الثالث

(مغامرتي على الشاطئ)

١٣ - كيف بدأت مغامرتي الشاطئية

حين صعدت على ظهر السفينة في الصباح التالي كان منظر الجزيرة مختلفاً تماماً، ورغم أن نسيم البحر توقف فإننا أخذنا طريقنا للجزيرة ليلاً، وبعد أن استقرت السفينة، رسونا هادئين الآن على بعد نصف ميل من الجنوب الشرقي للساحل الشرقي.

كانت الأشجار رمادية اللون وتغطي مساحة كبيرة من السطح، وكان اللون السائد عبارة عن خطوط مكسرة ومتدرجة للون الأصفر الرملي في الأراضي المنخفضة، كانت أشجار كثيرة من عائلة الصنوبر الطويلة تنصدر بقية الأشجار الأخرى، بعضها فرادى وبعضها في مجموعات، كان اللون العام والسائد موحداً وحزيناً والتلال تتجلى بوضوح فوق تلك الخضرة التي على قمم الصخور المرئية بالعين المجردة.

كان جبل النظارة المكبرة هو الأطول، فقد كان حوالى ثلاثة أقدام أو أربعة ارتفاعاً، صارت الجزيرة الآن الأغرب في تكوينها واستمر الهتاف من كل جانب وفجأة توقف عند القمة التي كانت مثل قاعدة سنضع عليها التمثال.

كانت السفينة هيسبنيولا تدير محركاتها الموجودة في جانب السفينة تحت موجات المحيط وهديرها القوي يمزق الصخور والموجة تضرب بعنف جيئة وذهاباً، كانت هيسبنيولا تحدث صريراً وأنيباً مثل مصنع يعمل، اضطرت أن ألتصق وأتماسك جيداً في السنادة الخلفية للسفينة، ورأيت العالم كله يدور أمام عيني بالرغم من أنني كنت بحاراً جيداً إلى حد ما حتى وجدت الطريق أمامي، ظل التحمل قائماً، لم أكن قط مثل زجاجة تتدحرج، فقد تعلمت أن أتحمل كل المتاعب بلا اشمئزاز وكنت مع ذلك جانحاً وبمعدة خاوية منذ الصباح.

ربما كانت تلك الجزيرة، ربما كان ذلك المنظر العام لها بغاباتها السوداء الكثيرة السوداء، ويكتل الصخر البرية والموجات المتلاحقة التي نستطيع أن نراها ونسمع أزيزها ورعدها على الشاطئ المنحدر، ورغم أن الشمس أشرقت لامعة وحارة، كانت طيور الشاطئ تصطاد وتصرخ حولنا، سوف تعتقد أن أى أحد سوف يكون سعيداً حين يصل إلى هذه الأرض بعد رحلة طويلة له فى البحر، أحسست أن قلبى غرق فى حذائى كما يقال من أول نظرة لتلك الجزيرة وكرهت جداً فكرة جزيرة الكنز.

قضينا صباحاً مملأً وكثيباً من العمل، لم يكن هناك أى إشارة لوجود الريح، اضطرت المراكب أن تسحب يدوياً بواسطة جرهما بحبال السفينة لمسافة تقدر بثلاثة أميال أو أربعة حول ركن الجزيرة وأعلى الممر الضيق إلى المرفأ خلف جزيرة الهيكل العظمى، تبرعت للعمل مع إحدى هذه المراكب حيث لم يكن لدى عمل بالطبع، كانت الحرارة تجعلنا نتصيب عرقاً والرجال يتذمرون بقوة من أعمالهم، كان أندرسون فى طبيعة ورناسة قاربى وبدلاً من أن يحافظ على نظام الطاقم تدمر بصوت عال قدر استطاعته وبشكل سيئ، قال بشكل حاسم حالفاً ومقسماً:

- حسناً.. هذا الأمر لن يدوم!!

أعتقد أن ذلك إشارة سيئة، وبمرور الوقت من هذا اليوم أصبح الرجال أكثر خفة ورغبة بما يخص أعمالهم وصارت رؤية الجزيرة تجعلهم أكثر راحة للنظام.

أثناء الطريق كان يقف لونج جون بجوار قائد دفة السفينة الذى يعرف الطريق كما يعرف راحة يده ويعتقد أن الرجل الموجود فى الأغلال يتحرك فى كل مكان أكثر من الماء الموجود فى تلك الخريطة، فلم يتردد جون مرة واحدة، قال جون:

- يوجد مكان قوى نظيف به الماء الجارى مع وجود الجزر وهذا الممر حُفر بمجراف.

وصلنا إلى المكان الذى تم تحديده على الخريطة كى نرسو فيه، كان على بعد ثلث ميل من كل شاطئ، كان المكان الرئيسى على أحد الجوانب ويقابل جزيرة الهيكل العظمى على الجانب الآخر، كان القاع من الرمال النظيفة وأفزعت سقطة الغاطس سحب من الطيور كانت تطلق حول الغابات وتصرخ عالياً، لكن فى أقل من دقيقة هدأوا مرة أخرى وصار الكل أكثر صمتاً مثل السابق.

كان المكان كله أرضاً مغلقة ومدفونة في الغابات وتصل كثافة الأشجار حتى بداية الماء، كانت الشواطئ مسطحة تماماً وقمم التلال تحيط بشكل دائري على مسافة كبيرة وكأنها مدرج، واحد هنا وواحد هناك، كما يوجد أيضاً نهران صغيران ومستنقعان يفيضان إلى بركة من الماء إذا أردت أن تدعوها كذلك، كانت أوراق الشجر التي تحيط بجزء من الشاطئ تمتلك نوعاً من الإشراق السام، لم نستطع أن نرى من السفينة أى منزل أو حظيرة، كانوا جميعاً مدفونين بين الأشجار ولو لم تكن بين أيدينا خريطة عن تلك الجزيرة لربما قلنا أننا أول من ألقى بهلبه على ظهر تلك الجزيرة منذ أن ظهرت لنا من بين البحار.

لم يكن هناك نفس يتحرك ولا أى صوت ما عدا صوت الأمواج التي تزار على بعد نصف ميل من الشواطئ وتضرب الصخور التي في الخارج، كانت الرائحة الآسنة الراكدة تنتشر في المرسى وترتفع رائحة الأوراق المبللة وجنوع الشجرة العفنة، لاحظت أن الدكتور ليفزى يعطس ويعطس مثل شخص تنوق بيضة فاسدة، قال:

- أنا لا أعرف شيئاً عن الكنز ولكنى سوف أراهن بياروكتي هناك لأن العمل والنشاط يبدأ من هنا.

ولو ظل سلوك الرجال مزعجاً في السفينة سيصبح الأمر مهدداً عندما يأتون وسيظلون يتشاجرون على ظهرها ويتجادلون في حواراتهم.

استقبل الأمر بنظرة سوداء وعلى مضض كاد بإهمال أن يطاع، حين يصاب الرجال والبحارة الأمناء بتلك العدة قلن يوجد شخص واحد على السفينة يريد أن يصلح الآخر، كان التمرد واضحاً وسيخيم علينا مثل سحابة رعديّة.

لم نكن نحن فقط - مجموعة الكابينة - الذين يتوقعون الخطر القادم، كان لونج جون سيلفر جاداً جداً في عمله ويذهب من مجموعة إلى أخرى منقفاً وقته ومعطياً نفسه ويبدل النصيحة الجيدة للجميع، وعلى سبيل المثال لم يستطع أحد أن يعرض نفسه بشكل جيد، فقد كان متفوقاً على نفسه في إرادته وفي أدبه وكياسته، كان دائماً ما يوزع ابتسامته لكل شخص، فلو أعطى أى أمر يكون جون على عكازه في لحظة هاتفاً

صائحاً (أنا هنا يا سيدى) وكأنه الأكثر ابتهاجاً فى العالم، وحين لم يكن لديه شىء يفعل يظل يغنى أغنية بعد الأخرى كما لو كان يريد أن يخفى أو يكتم سخطه على الأشياء الباقية.

وكانت من تلك الصور الكئيبة لهذه الظهيرة الكئيبة هذا القلق الواضح على مجموعة لونج جون الذى ظهر فى شكله الأسوأ، وقد عقدنا مجلساً فى الكبينة، قال الكابتن سموليت: - سيدى لو خاطرت بإصدار أمر آخر سوف يأتى كل رجال السفينة هنا بسرعة ويعترضون بشدة، وكما رأيت يا سيدى أننى تلقيت رداً خشناً ولو عاودت الأمر سوف نجد تلك الثورة لا محالة وإذا لم أفعل سوف يعتقد سيلفر أن هناك شيئاً ما وراء ذلك وسيزيد الشك، والآن لدينا شخص واحد من الممكن الاعتماد عليه.

قال الإقطاعى تريلونى:

- من هو إذن؟!

قال الكابتن:

- سيلفر يا سيدى، فهو قلق مثلك وأنا أريد أن أكبح غضب الأشياء، تلك هى المشكلة والشجار الحادث، فهو يستطيع أن يتحدث معهم لو عنده الفرصة وما عرضه هو أن نعطيه الفرصة ودعونا نسمح للرجال برحلة شاطئية هذه الظهيرة، فليذهبوا جميعاً حتى لا تحدث أى قلاقل، فلو لم يذهب أحد منهم سيكون الأمر حسناً ساعتها، سنظل فى الكبينة وسوف يدافع الله عن الحق، وإذا ذهب البعض ستتذكرون كلماتى يا سيدى وأن سيلفر سوف يحضرهم للسفينة مرة أخرى أكثر اعتدالاً مثل الحملان.

واتخذ قراراً أن تحشى المسدسات بالبارود وتعطى لرجالنا المخلصين والمتاكين منهم مثل هنتر وجويس وريدروث الذين أعطوا كل ثقتنا وتلقوا الأخبار بدهشة أقل وروح عالية أكثر مما كنا نبحت عنه، ثم استمر الكابتن فى وجوده على ظهر السفينة وأخبر الطاقم قائلاً:

- يا شباب، نحن نعانى من يوم حار، وجميعنا متعب وخارج الحالة المزاجية الجيدة، فجولة على الشاطئ لن تؤذى أحداً، فالقوارب ما زالت فى الماء ومن الممكن أن تأخذوا منها ما تريدون وأى عدد مسموح له الذهاب للشاطئ طوال الظهيرة وسوف أطلق النار قبل الغروب بنصف ساعة لتعودون.

أعتقد أن هؤلاء الزملاء السخفاء يعتقدون أنهم سوف يكسرون سيقانهم من أجل الكنز حين يهبطون عليه وسوف يخرجون جميعاً من حالة الاستياء في لحظة وسوف يطلقون صيحاتهم وسيبدأ صدى الصوت يتردد من بعيد في التل وسيجعل الطيور تزيد من طيرانها وصراخها حول المرسى.

كان الكابتن أكثر وضوحاً في الطريق، لقد خطف البصر في لحظة وترك سيلفر يعد للحفلة، أعتقد أن ذلك كما فعل تماماً ولو كان على الجزيرة لما ادعى أنه لم يفهم الموقف، كان الأمر واضحاً كالنهار، وكان سيلفر الكابتن يمتلك أمر طاقم البحارة المتمرد ويسيطر عليه تماماً، كنت والبحارة الأمناء نستوعب ذلك، يا لهم من زملاء أغبياء جداً أو إلى حد ما، أعتقد أن تلك هي الحقيقة وأن كل الرجال لم يتأثروا بنموذج زعماء العصاة، فالبعض مع ذلك والبعض ضده.



أعطيت كل المسدسات المحشوة بالبارود لكل الرجال الموثوق فيهم

تأثر البعض ولم يتأثر البعض الآخر، فقليل منهم أصدقاء جيبون على أى حال، ولا يمكن أن يغادروا أو يساقوا بأى حال من الأحوال، شىء واحد فقط يجعلك كسولاً ومتراجعاً وهو أن تأخذ سفينة وتقتل رجلاً أو أحداً من الأبرياء.

أخيراً ومع أن الرحلة أعدت فإن ستة من الرجال اضطروا للبقاء على ظهر السفينة والثلاثة عشر الباقين بما فيهم سيلفر بدأوا فى الشروع فى ركوب المراكب الصغيرة.

جاء إلى ذهنى بداية الأفكار المجنونة التى ساهمت كثيراً فى إنقاذ حياتنا، فلو أن ستة رجال تركوا بواسطة سيلفر، سيكون واضحاً أن حزيناً أو مجموعتنا لن نستطيع أن نقاتل ومنذ تلك اللحظة تبقى فقط ستة من حزيناً، لذا كان واضحاً أن مجموعة الكابينة ليست فى حاجة لوجودى معهم، لذا قررت فى الحال أن أذهب إلى الشاطئ مع مجموعة سيلفر وفى لمح البصر انزلت إلى أقرب قارب والذى انطلق فى نفس اللحظة، لم يلحظ وجودى إلا صاحب المجداف الأمامى، قال:

- أنت يا جيم معنا؟ اختفى عن العيون!

لكن سيلفر نظر إلى من القارب الآخر بحدة ونادى عليهم لكى يعرف إذا كنت أنا أم لا ومنذ تلك اللحظة بدأت أندم على ما فعلت.

سارعت الأطقم إلى الشاطئ، لكن القارب الذى كنت به بدأ التحرك وكان فى الحال أكثر خفة والأحسن تزوداً بالرجال، وانطلق للأمام إلى جانب السفينة الأخرى، بدأ القارب يضرب بمجدافه بين الأشجار الجانبية الشاطئية، أمسكت بأحد فروع الأشجار وأرجحت نفسى إلى أقرب تجمع شجرى كثيف بينما كان السيد سيلفر والباقيون ما زالوا على بعد مئات الأمتار خلفنا، سمعته يصرخ:

- جيم.. جيم!!

لكنى لم أعط لصرخاته أى اهتمام وواصلت القفز والعيوم واختراق الشاطئ وجريت مباشرة قبل أن لا أستطيع أن أفعل ذلك.

١٤ - أول عاصفة

شعرت بالسعادة أن أترك لونج جون توفيراً للنفقات وبدأت استمتع بما حولى باهتمام كبير على تلك الأرض الغربية التى أنا عليها، عبرت قطعة أرض سبخية مملوءة بالصفصاف وأعشاب البرك والأشجار المستنقعية الغربية والشاذة، وصلت بعدها لضواحي قطعة أرض رملية متموجة مفتوحة على بعد ميل، منقطة بقليل من شجر الصنوبر وعدد كبير من الأشجار الملتوية، ليست مثل شجر البلوط فى نموها لكنها صفراء فى نموها الخضرى مثل الصفصاف، على الجانب البعيد للمكان المفتوح تقف مجموعة من التلال بقميتين غريبتين تشرقان بوضوح فى الشمس.

شعرت لأول وهلة بمتعة الاكتشاف، فالجزيرة لم تكن مأهولة بالسكان، فقد تركت زملاء السفينة ورائى ولا شىء من الأحياء أمامى سوى بعض الطيور والوحوش الخرساء.

تجولت هنا وهناك بين الأشجار، فالنباتات المزهرة فى كل مكان، والتى لم أكن أعرف الكثير منها، رأيت الثعابين فى كل مكان. أحدها أطل من قمة صخرة وهس بصوته مصدراً ضوضاء مثل آلة غزل، فعل ذلك بشكل قليل جعلنى أعتقد أنه فعلاً عدو مميت وأن تلك الضوضاء مثل حشرجة الموت المعروفة.

ثم ذهبت إلى دغل من الأشجار دائمة الخضرة، عرفت بعد ذلك إنه شجر البلوط الذى ينمو منخفضاً عبر الرمال مثل الأشواك والأغصان الملفوفة والمتشابكة وأوراق الشجر المندمجة مثل القش، كان الدغل يمتد من قمة إحدى الهضاب الرملية وينتشر وينمو طويلاً بشكل طبيعى حتى يصل لحافة المستنقع الواسع ويخترقه حتى النهر الصغير فيغرق فيه حتى المرسى، كان المستنقع يتبخر بفعل حرارة الشمس القوية، وعلى المدى كان جبل النظارة المكبرة يرتعش خلال هذا الضباب.

كل شيء هناك بدأ يقدم نوعاً من الصخب حولنا بين نبات البردى والعشب المائي، طار بط بري عالياً وبدأ يببط، تبعه آخر، وبعد لحظة امتلأ سطح المستنقع بسحابة كبيرة من الطيور الصارخة والمحدثة زعيقاً ودائرة في الهواء، شعرت في قرارات نفسي ساعتها أن بعضاً من زملاء السفينة يزحفون الآن إلى حافة المستنقع، لم أكد أقرر ذلك حتى سمعت نغمات منخفضة لبشر ظلت تتواصل إلى أذني بثبات وتعلو شيئاً فشيئاً وتقرب أكثر، جعلني ذلك خائفاً جداً، بدأت أنحف تحت غطاء من شجر البلوط القصير السمين هناك الذي يبدو مصفياً تماماً وساكناً كالقار.

سمعت صوتاً آخر ثم تلاه الصوت الأول الذي بدأت أتعرف عليه، كان صوت سيلفر، لحظة أخرى وبدأت الحكاية تتضح واستمر لحظة أخرى وكان يُقاطع بين لحظة وأخرى من خلال الصوت، كانوا يتحدثون بجدية وعنف إلى حد ما، لكنني لم أستطع أن أميز أى من الكلمات التي سمعتها.

أخيراً يبدو أن المتحدثين توقفاً مؤقتاً، وربما جلسا لكنني تاكدت أنهما لم يتوقفا عن الكلام ولكنهما اقتربا من بعضهما فظهر حديثهما واضحاً، لأن الطيور أنفسها صارت أكثر هدوءاً واستقراراً وعادت إلى مكانها في المستنقع مرة أخرى.

والآن بدأت أشعر أنني أنسى وأتجاهل شأني الخاص وما خرجت لأجله، ومنذ تلك اللحظة صرت حريصاً أن أحضر للشاطئ مع هؤلاء الخارجين على القانون، كان آخر ما أستطيع أن أفعله أن أسترى السمع لهم في مجالسهم وتلك كانت مهمتي الواضحة والبسيطة كي أقرب منهم قدر ما أستطيع تحت مكن محبب لى بين الأشجار المتشابكة.

استطعت أن أحدد اتجاه المتحدثين بوضوح جداً، ليس فقط من خلال أصواتهم، لكن من خلال سلوك بعض الطيور التي ما زالت فوق رؤوس هؤلاء المتطفلين المزعجين.

زحفت على يدي وقدمي، فعلت ذلك بثبات وببطء في اتجاههم حتى استطعت أخيراً أن أرفع رأسي من خلال كوة بين أوراق الأشجار، استطعت أن أرى بوضوح وادياً أخضر صغيراً بجانب المستنقع ويحاط به الأشجار حيث يوجد لونج جون سيلفر وشخص آخر من طاقم السفينة يتحدثان وجهاً لوجه.

غطتهما الشمس، رمى سيلفر قبعته بجواره على الأرض وصار وجهه الأشقر أكثر إشراقاً مع حرارة الشمس ورفع وجهه للرجل الآخر كنوع من المناشدة قائلاً:

- زميلي!! يكون هذا لأنى أعتقد أنك شخص جيد وبك أصول ذهبية، ومن الممكن أن تركن لذلك، وإذا لم أكن أتخذتك كزميل حميم، أكنت تعتقد أننى هنا لكى أحذرك، كل شيء انتهى، ولم تكن تستطيع أن تفعل شيئاً، كان هذا من أجل إنقاذ حياتك، فلو أن أحداً من هؤلاء عرف ذلك وأين كنت فلك أن تخبرنى الآن يا توم أين ساكون ساعتها؟

قال الرجل الآخر:

- سيلفر.

- لقد لاحظت أنه لا يخجل ولكنه يتحدث بصوت خشن ولفظ مثل الغراب وصوته كان مشدوداً أيضاً مثل وتر.

وأضاف الرجل:

- أنت رجل عجوز وأمين وتمتلك الأمر ومعك نقود أيضاً لا يمتلكها الكثير من البحارة الفقراء وأنت كذلك شجاع، هل أنا مخطئ؟ ومن المؤسف أن تقول لى إنك جعلت نفسك تحت أمر وقيادة هؤلاء التافهين على السفينة، لست أنت هذا الرجل أنا متأكد من الأمر كما أراك الآن وسأفقد يدى لو تحولت ثانية يا زميلي العزيز.

وكانت المفاجأة أنه تم مقاطعته بواسطة ضوضاء، لقد وجدت واحداً من البحارة الأمناء.

حسناً هنا وفى نفس اللحظة جاءت أخبار أخرى، فبعيداً عن المستنقع كانت هناك عاصفة، كانت صرخة غضب تلتها واحدة أخرى، ثم تلتها ثلاثة أكثر بشاعة وأخيراً صرخة مدوية عميقة، سمع الصوت مرات ومرات، فقد حلقت ثانية كل جماعات طيور المستنقع واسودت السماء وصار الطنين متلازماً، وما زال الدق فى رأسى بعد هذه الصرخة المميتة، خيم الصمت على كل شيء، ولم يعد يسمع إلا صوت خفيف الطيور الهابطة وهدير الإعصار البارد الذى أزعج كسل الصباح.

قفز توم عند سماعه لهذا الصوت مثل حصان يستعد للانطلاق لكن سيلفر لم يرمش له جفن، وقف حيث كان بثبات، مستنداً بخفة على عكازه، يراقب زميله مثل ثعبان يستعد للانقضاض، قال البحار ماداً يده:

- سيلفر!

صرخ سيلفر انتهى دور العمال ثم قفز ياردة للخلف بسرعة وأمان مثل رياضي مدرب، قال البحار:

- انتهى دور العمال لو أردت يا سيلفر، يا له من ضمير أسود، ذلك الذى يجعلك تخاف منى، أستحلفك بأن تقول لى ما هذا الذى يحدث؟
استدرك سيلفر قائلاً:

- هذا!

ثم ابتسم لكنه كان حذراً عن ذى قبل، كانت عيناه هى المكان المميز فى وجهه الكبير، لكنها كانت مشرقة مثل كسرة الزجاج، قال سيلفر:

- أعتقد أن ذلك سيكون "آلان".

انفجر توم غاضباً عند هذه اللحظة مثل بطل وصرخ:

- آلان الذى أبقى روحه لأجل البحار الحقيقى ولأجلك يا جون سيلفر، وكنت أعتقد أنك زميلى لكنك مثل كلب الآن، سأموت مرتاحاً، لقد قتلت آلان، أليس كذلك؟ اقتلنى أيضاً لو استطعت لكنى سأقاومك.

استدار توم بشجاعة وأعطى ظهره لسيلفر ومشى نحو الشاطئ، لكنه لم يحدد إلى أين يذهب، وبصرخة قبض جون على فرع شجرة وتأبط عكازه وأطلق هذا الفرع كقذيفة صاروخية فأصاب توم المسكين، كانت ضربة عنيفة صاعقة أصابته بين الكتفين، تقريباً فى منتصف ظهره، رفع توم يديه لأعلى متألماً وشهق شهقة ثم سقط على الأرض.

لا أحد يستطيع أن يحدد إذا كان قد جرح بشكل كبير أو قليل، لكن صرخته حكمت أن ظهره قد كسر فى المنطقة التى أصابتها القذيفة، ولم يعطه سيلفر أى وقت كى يرتاح قليلاً، فقد أجهز عليه مثل قرد يتقاذف برشاقة بون ساق أو عكاز، ثم كان فوقه فى اللحظة التالية وغرس الخنجر مرتين حتى آخره فى جسده الذى لا يقاوم، سمعت صرخته العالية من مكنى وكأنه أثار العواصف.

لم أستطع تحديد ما حدث بالضبط حتى أغمى على، كل ما استطعت أن أعرفه فى اللحظة التالية أن العالم يغرق بعيداً فى ضباب يدور حولى، فسيلفر والطنبور وأعالى الجبال يدورون حولى وصار كل شيء رأساً على عقب أمام عيني وصارت كل الأجراس تدق والأصوات المستمرة تصرخ فى أذنى.

حين أفقت وعدت لنفسى كان الوحش سيلفر قد سحب نفسه وعكازه تحت إبطه وقبعته فوق رأسه ومسح سكينته الملوثة بالدماء فى حزمة من الحشائش تاركاً توم يرقد بلا حراك فوق خنجره وكأنه لا يعنيه مثقال ذرة.

كل شيء لم يتغير، فالشمس تشرق بقسوة على المستنقع والجبال الشاهقة، أقنعت نفسى بصعوبة أن القاتل قد ارتكب جريمته وأن حياة الإنسان قد انتهت بقسوة فى لحظة قصيرة أمام عيني.

وضع جون يده فى جيبه وأخرج صفارته وصفر بها عدة مرات متتالية، كانت ترن عبر الهواء الساخن، لم أستطع بالطبع أن أقول شيئاً عما رأيت أو أعطى أى إشارة له، لكن ذلك أيقظ مخازنى، فكثير من الرجال سوف يأتون، ربما أكتشف، لقد ذبح اثنان من الرجال الأماناء توم وآلان وربما أكون بعدهما.

بدأت أستخلص نفسى وأنسحب فى هدوء عائد مرة أخرى بسرعة، كنت صامتاً قدر استطاعتي حتى خرجت إلى مكان مفتوح فى الغابة، وحين فعلت ذلك سمعت هتافات قادمة ومتبادلة بين القرصان العجوز وزملائه أعطاني هذا الصوت الخطير جناحين للهرب، فبمجرد أن اتضح الأمر لى جريت كما لم أجر من قبل متذكراً الطريق الذى جئت منه لهذه الرحلة، أحسست أنه طويل كى أبعد عن هؤلاء القتلة، جريت أكثر رغم أن خوفى يتزايد أكثر وأكثر حتى صار نوعاً من الجنون.

حقاً، هل يستطيع أحد أن يضيع الآن أكثر منى؟! فحين يطلق النار للعودة إلى المركبة كيف سأجرؤ أن أعود للقوارب كي أكون وسط هؤلاء الشياطين الذين ما زالوا يدخلون من أثر جريمتهم، وهل لن يرانى أول واحد منهم وأنا ألوى رقبتى مثل طائر الشنقب حين أعود؟ وألا يكون غيابى نفسه دليلاً لهم كي يحذروا منى؟ وفوق كل ذلك ما لدى من معلومات مميتة، كل شيء انتهى، أعتقد ذلك، وداعاً للسفينة هسبنيولا وداعاً للسيد تريلونى وداعاً للدكتور ووداعاً للكابتن، لم يعد لدى شيء متبقياً إلا الموت، فإما الموت جوعاً أو الموت بأيدي هؤلاء البحارة المتمردين.

كنت أقول ذلك لنفسى وأنا أجرى نون أن ألاحظ شيئاً، تسللت حتى وصلت إلى سفح الجبل الصغير ذى القمتين ووصلت إلى جزء من الجزيرة حيث نبات البلوط ينمو باتساع كبير فى هذا الجزء ويشبه أشجار الغابة فى تحملها وحجمها مختلماً بقليل من أشجار الصنوبر المخططة والتى تقرب الخمسين أو السبعين والتى تتميز بارتفاعها، كان الهواء أكثر طزاجة عن ذى قبل بجوار المستنقع، وهنا كان تحذير جديد أعادنى إلى الموقف المتجمد بقلب متضخم مملوء بالهم.

١٥- رجل الجزيرة

فى جانب التل الذى كان منحدرًا وصخريًا، نافورة من الحصى أزيحت وسقطت بشكل صاخب وأحاطت بالأشجار، تحولت عيناى بصورة فطرية إلى هذا الاتجاه، رأيت شبحاً يتقافز بسرعة فائقة خلف جذع شجرة بلوط، ترى ما هذا؟ أدب أرى أم رجل أم قرد؟ لم أعرف ما هو بشكل حاسم، يبدو غامقًا وأشعث عما أعرف، لكن الرعب من هذا الشبح جعلنى أتصلب فى مكانى.

كنت مقسمًا بين الخوفين، ف خلفى القتلة وأمامى الآن هذا الشبح الذى لا يوصف، بدأت فى الحال أفضل الأخطار التى أعرفها عن تلك التى لا أعرفها، سيلفر نفسه يبدو أقل خطرًا بالمقارنة إلى هذا المخلوق القادم من الغابة، عدت أدراجى ثانية ونظرت بحدة خلفى من فوق كتفى، وبدأت أقتفى آثار خطواتى فى اتجاه القوارب.

ظهر الشكل وطاف حولى فى شكل دائرى ثم وقف أمامى، كنت متعبًا على أى حال، لكنى كنت منتعشًا كما لو كنت متيقظًا، استطعت أن أراه، كان بالنسبة لى كمن يحارب بسرعة وكأنه عدو، كان يتحرك من جذع شجرة لأخرى وكأنه دب لكنه يجرى على قدمين كإنسان، لكنه لم يكن كإى إنسان رأيته من قبل، كان يجرى منحنيًا ولكنه كان رجلا على أى حال، لم أعد فى شك من هذا الأمر.

بدأت أستدعى ما سمعته عن أكلى لحوم البشر، كنت فى حاجة ماسة لآى مساعدة أو نجدة، لكن تبقى حقيقة مجردة إنه إنسان رغم أنه يبدو همجى، وهذا ما طمأننى على أى حال، بدأ خوفى من سيلفر يرتفع نسبته مرة أخرى، ما زلت واقفًا، وعلاوة على ذلك أ طرح بعض الوسائل للهرب وبينما كنت أفكر عادت إلى ذهنى فكرة استعادة مسدسى مرة أخرى، وبمجرد أن تذكرت ذلك لم أكن بلا دفاع، توهجت شجاعتى مرة أخرى فى قلبى ونظرت لرجل الجزيرة هذا بحزم وإصرار وذهبت بشجاعة إليه.



رأيت شبحاً يتقافز بسرعة كبيرة خلف جذع شجرة بلوط

كان مختفياً قبل هذا الوقت خلف جذع شجرة أخرى، لكنه كان يراقبني عن قرب، فبمجرد أن بدأت أتحرك في اتجاهه عاود الظهور ثانية وأخذ خطوة كي يقابلني، ثم تردد وتراجع مرة أخرى وتقدم مرة ثانية، وأخيراً ولدهشتي ولخبطتي رمى نفسه على ركبته وشبك يديه في توسل وعندئذ توقفت وسألته:

- من أنت؟!

أجاب بصوت أجش وصعب :

- بن جن، أنا بن جن المسكين، أنا لم أتحدث إلى أى إنسان منذ ثلاث سنوات. لقد رأيته الآن بوضوح، كان إنساناً أبيض مثلى وكانت سماته طيبة وبشوشة، لكن جلده كان معرضاً للشمس التي حرقته وكانت شفاهه سوداء وعيناه الطيبة بدتا

مذهلتين فى هذا الوجه الأسود، كان بالنسبة لكل الشاحذين الذين تخيلتهم أعظمهم فى ملابسه الرثة، فقد كان مرتدياً حزمة قماش من شراع قديم وملابس بحر قديمة بالية، وكانت هذه الرقع الغريبة مجمعة معاً فى نظام أكثر غرابة بأربطة غير متناسبة تماماً وبأزرار نحاسية وقطع من العصا وعروات من جلد الحصان القطرانى، عند وسطه تقريباً يرتدى حزام جلدى بأبزيم نحاس وكان الشيء الوحيد الصلب فى كل الأشياء التى يرتديها، صرخت:

- ثلاث سنوات، أكنت ممن دمرت سفينتهم؟!

أجاب:

- لا يا زميلى، بل تركونى وحيداً على الجزيرة. ماروندا!

لقد سمعت الكلمة وأعرف أنها تعنى نوعاً فظيلاً من العقاب شائعاً بين القراصنة وهى أن يترك المذنب على الشاطئ بقليل من المؤن ويترك وحيداً على تلك الجزيرة المعزولة البعيدة، واستمر قائلاً:

- تركت وحيداً هنا لمدة ثلاث سنوات مرت وكنت أعيش على الماعز منذ تلك اللحظة، وعلى الثمار والمحار، وحيث يكون الإنسان أكون أنا، فالرجل يستطيع أن يفعل شيئاً بنفسه، لكن يا زميلى قلبى ما زال يشترق لوجبة الكنيسة، ما زلت أشتاق إلى قطعة جبن وتوست، فكم حلمت ليالى طوالاً بطعم الجبن واستيقظت من نومى وأنا أفكر فيها هنا حين أكون.

قلت له:

- لو عدت مرة أخرى، سوف نتناول مقداراً كبيراً من الجبن.

كان طوال الوقت يشعر بقيمة جاكيتى ويلمس يديّ وينظر إلى حذائى الطويل، ويعبر عن مشاعره الطفولية فى حضور كائن بشرى زميل وكان ذلك بصفة عامة بين فواصل الكلمات، وعند كلمائى الأخيرة رفع معنوياته إلى درجة كبيرة ومدهشة، وكرر ثانية:

- لو تستطيع العودة مرة أخرى، لقد قلت ذلك، ولم لا؟ الآن من يستطيع أن

يعوقك أو يمنحك.

- ليس أنت، أنا أعرف.

كانت تلك إجابتي.

صرخ:

- حسناً، أنت ستساعدني الآن، ما اسمك؟

أخبرته:

- جيم.

أجاب بوضوح وسعادة لحد ما.

- حسناً، والآن يا جيم، لقد عشت حياة خشنة لدرجة أنك قد تخجل لسماعها، فأنت لن تصدق على سبيل المثال أن لى أما كانت ورعة وتقية حين تنظر إلى.

أجبت:

- ولم لا؟

قال:

- نعم، حسناً ولكنى كنت أمتلك تدين جدير بالملاحظة، وكنت ولدًا متحضرًا ومتدينًا وأستطيع أن أجلجل وأفخر بتعليمي الشفاهى بسرعة لدرجة أنك لا تستطيع أن تميز كلمة عن الأخرى، وهنا وجدت ما تعلمته، كنت أبدأ بلعبة " التوس " على أحجار المقابر المقدسة وهذا ما كنت أبدأ به كى أسلى نفسي، ولكنى كنت أذهب لأبعد من ذلك، كنت أتذكر ما كانت تخبرنى به أمى وكانت تتوقعه بصفة عامة، وكانت تفعله، يالها من امرأة تقية ورعة! لقد كانت العناية الإلهية التى قذفت بى هنا، اعتقدت أن وجودى على هذه الجزيرة المنعزلة سيعود بى ثانية إلى التقوى، لم تكن تستطيع أن تضبطنى أتذوق خمر الروم كثيراً إلا من كأس واحد كى يجلب لى الحظ، وبالطبع تلك أول فرصة أقابلها وأنا ملتزم جداً أن أكون إنساناً جيداً وأشعر أنني فى طريقى إلى هذا الخير يا جيم.

نظر بن جن حوله وأخفض من صوته لدرجة الهمس وقال:

- أنا غنى.

تأكدت الآن أن الزميل المسكين صار مجنوناً في عزلته، اعتقدت أنني عبرت عن تلك المشاعر بوجهي وخاصة حين كرر كلمته بحماس، قلت له:

- غنى.. غنى!! سأقول لك ما هذا، وسأكون صديقك يا جيم وسوف نشكر الله، ستفعل، فأنت أول واحد وجدني.

وفي تلك اللحظة غطى وجهه فجأة وشد من إمساكه ليدي بقوة ورفع سبابته مهدداً أمام عيني، سألتني:

- الآن يا جيم، هل تخبرني الحقيقة، أهذه سفينة فلنت؟!

شعرت بالسعادة في تلك اللحظة وبدأت أعتقد أنني وجدت حليفاً، لذا أجبته في الحال:

- هذه ليست سفينته، لأن فلنت قد مات، ولكني سأخبرك الحقيقة كما سألتني، يوجد بعض حلفاء وأيادي فلنت على ظهر السفينة، وكان ذلك حظاً سيئاً لباقي الموجودين على السفينة.

شهق قائلاً:

- ألا يوجد رجل بقدم واحدة؟

أجبته:

- سيلفر.

قال:

- نعم سيلفر، هذا هو اسمه، إنه الطباخ وزعيم العصاة أيضاً.

كان ما زال يمسكني من معصم يدي وحين سمع ما قلت هز يدي بقوة، وقال:

- لو كنت أرسلت بواسطة لونج جون، فأنا ضعيف وفريسة وأنا أعرف هذا، وثق أنت من هذا.

فى لحظة حاولت أن أفكر جيداً وقبل أن أقول له أى إجابة أخبرته بحكاية رحلتنا البحرية كلها والمأزق الذى وجدنا فيه أنفسنا، وسمعتنى بحماس كبير واهتمام، وحين انتهيت من سرد الحكاية ربت على رأسى وقال:

- أنت شاب جيد يا جيم، جميعكم فى عقدة وحزمة واحدة، أليس كذلك؟ حسنا، ومن الممكن أن تضعوا ثقتكم فى بن جن، بن جن هو الرجل الذى سيفعل ذلك، هل تعتقد أن العمدة الإقطاعى سيكون رجلاً متحرراً وليبرالياً فى حالة أن أساعده، هو معكم فى نفس المجموعة كما حددت من قبل.

أخبرته أن الإقطاعى تريلونى هو الأكثر تحراً وليبرالية فى الرجال، استدرك بن جن قائلاً:

- نعم.. لكنك فهمت، أنا لا أقصد أن تعطينى مكاناً أبقى فيه، أو بدلة من ملابس الحياة، أو مثل ذلك، هذا لا أقصده ولا أبغيه يا جيم، ما أقصده هو هل من الممكن أن يأتى ويشاركنا وينزل معنا إلى الغابة. وقل له أن ألف جنيه إنجليزى سيكون جيداً لأى إنسان فعلاً.

قلت:

- أنا متأكد أنه سوف يفعل، كما أن كل العمال والبحارة على وشك أن تشارك.

وأضاف بن جن بنظرة ذكية فطنة:

- وحق السفر على متن السفينة؟

صرخت:

- لماذا؟ الإقطاعى تريلونى رجل لطيف ومهذب ولن يقبل ذلك، بالإضافة لذلك لو تخلصنا من هؤلاء الأشرار سنكون فى حاجة ماسة أن تساعدنا فى السفينة.

قال:

- هل ستفعل؟

وبدا أكثر ارتياحاً وسكينة عن ذى قبل، واستمر قائلاً:

- الآن سوف أخبرك ما الأمر، سأقول لك أشياء كثيرة، وليست قليلة، لقد كنت فى سفينة فلنت عندما دفن الكنز ومعه ستة رجال أقوياء، ظلوا على الشاطئ لمدة أسبوع تقريباً، وكنا واقفين بعيداً على ظهر السفينة "حصان البحر القديمة" ولس"، وفى أحد الأيام الجميلة جاء هنا فلنت فى قارب صغير وكان رأسه ملفوفاً بإشارب أزرق ويرتدى ملابسه البيضاء البائدة ويقف فى المقدمة حين كانت الشمس تشرق هنا، أتذكر موت الرجال الستة جميعاً، ماتوا ودفنوا، كيف فعل هذا؟ لم يستطع رجل أن يرى ذلك، كانت معركة، وقتل وموت مفاجئ، وعلى أقل تقدير كان واحداً مقابل ستة، كان بيلي بونز زميله، ولونج جون ضابط المناورة سألوه أين يكون الكنز، قال:

تستطيعون أن تذهبوا إلى الشاطئ لو أحببتم وتظلوا هناك، أما بالنسبة للسفينة سوف تهزم وتدمر كثيراً بواسطة العاصفة، وهذا ما قاله.

كنت فى سفينة أخرى منذ ثلاث سنوات وشاهدنا الجزيرة، قلت:

- يا أولاد... يوجد هنا كنز فلنت، دعونا نرسو ونبحث.

كان الكابتن غير سعيد بذلك، لكن زملائى كانوا قد ائقنعوا تماماً بالأمر ورسوا إلى الجزيرة، بحثوا عنه لمدة اثنى عشر يوماً وكانوا كل يوم يحملون شيئاً تجاهى حتى يوم تركونى جميعاً وذهبوا إلى السفينة وقالوا لى:

- بالنسبة لك يا بنجامين جن، هذه بندقية قديمة وجاروف ويلطة وتستطيع أن تبقى هنا وتجد كنز فلنت لنفسك.

ومرت ثلاث سنوات ولم أذق كسرة من طعام الكنيسة من ساعتها وحتى تلك اللحظة، لكن الآن أنت هنا وتتنظر إلى، هل أشبه ربان السفينة؟ أنت تقول لا، وأنا أقول إننى لن أكون كذلك، وعند ذلك غمز لى بعينه وقرصنى بشدة واستمر قائلاً:

- فقط أذكر تلك الكلمات للإقطاعى تريلونى صاحب السفينة يا جيم.

لم يكن بالطبع ربان السفينة، هى الحقيقة، فمنذ ثلاث سنوات وهو رجل الجزيرة الوحيد ليلاً ونهاراً أثناء المطر وفى اعتدال الطقس، كان يفكر فى الصلاة وأحياناً كان يفكر فى أمه العجوز، أمى على قيد الحياة - ربما تقول ذلك - لكن الجزء الأكبر من

وقت بن جن - هذا ما ستقوله - الجزء الأكبر من وقته كان ينهمك فى أمر آخر وسوف تقرصه كى توقظه مثلما أفعل.

ثم قرصنى مرة أخرى بأسلوب حميمى خاص، سوف تقول إن بن جن رجل طيب، وأنه وضع صورة جيدة له وأنه رجل لطيف وغنى ولديه ثروة، قلت:

- حسنا، لم أفهم كلمة واحدة مما قلته، لا من هنا ولا من هناك، لكن قولى كيف سأصل إلى السفينة بعد أن تركت القاريين وهربت.

قال بن جن:

- نعم، تلك هى العقبة، ولكن يوجد قاربى الذى صنعته بيدي هاتين، لقد خبأته تحت صخرة بيضاء، ومع أسوأ الظروف سنستخدمه بعد الظلام.

صرخت قائلاً:

- هيه.. هيه!!

وبعد فترة بسيطة وبالرغم من أن الشمس لم تغرب ويبقى لها ساعة أو اثنتان حتى تهرب فإن صدى أصوات الجزيرة بدأت تعلو وتعلو وتجار كئها عاصفة بصوت مدفع، صرخت:

- بدأوا يتقاتلون، اتبعنى.

وبدأت أجرى تجاه المرسى، نسيت كل خوفى وكان بن جن بالقرب منى يدوس الأرض بخفة ورشاقة، قال لى:

- يساراً.. يساراً، ناحية اليسار يا زميلى جيم، تحت هذه الأشجار، قد قتلت أول عنزة، لن يأتوا إلى هنا الآن، جميعهم على قمة الصاري مثبتين هناك خشية من بينجامين، نعم، رأيت هذه التلال، كنت أحضر هنا وأصلى من وقت لآخر عندما كنت أعتقد أن اليوم كان الأحد، لم تكن كنيسة ولكنها كانت تشبهها، وستقول أن بن جن قصير اليد وليس مصلياً وليس مؤمناً بالإنجيل وشخصاً كسولاً.

وواصل بن جن الكلام أثناء الجرى دون توقف أو انتظار أى إجابة، سمعنا طلقة من المدفع بعد وابل من طلقات الرصاص للأسلحة الخفيفة، حدث توقف مؤقت وعلى مسافة لا تزيد على ربع ميل شاهدت سفينة اتحاد جاك ترفرف بعلمها فى الهواء فوق الغابة.

الجزء الرابع

(الحصن)

١٦ - الدكتور يروى الحكاية

كيف هُجرت السفينة؟

كانت الساعة الواحدة والنصف تقريباً، بدأت ثلاثة أجراس تدق في البحر، قاربان ذهبا للشاطئ من السفينة هيسبنيولا، تحدثت أنا والكابتن والعمدة تريلوني عن الأموال في الكابينة، لو أننا وجدنا أى ربح سوف نتخلص من الستة متمردين الذين تركناهم على ظهر السفينة معنا، أنزلنا المرسى وكنا على استعداد للرحيل لكن الريح كان لها رأى آخر وأكملت عدم مساعدتنا، جاء إلينا "هنتر" بأخبار أن جيم هوكنز انزلق إلى أحد القوارب وذهب إلى الشاطئ مع الباقي.

لم يحدث أننا قد شككنا في جيم هوكنز، لكن انزعجنا لأجل حياته وأمانه، فقد كان مع رجال أشرار ويبدو أن رؤيته مرة أخرى شيء صعب، جرينا إلى ظهر السفينة، كان اهتزاز السفينة شديداً خاصة في الوصلات، والرائحة النتنة في المكان قد أمرضتني، لو شمها إنسان سوف يصاب بالحمى والإسهال، لقد كان المرسى بغيضاً وكريهاً، كان الأشرار الستة من المتمردين يجلسون ويتذمرون تحت أحد الأشرعة في مقدمة السفينة، كنا نرى من على الشاطئ القوارب تسرع، ويجلس على كل قارب منها رجل، كان يصفر كل واحد منهم نغمة موسيقية لرقص أيرلندي يسمى "ليليبوليريو"^(*).

كان الانتظار سيئاً، واتخذت قراراً أن أذهب وهنتر إلى الشاطئ بواسطة قارب القراصنة كي ننقب عن المعلومات، اتخذ القاريان اتجاه اليمين لكنني وهنتر ذهبا للأمام في اتجاه القلعة التي على الخريطة، كان الاثنان اللذان تركا يحرسان القاريين

(*) نغمة رقصة أيرلندية شعبية نشرت عام ١٦٨٩ بواسطة الموسيقار الإنجليزي هنرى بيرسل.

فى نشاط صاخب فى لحظة ظهورنا ويغنون ويرقصون "ليليبوليرو"، فتوقفا وشاهدت الاثنين يتناقشان ماذا سيفعلان، هل سيذهبان لإبلاغ سيلفر، لو حدث سوف يتغير كل شىء، لكنهما كانا يمتلكان وجهة نظر، أعتقد أنهما قررا البقاء هادئين حيث يكونان وأن يعودا لرقصة "ليليبوليرو".

كان هناك انحناء بسيطة فى الساحل، أدت دفة القارب لكى أضعه بيننا، حتى قبل أن نهبط كان لدينا الرؤية المفقودة للقاربين، قفزت من القارب خارجة وجريت بالقرب منه بما أوتيت من جسارة وشجاعة، كنت أرتدى منديلاً حريرياً تحت القبة من أجل أن أبرد رأسى وأحمل حمالة لمسدسين جاهزين لإطلاق النار على مفتاح الأمان، لم نكد نذهب أكثر من مائة ياردة حتى وصلنا الحصن.

وهذا ما كان عليه الحصن، توجد عين ماء رائقة تتدفق تقريباً على قمة تل، حسناً، ونظم هذا الحصن على أنه لوجات (أبراج) قوية تتلائم لكى تستوعب اثنين من المحاربين على قاعدة وفتحة للرمى واستخدام البنادق على الجانب الآخر، يوجد فى كل دائرة فراغ واسع وهذا الشىء مكتمل ومحاط بسور على ارتفاع ستة أقدام بدون باب أو فتحة، كان قوياً جداً لدرجة أنك لا تستطيع أن تفتحه دون وقت كاف ومجهود كبير وكان مفتوحاً وواسعاً لكى يأتى المحاصرين.

كان الناس فى اللوج (البرج) يسيطرون على المكان كله، كانوا يقفون بهدوء فى مأواهم ويطلقون النار على الآخرين، مثل طيور الحجل، كل ما يريونه مراقبة جيدة وطعام من أجل دهشة كاملة لوقت قصير، كانوا يستطيعون تسخير المكان والاستفادة منه ضد الحشود التى تهاجمهم.

وما أخذ خيالى بصفة خاصة كان نبع الماء، وبالرغم من ذلك كان لدينا مكان كاف بدرجة جيدة له فى كابينة السفينة هيسبينيولا، وبه وفرة من الأسلحة والذخيرة والأشياء التى ناكلها والخمر الممتاز، ويبدو شىء واحد حقيقى هو أننا لا نمتلك ماء، وحين كنت أفكر فى هذا الأمر سمعنا صرخة رجل يشارف على الموت، لم أكن جديداً على الموت العنيف، لقد خدمت فى البحرية الملكية وجُرحت فى (فنتنوى) ولكنى أعرف نبضى حين يضطرب وأفكر لأول وهلة فى شخص أحبه، طراً لخيالى لأول مرة أن جيم هوكنز قد مات.

إنه شيء يحدث لك لأنك محارب قديم ولأنى أيضاً طبيب ولا وقت لدينا لكى يضيع، وبدأت أفكر بجد وبدون أن أضيع أى وقت عدت إلى الشاطئ، وقفزت إلى القارب ولحسن الحظ سحب هنتر مجدافاً جيداً وأبحرنا بسرعة وابتعد القارب عن الشاطئ.

وجدتهم جميعاً مكسورين وكان ذلك أمراً طبيعياً، كان يجلس العمدة تريلونى، يبدو أبيض كصفحة بيضاء، يفكر فى كم الأذى الذى من الممكن أن يتسبب فيه لنا، إنها الروح الطيبة، كان أحد البحارة الستة فى مقدمة السفينة أحسن حالاً، قال الكابتن سموليت وهو يومئذ:

- يوجد رجل أيضاً جديد على هذا العمل، جاء كالمغمى عليه يا دكتور، حين سمع الصرخة، لمسة أخرى من دفة القيادة وسوف يلحق بنا.

قلت خطتى للكابتن، واستقر كل منا على التفاصيل لإنجاز ذلك وكان الأمر بينى وبينه، جعلنا رودوث فى الردهة بين الكابينة والمقدمة ومعه ثلاث أو أربع بنادق معمرة بالذخيرة ودروع للحماية، أحضر هنتر القارب حولنا تحت مقدمة السفينة وبدأ جويس وأنا شحنها بالذخيرة والبنادق والمعلبات وشنط من البسكويت وبراميل لحم الخنزير وبرميل من الكونياك وصندوق من الدواء البسيط.

وأثناء ذلك كان العمدة تريلونى والكابتن يجلسان على سطح السفينة ونادى الكابتن على الربان الذى كان مسئولاً عن الإبحار وقال:

- يا سيد هاندز سيبقى هنا اثنان من رجالنا مع بندقية لكل واحد، لو أى واحد منكم أحدث أى إشارة لوصف شيء، سيموت هذا الرجل.

تراجعوا مباشرة للوراء تنفيذاً للأمر، وبعد تشاور بسيط بينهما، استجابوا لأحد زملائهم معتقدين أنه لا شك أنهم سيأخذوننا فى مؤخرة السفينة، ولكنهم حين شاهدوا رودوث بنظرتهم فى ردهة الصارى ذهب إلى السفينة فى الحال وعيونهم تجحظ مرة أخرى على السطح، صرخ الكابتن:

- تحت أيها الكلاب.

واشرأبت الرؤوس، وجحظت العيون ولم نسمع نفساً لهم فى هذا الوقت للسته بحارة المنكسرين القلب، وقبل هذا الوقت كنا نسقط الأشياء فى القارب حين يؤتى بها وأخذنا

القارب وشحنه بالأشياء على قدر استطاعتنا، وبدأت أنا وجويس التوجه نحو الجزء الجنوبي وأبحرنا إلى الشاطئ بسرعة قدر ما استطاعت أن تساعدنا المجاديف.

كانت تلك هي الرحلة الثانية التي أثارت المراقبين على الشاطئ، فجأة ارتفعت نغمة "لييبولير" مرة أخرى وقبل أن نفقد رؤيتهم على تلك البقعة الصغيرة، انعطف أحدهم برشاقة على الشاطئ واختفى، كنت مستعداً تماماً لتغيير خطتي وتدمير قواربهم، لكنني شعرت بالخوف أن يكون سيلفر والآخرين قريبين منا وربما نفقدهم تماماً لو حاولنا أكثر.

وصلنا إلى أرض الجزيرة في نفس المكان الذي كنا فيه من قبل حيث نستطيع أن نجد الأمن، قام الثلاثة بأول رحلة، كان الحمل ثقيلاً، ففقدنا بأحمالنا فوق الشاطئ الصخري ثم تركنا جويس لكي يحرس ذلك، رجل واحد ولكي نكون متأكدين كان معه نصف دسته من البنادق، رجعت أنا وهنتر إلى القارب مرة أخرى، وحملنا أنفسنا بأشياء كثيرة مرة أخرى، لذلك واصلنا العمل دون توقف لالتقاط الأنفاس حتى نقلنا كل الحمولة التي كانت على القارب، وحين أخذ الخادمان موقعهما في الحصن، أبحرت أنا والبارود والذخيرة مرة أخرى إلى السفينة "هيسبنيولا".

كانت تلك مخاطرة كبيرة أن نعود مرة أخرى لكي نعاود شحن القارب بالأشياء، ولكنه كان ضرورياً، فقد كان معهم العداد وكان معنا ميزة السلام. لا أحد من الرجال على الشاطئ معه سلاح وقبل أن يستطيعوا أن يأخذوا أي فرصة لإطلاق النار علينا اقتنعنا وطمئنا أنفسنا أننا نستطيع أن نعطي درساً قاسياً لنصف دسته الرجال الذين على الشاطئ على الأقل.

كان العمدة الإقطاعي تريلوني ينتظرني عند مقدمة السفينة وقد اختفى كل تعبته تماماً وأحضر حبلًا لربط الأشياء بسرعة ونزلنا لكي نملأ المركب بما نحتاجه من أجل حياتنا، أحضرنا لحم الخنزير وحملًا من البسكويت وبنديقية وسيفًا مقوسًا للعمدة تريلوني ولرودروث والكايتن وألقينا بباقي الأسلحة والذخيرة من جانب السفينة على عمق اثنين قامة ونصف لدرجة أننا استطعنا رؤية الإسيتل اللامع المشرق في ضوء الشمس أسفلنا في القاع الرملي النظيف.

بدأ البحر يتحول من حالة المد إلى حالة الجزر قبل ذلك، وبدأت السفينة تتأرجح حول مرساها، بدأت أصوات ترتفع فى اتجاه المركبين، اعتقدنا أن ذلك تأكيد لنا من جانب جويس وهنتر اللذين كانا فى اتجاه الشرق أن ننجز الأمر وأن ذلك تحذير لجموعتنا أن ننتهى بسرعة.

تراجع رودروث من مكانه فى الردهة وقفز إلى المركب الذى أحضرناه إلى مؤخرة السفينة لكى يكون المساعد للكابتن سموليت الذى تحدث قائلاً:

- الآن يا رجال هل تسمعون؟

لم تكن هناك أى إجابة من أعلى مقدمة السفينة.

- كما تحب يا إبراهيم جبرى، كما تريد، أنا أتحدث.

لم نسمع أى رد قادم، استأنف الكابتن سموليت نداءه بصوت أقل:

- جبرى، سأغادر السفينة وأنا أمرك أن تتبع الكابتن، أعرف أنك رجل جيد فى

قاع السفينة، وأقول إنه لا أحد من المجموع سيئ مثلاً برهن وأثبت، ساعتى معى وسوف أعطيك ثلاثين ثانية لكى تلتحق بى.

كان هناك توقف مؤقت واستمر الكابتن قائلاً:

- تعال يا صديقى العزيز، لم أستطع أن أبقى طويلاً، إننى أغامر بحياتى وحياة

هؤلاء الرجال الجيدين كل ثانية.

حدث شجار مفاجئ وأصوات واندفع إبراهيم جبرى ومعه سكين أصابه على

جانب خده وجاء مندفعاً إلى الكابتن مثل كلب جاء إلى صفارة وقال:

- ساكون معك يا سيدى.

وفى اللحظة التالية قفز ومعه الكابتن إلى المركبة التى نحن فيها والتى شقت

طريقها بعيداً، بدأنا نتحرك بعيداً عن السفينة ولم يعد فى ذهننا الشاطئ حين كنا فى الحصن.

١٧- الدكتور يروى الحكاية

الرحلة الأخيرة لقارب القراصنة "جولى"

كانت الرحلة الخامسة تختلف إلى حد ما عن باقى الرحلات، فكان الزورق الصغير للمركبة محملاً بشكل خطير، يوجد عليه رجال كبار، ثلاثة منهم كانوا تريلونى وردروث والكابتن، وأكثر من ستة أقدام ارتفاع كانت أكثر مما ينبغى أن تحمله، أضف إلى ذلك البارود ولحم الخنزير وأجولة الخبز، وصلت الأشياء حتى الحافة العليا للمركب، فكم من مرة أبحرنا فى الماء الضحل فوجدت أن بنطالى وأطراف معطفى تبللت فى النهاية قبل أن نصل بحوالى مائة ياردة، طلب الكابتن أن نوازن ما على المركبة، جعلناها أفضل مما كانت إلى حد ما، فكنا خائفين أن نتنفس، الأمر الثانى أن الجزر قد بدأ وتحرك تيار ماء عتيق فى اتجاه الغرب فى البحر، ثم تحرك جنوباً حتى وصل الممرات المائية والمضايق حتى ساعدنا ذلك أن نصل فى الصباح حتى الموجات كانت خطيرة على زورقنا الممتلئ بالأشياء، لكن الأسوأ أننا كنا لا نبحر فى طريقنا المعروف وكنا بعيدين عن مكان الرسو المعتاد، فكنا خلفه، فلو تركنا تيار الماء يأخذنا كما يشاء سوف نجد أنفسنا على الشاطئ بجوار الزورقين حيث يظهر القراصنة فى أى لحظة وكانت تلك هى المشكلة، قلت للكابتن:

- لن أستطيع جعلها تسير للأمام إلى الحصن يا سيدى.

كنت أقود دفة المركبة بينما كان الكابتن وردروث واثنان من الرجال على المجاديف، قلت له:

- المد يضرب أسفل المركب، هل من الممكن أن تسحبها قليلاً بقوة.

قال:

- لا يمكن دون غمر القارب، لو سمحت تحمل حتى تحقق الانتصار.

وجدت بالخبرة أن المد جعلنا نتحرك فى اتجاه الغرب، حاولت حتى استطعت أن أجعل مقدمة المركب فى اتجاه الشرق، وأن تكون الزوايا فى اتجاه اليمين حتى نتحرك إلى الطريق الذى نود الوصول إليه، قلت له:

- لن نستطيع أن نصل للشاطئ بهذا المعدل.

قال الكابتن:

- لو كان هذا هو الطريق الوحيد الذى يجب أن نسلكه يا سيدى، فيجب علينا أن نسلكه.

واستمر قائلاً:

- يجب أن نسير ضد التيار كما ترى يا سيدى، لأننا لو أخذنا التيار باتجاه الريح لمكان الهبوط على الشاطئ، سيكون من الصعب أن نحدد المكان الذى سنرسو عليه، بالإضافة إلى أن فرصة أن نكون بجوار القاربين الخاصين بالقراصنة متاحة، لذا يجب أن يكون التيار الذى يأخذنا منخفض السرعة فى هذا الحالة وساعتها قد نستطيع أن نراوغ ونتفادى أى شىء على الشاطئ.

قال جراى الذى كان يجلس فى المقدمة:

- التيار أقل استعداداً يا سيدى ومن الممكن أن نقلل السرعة قليلاً.

شكرته كواحد منا، كأن شيئاً لم يحدث من قبل وكنا نحاول أن نعامله معاملة طيبة كأحد منا، فجأة تحدث الكابتن بصوت عال، فاعتقدت أن صوته تغير قليلاً، قال:

- المدفع!!

قلت:

- لقد فكرت فى هذا.

كنت متأكد أن كان يفكر أنه يتم قصفنا ببوابل من القنابل من الحصن، لن يستطيعوا أن يجعلوا المدفع على الشاطئ ولو فعلوا لن يستطيعوا أن يجرجروه إلى الغابة.

لقد نسينا تماماً التسعة المزدودين بالذخيرة بسبب رعبنا، كنا الخمسة أكثر قلقاً وانشغالاً بشأن الزورق، فأنزلنا غطاءها وطلبنا البيرة (الجعة) وهى تسير ونحن تحتها، ليس ذلك فقط، ولكن قفز إلى ذهننا فى نفس اللحظة الطلقات وذخيرة المدفع التى تركناها خلفنا، فضربة واحدة بالفأس لصندوق الذخيرة ستجعلها جاهزة : غير أيد الأشرار الذين يتوافدون على المركبة، قال:

- كان جرائ مدفعجى قلنت.

خاطرنا حتى جعلنا وجهة القارب مباشرة للمكان الذى سنرسو عليه، قبل هذا الوقت أصبحنا بعيدين عن مجرى التيار حتى حافظنا على وجهتنا وطريقنا وبمعدل لطيف ومعتدل من التجديف، استطعت أن أحافظ على معدل ثابت للهدف، لكن الأسوأ من ذلك الطريق أننا أصبحنا هدفاً للسفينة "هيسبنيولا" وخاصة مؤخرتنا.

أستطيع أن أسمع كما أرى تماماً أن النذل صاحب الوجه الأحمر كالبراندى سوف يبدأ بحشو المدفع بتلك الذخيرة على السفينة، سأل الكابتن:

- من أفضل رام فينا؟

قلت:

- السيد تريلونى:

قال الكابتن:

- سيد تريلونى، هل من الممكن أن تصيب أحد هؤلاء الرجال؟

كان السيد تريلونى بارداً مثل الصلب، ونظر إلى فتيلة المدفع، صرخ الكابتن:

- تعامل مع المدفع يا سيدى وإلا سوف تفرق القارب فى المستنقع.

كان الرجال جامزين حين صوب بندقيته، رفع العمدة تريلونى بندقيته، توقف التجديف تماماً واتكأنا على الجانب الآخر من المركب لكى نضبط التوازن له، كان مبدعاً بدرجة كبيرة لدرجة أننا لم نهبط بالمركب.

أعدوا المدفع قبل هذا الوقت واستداروا فى اتجاه دائرى، وكان الرجل الذى بجوار الفوهة والذى بيده الضرب فى مرمى النيران الأكثر تعرضاً لبندقية تريلونى، ومع ذلك لم تكن محظوظين بدرجة كبيرة، وبمجرد أن أطلق النار سقط على الأرض، وكان هذا الرجل واحداً من الأربعة.

ترددت صدى الصرخة التى أطلقها الرجل ولم يسمعها فقط زملاؤه، ولكن سمعتها كل الأصوات التى كانت على الشاطئ، وحين نظر لهذا الاتجاه، شاهدنا القراصنة يخرجون من بين الأشجار ويأخذون أماكنهم على القوارب، قلت:

- وهنا جاء القاربان يا سيدى.

صرخ الكابتن:

- يجب أن نواصل طريقنا حالياً، يجب ألا نفكر فى شىء إلا الذهاب من هنا فوراً، إذا لم نستطع الذهاب إلى الشاطئ، سوف ينتهى كل شىء.

أضفت:

- فقط أحد القوارب قد زود بالرجال، والطاقم الآخر سوف يلتف حولنا كي يطوقنا.

قال الكابتن:

- سوف يبذلون كل طاقتهم كي يلحقوا بنا، هم على الشاطئ كما تعرف وأنا لا أفكر فيهم، ولكنى أفكر فى طلقات المدفع التى ستمطرنا، وبالتأكيد لن نخطئنا كل الطلقات، أخبرنا يا تريلونى حين تبدأ المعركة.

وأثناء ذلك كنا نصنع تقدماً بشكل جيد، رغم أن القارب كان مشحوناً جداً بالأشياء ونقود القارب رغم الماء القليل اللازم لتلك العملية، كنا جميعاً قريبين من بعض، فقط ثلاثون مجداً أو أربعون وسوف نصل للشاطئ، فقد كشف الجزر حزاماً ضيقاً من الرمل أسفل الأشجار المتشابكة، لم تعد المركبة التى تقل القراصنة مخيفة

لنا، فالنقطة البسيطة للحواف صارت الآن مختفية عن أعيننا، والمد الذى كان قاسياً أبعدنا عنهم، صار الآن تعويضاً لنا وعوناً وباعدنا عن المهاجمين لنا، بقى المدفع الذى يعتبر المصدر الوحيد للخطر، قال الكابتن:

- لو أنا مثلك لتوقفت وأصبحت رجلاً آخر.

كان واضحاً أنهم قرروا أن شيئاً لن يوقفهم عن قصفنا بالمدفع، فلم يعطوا حتى اهتمامهم لزميلهم الذى سقط من قبل بالرغم من أنه لم يمت ورأيته يحاول جاهداً أن يزحف بعيداً، صرخ العمدة تريلونى:

- جاهز.

صرخ الكابتن بسرعة كدوى صوت:

- اضبط.

وتراجع للوراء هو مع ردتوث بجهد كبير جعل مؤخرتها تحت الماء، وسقطت القذيفة فى نفس الوقت، وكانت أول مرة يسمع فيها جيم، لم تصله صوت رصاصة العمدة تريلونى، حين مرت الرصاصة ولم يعرف أى منا بدقة، لكنى تخيلت أنها بالتاكيد مرت من فوق رؤوسنا وربما ساهمت رياحها فى كارثتنا.

على أى حال، فقد غرقت مؤخرة القارب بهدوء إلى حد ما فى ثلاثة أقدام من الماء وأخذ الثلاثة الباقون غطسات كاملة وصعدوا مرة أخرى مبللين ومبقيين، لم تكن هناك خسائر كبيرة، فلم نفقد أحداً منا وخضنا إلى الشاطئ فى أمان، لكن استقر أغلب ما أحضرناه من خزين فى القاع، وفسدت أشياء كثيرة، فقط بندقيتان من خمسة ظلت فى حالة جيدة للعمل وأفسد الباقي، خطفتهم من تحت ركبتى ووضعتهما فوق رأسى بشكل فطرى وغريزى، أما بالنسبة للكابتن فقد حمل ذلك فوق كتفه بواسطة حزام مثل رجل حكيم وضاعت البندقيات الثلاث الأخريات مع القارب.

وإضافة إلى اهتمامنا، فقد سمعنا أصوات تقترب منا فى الغابة على طول الشاطئ، لم يكن لدينا خوف فقط فى كوننا خارج الحصن فى حالة تقترب من نصف

مشلولين، لكن الخوف كان قبلنا من حيث إذا كان قد تمت مهاجمة كل من منتز وجويس بواسطة النصف دسطة من القراصنة، فقد كان لديهما الإحساس والتصرف أن يظلا ثابتين.

عرفنا أن منتز كان ثابتاً أما جويس كان فى حالة شك، كان رجلاً سعيداً ومؤدباً ككونه خادماً يغسل الملابس وليس كامل اللياقة كرجل حرب، كان كل ذلك فى أذهاننا ومع ذلك فقد خضنا الماء إلى الشاطئ بسرعة على قدر المستطاع، تاركين وراءنا القارب البسيط "جولى" ونصف ما كان معنا من ذخيرة صالحة ونصف المؤن التى كنا نمتلكها.

١٨ - الدكتور يروى الحكاية

نهاية قتال اليوم الأول

زدنا من سرعتنا عبر قطاع الأشجار الذى يفصلنا الآن عن الحصن، مع كل خطوة كنا نسمع أصوات القراصنة قريبة منا، كنا نستمع لوقع أقدامهم، كلما كانوا يجرّون وتكسير أفرع الأشجار حين يتقدمون عبر منطقة قريبة من الأدغال. بدأت أرى أنه يجب علينا أن نخوض معهم معركة لكي ننتصر ونظرت إلى سلاحي، قلت:

- كابتن، تريلونى صاحب تصوير قاتل، أعطه بندقيتك، فإن بندقيته بلا فائدة.

تبادلا البنادق، كان تريلونى صامتاً وبارداً كما كان من قبل حين بدأنا هذا النشاط الصاخب، انتظر لحظة حتى يرى أننا جميعاً ملائمين وجاهزين لخدمته حتى يبدأ إطلاق النار، لاحظنا فى نفس الوقت أن جراى بلا سلاح، فأعطيته سيفى، أسعد قلبى حين رأيته ييصق فى يديه ويشبك حاجبيه استعداداً، وجعل شفرة سلاحه تصفر فى الهواء، كان واضحاً من كل تعبيرات جسده أن صديقنا الجديد جراى يستحق كل خير وأنه على ما يرام.

خطونا حوالى أربعين خطوة حتى وصلنا إلى حافة الغابة وشاهدنا الحصن أمامنا، وضرينا طوقاً فى منتصف الجانب الجنوبي، فى نفس الوقت كان سبعة من المتمردين وجوب أندرسون وضابط السفينة أمامهم، ظهرُوا جميعاً فى صرخة كاملة فى الركن الجنوبي الغربى.

توقفوا كما لو كانوا عابوا للواء، وقبل أن يعاودوا كان العمدة تريلونى وأنا وهنتر وجويس أخذنا مواقعنا من الحصن واستعدينا لإطلاق النار، جاءت الطلقات الأربعة

منا كوابل من الرصاص وكطلقة واحدة اندفعت، ولكنهم فعلوا أيضاً نفس الشيء وسقط أحد أعدائنا صريعاً، فغطس الباقي دون تردد فى الأشجار، بعد إعادة حشو بنادقنا بالبارود، مشينا حتى وصلنا إلى جرف الشاطئ الصخري لكى نرى عدونا الذى سقط، كان ميتاً متصلباً وأصابته الطلقة فى قلبه.

حين بدأنا نفرح بنجاحنا الجيد، سمعنا فى تلك اللحظة خروشة وتكسير لفروع الأشجار، ومرت بجوار أذننى رصاصة تصفر، وتعثّر توم رdroth الطيب وسقط على الأرض، رددت والعمدة الطلقة مرة ثانية لكننا لم نجد شيئاً كههدف واضح، لقد أضعنا الذخيرة هباءً، عاودنا تعمير السلاح وحشو الذخيرة وأعطينا اهتمامنا لتوم المسكين، كان الكابتن وجرأى يفحصانه جيداً، كنت أراه بنصف عين وأعتقد أن الأمر انتهى وأنه قد مات.

أعتقد أن استعدادنا لرد دفعة من الطلقات جعل الأمر ينتشر ويتناثر بين المتمردين أكثر من مرة، لأجل ذلك عانينا دون إزعاج كبير لدرجة جعلت حارسنا العجوز المسكين يرفع الراية على الحصن رغم الأنين والدم المسفوك فى الحصن.

لم ينطق زميلنا العجوز المسكين الخائف والمستسلم من بداية المشاكل وحتى الآن، وعندما أرقدناه فى الحصن لكى يموت، رقد مثل تروجين على فراشه فى الردهة، كان يستقبل كل أمر بصمت وطاعة وبراحة، لقد كان أكبرنا جميعاً بعدة أعوام والآن يرقد حزيناً، مكتئباً، عجوزاً، خادماً، وكان على وشك الموت، سقط العمدة بجواره على ركبتيه، وقبل يده وصرخ مثل طفل، سأل قائلاً:

- هل سأعود يا دكتور؟

قلت:

- توم، سوف تعود للوطن.

قال توم:

- أتمنى أن أراه بسرعة ومعى بندقيتى أولاً.

قال العمدة تريلونى:

- توم، قل إنك ستسامحنى، أليس كذلك؟

أجاب توم:

- ألا يكون كل الاحترام منى لك يا سيدى العمدة؟ مهما كان، سيكون لك كل احترامى.

بعد قليل من الصمت، قال إنه يجب أن يصلى عليه أحد، "إنها عادة يا سيدى" وأضاف ذلك معترضاً، وبعد وقت قليل ودون كلمة واحدة، رحل فى هدوء، أثناء ذلك لاحظت أن الكابتن صار متورماً ومنتفخاً صدره وجيوبه، أحضر أشياء متنوعة عظيمة وأحضر الأعلام البريطانية والإنجيل ولفة من حبل.



تسلق إلى سطح الحصن، وصل إليه بيد قادرة على الاحتمال ثم رفع الراية

وقلم حبر وسجل السفينة وأرطال من الدخان، ووجد شجرة التنوب الطويلة راقدة على الأرض مقلمة أغصانها وبمساعدة هنتر أوقفها فى أحد أركان المنزل حيث تقاطعت جذوع الأشجار وصنعت زاوية فتسلق حتى وصل للسطح ووصل إليه بيد قادرة على الاحتمال ورفع الراية.

يبدو أن هذا أراحه بشدة، وعاود دخول الحصن مرة أخرى وبدأ يعد المؤمنين الموجودة كما لم يكن شيء موجوداً من قبل، وألقى نظرة على حالة توم، مع كل هذا، وبمجرد أن انتهى جاء براية أخرى وفردتها باحترام بالغ على جسد توم، قال وهو يهز يد العمدة تريلونى:

- ألم تعتد هذا يا سيدى؟ كل شيء تمام بالنسبة له، فلا خوف على يد حاربت وقاتلت فى خدمة الكابتن وصاحب السفينة، ربما لا نحب قدر الله لكنه الحقيقة.

ثم سحبنى جانباً وقال:

- دكتور ليفزى، كم عدد الأسابيع تتوقع فيها حضور السفينة المرافقة والشريكة لك أنت والعمدة؟

أخبرته أنها ليست مسألة أسابيع ولكن شهوز إذا لم نعد قبل نهاية أغسطس "بلاندى" سيرسل بالتأكيد لكى يبحث عنا، ومن الممكن أن تحسب ذلك بنفسك، عاود الكابتن الحديث وهو يهرش رأسه:

- لماذا؟ نعم!! سوف نقدم تسامحاً كبيراً يا سيدى من أجل هدايا العناية الالهية، أستطيع أن أقول إننا منجذبين لبعض جداً.

سألته:

- ماذا تقصد؟

أجاب الكابتن:

- يا للشفقة والحسرة يا سيدى، لقد فقدنا الحمل الثانى، وهذا ما أقصده، بالنسبة للذخيرة والطلقات قد نستطيع إيجادها لكن المؤمن والطعام قليل جداً جداً، ربما لا نستطيع أن نجد طعاماً فى المستقبل وربما يكون من الأفضل ألا تكون بفم إضافى.

وأشار إلى الجسد الممدد تحت العلم، وحينئذ مرت طلقة لها زئير وصفير فوق سطح الحصن وسقطت بعيداً خلفنا فى الغابة، قال الكابتن:

- نعم، اضرب بعيداً، فما معنى قليل من البارود يا غلامى، فى المرة الثانية كان الهدف واضحاً ونزلت القذيفة داخل الحصن وانتشرت سحب من الرمال لكنها لم تصنع خسارة كبيرة.

قال العمدة تريلونى:

- كابتن، المنزل ليس مرثياً من السفينة ولكنهم يصوبون هدفهم على الراية وليس من الحكمة أن تترك الراية على المنزل.

صرخ الكابتن قائلاً:

- يغيرون رايتى!! لا يا سيدى، ليس أنا من ينزل رايته.

بمجرد أن قال تلك الكلمات، أعتقد أننا اتفقنا معه ليس لأن ذلك مجرد شجاعة ومشاعر جيدة، ولكن كان ذلك نوعاً من السياسة الجيدة بجانب أن ذلك يظهر لعدونا أننا نحتقر هجومه المدفعى.

استمروا طوال المساء فى إمطارنا بوابل من القذائف التى تطير فوقنا أو تسقط قريبة منا أو تثير الرمال فى سياج المنطقة، واضطروا أن يطلقوا قذائفهم عالياً لدرجة أن تلك القذائف كانت بلا قيمة وكانت تدفن نفسها فى الرمال الناعمة، لم نكن نجد أى شظايا تثير رعبنا بالرغم من أن واحدة سقطت على السطح وأخرى سقطت فى أرضية المنزل لدرجة أننا قد تعودنا على تلك اللعبة وصارت لدينا مثل لعبة الكريكيت والكرة والمضرب، أعطى الكابتن ملاحظة قائلاً:

- يوجد شيء واحد جيد بشأن ما يحدث، وهو أن الغابة أمامنا تبدو واضحة وأن الجذر قد بدأ لفترة جيدة، لكن مؤننا لن تغطينا وتكفينا، يجب على المتطوعين أن يذهبوا ويحضروا لحم الخنزير.

كان جرائ وهنتر أول من تقدم، تسلحوا جيداً وخرجوا من الحصن، لكن المأمورية لم تكن موفقة، كان المتمردون أكثر وقاحة وشراسة لكى نواجههم وقد وضعوا ثقتهم الكبيرة فى مدفعية إسرائيل، أربعة رجال أو خمسة منهم كانوا مشغولين بنقل مؤننا وخوضوا بها إلى أحد القوارب التى كانت بجوارهم، سحبوا المدافع لكى يجعلوه ثابتاً

ضد التيار، كان سيلفر عند الأشرعة الخلفية فى القيادة، وكل واحد منهم كان مزوداً ببندقية من مخزن خاص بهم للسلاح كانوا يعرفونه، جلس الكابتن على كرسيه وكان ذلك بداية تسجيل من معه:

- إلكسندر سموليت، الرئيس ديفيد ليفزى، طبيب السفينة، إبراهيم جراى زميل نجار، جون تريلونى صاحب السفينة، جون هنتر وريتشارد جويس خادمان لصاحب السفينة، جميعهم كانوا مخلصين فى صحبة السفينة وتركوا معاً ومعهم مخزناً يكفى فقد لمدة عشرة أيام وعانوا رغم الحصص القليلة جداً لكل واحد منهم، جاءوا على الشاطئ هذا اليوم ورفعوا العلم البريطانى على حصن فى جزيرة الكنز، توماس درووث خادم صاحب السفينة تريلونى قتل بواسطة المتمردين، جيمى هوكنز غلام القيادة والسفينة.

كنت فى نفس الوقت أسأل عن مصير جيم هوكنز المسكين، قال هنتر الذى كان فى الحراسة:

- شخص ما ينادى علينا.

جاءت صراخات متولية:

- دكتور، عمدة، كابتن، أهلاً هنتر، أنت هو يا هنتر؟!

جريت بسرعة إلى الباب فرأيت جيم هوكنز فى أمان ومعافى وجاء يتسلق إلى الحصن.

١٩- جيم هوكنز يستأنف الحكاية

الحامية فى الحصن

حيث رأى بن جن العلم أراد أن يستريح وأوقفنى بالقوة وجلس وقال:

- يوجد هنا أصدقاؤك الآن، أنا متأكد.

أجبت:

- لا يمكن، إنهم المتمردين!!

صرخ:

- إنهم هم، لماذا؟ لأن لا أحد سيدخل هذا المكان إلا الذين يريدون الكنز، وسيلفر سوف يطير إلى جولى روجر، لا نشك فى هذا أبداً، لا، إنهم أصدقاؤك، وتوجد عواصف أيضاً، ولذا أظن أن أصحابك احتموا فيها، وهم هنا على الشاطئ فى هذا الحصن القديم كما كان الأمر من سنوات واستخدمه قلنت، كان الرجل الذى يمتلك خوذة ويعشق شراب الروم، لم يكن له مثيل فلا يخاف من أحد أبداً ولا حتى سيلفر الذى كان لطيفاً وأنيقاً.

قلت:

- حسناً، ربما يكونون أصدقاؤى، على أى حال يجب أن أسرع وألتحق بهم.

رد بن جن:

- لكنهم ليسوا زملاء لى، فأنا لست أنت، الآن بن جن طائراً، فشراب الروم لن يحضرنى هناك حيث ستذهب، لن يفعل شراب الروم فعله حتى أرى سيدك ويعطينى

كلمة شرف ولا تنس كلماتي "شئ نفيس" هذا ما تقوله، الشئ النفيس أكثر ثقة وقل له وشدد عليه وأكد ذلك.

وقرصنى للمرة الثالثة بنفس الحماس والنشاط وقال:

- حين تريد بن جن، أنت تعرف أين يكون يا جيم، فقط ستجده فى المكان الذى وجدته فيه ومن يأتى معك يجب أن يكون ماسكاً شيئاً أبيض فى يده وأن يأتى بمفرده، وقل لهم بن جن لديه تفسيراته وأسبابه الخاصة.

قلت له:

- حسناً، أعتقد أننى فهمت، لديك شئ ما تريد أن تقوله، أنت تسمى أن ترى العمدة تريلونى أو الدكتور، أنت توجد حيث وجدت من قبل، أليس ذلك؟ قل ما تريد؟
وأضاف بن جن قائلاً:

- ولو سألتنى متى، أقول لك من الظهيرة وحتى أجراس السادسة.

قلت:

- حسناً، والآن هل من الممكن أن أذهب؟

استفسر بن جن بشغف قائلاً:

- يجب ألا تنسى "شئ نفيس" ولديه أسبابه، تلك هى العماد الأساسى بين الإنسان والإنسان، حسناً جيم اذكرنى دائماً، أعتقد أنك من الممكن أن تذهب وإذا رأيت سيلفر أرجو ألا تبيع بن جن له، فالخيول البرية لن تستطيع أن تجره، قل إنك لن تفعل يا جيم، ولو جاء القراصنة وعسكروا على الشاطئ يا جيم، ماذا ستقول إلا أن الخراب سوف يحل فى الصباح؟

وفى هذه اللحظة قطع حديثهما صوت مدو، كان طلقة مدفع مرت بجوارهما عبر الأشجار واستقرت فى الرمال على بعد عشرين ياردة تقريباً حيث كانا يتحدثان، ثم مضى كل واحد منا بعد ذلك إلى اتجاه مختلف عن الآخر.

ولمدة ساعة ظلت الانفجارات المدوية تهز الجزيرة، استمرت القذائف التى تخترق الأشجار، كنت أتحرك من مكان لآخر حتى أختبئ، كنت أتحرك من مخبأ لآخر ساعياً لذلك قدر طاقتى، فقد كانت القذائف المربعة تطاردنى .

وفى نهاية القذف لم أغامر فى اتجاه الحصن لأن القذائف كانت تسقط بالقرب منى، بدأت أشجع نفسى وأقوى قلبى حتى أصل، وبعد انعطاف طويل إلى الشرفة زحفت بين أشجار الشاطئ الجانبية.

غربت الشمس وبدأ حفيف نسيم البحر، وتعثرت فى الأشجار وإزعاج السطح الرمادى للشاطئ وكان المد أيضاً بعيداً، صار طريق الرمال العظيم واضحاً جعلنى للهواء بعد يوم حار ارتجف رغم الجاكت.

ما زالت تقبع السفينة هيسبنيولا حيث رست، لكن المتأكد منه أن هناك جول روجر - العلم الأسود للقراصنة - يرفرف على قممتها وحين نظرت فى اتجاهها رأيت فلاًشاً من الضوء الأحمر وانفجاراً حول صدى صوته المكان إلى جلبة وضوضاء وصفرت قذيفة دائرية أخرى فى الهواء، كانت تلك آخر قذائف المدفعية.

رقدت لبعض الوقت أراقب الصخب الذى نجح فى الهجوم، كان الرجال يهدمون شيئاً ما بالقنوس على الشاطئ بالقرب من الحصن، واكتشفت بعد ذلك القارب جولى المسكين البسيط بعيداً بالقرب من مصب النهر، نار عظيمة هبت عالياً وسط الأشجار وبين تلك النقطة والسفينة وأحد من القاريين ظل يروح ويجىء، كان الرجال الذين رأيتهم مكتئبين ويصيحون على المجاديف مثل الأطفال.

لكن أحد هذه الأصوات كان يقترح ويطلب شراب الروم، اعتقدت بعد مدة أننى سوف أعود ثانية فى اتجاه الحصن، كنت بعيداً إلى حد ما على قطعة من الأرض الرملية المنخفضة التى تحوى المرسى (الهل) إلى الشرق وموجودة فى ماء ضحل لجزيرة هيكليّة، والآن كلما وقعت قدمى شاهدت من مسافة بعيدة تلك الأرض التى ترتفع بين الشجيرات جزيرة منعزلة عالية إلى حد ما، بيضاء إلى حد ما، ظهر لى أن تلك هى الصخرة البيضاء التى تحدث عنها بن جن، وفى يوم آخر سأجد قارباً وسأعرف أين أبحث عن هذا القارب.

وصرت أطوف بين الأشجار حتى توصلت للجزء الخلفى الحصن، ورُحِبَ بى بحرارة من الجماعة المخلصة، أخبرتهم قصتى وبدأت أنظر وأفحص وأنظر حولى، كان المنزل مصنوعاً من كتل غير متساوية ومربعة من خشب الصنوبر وكذلك السقف والجدران والأرضية والشئ الثانى أنه يقف فى أماكن متعددة كثيرة مثل قدم أو قدم ونصف دون مستوى سطح الرمل، توجد شرفة على الباب وتحت تلك الشرفة توجد عين ماء لبئر حُفرت وموصلة بحوض صناعى من نوع غريب، لا تكون أكثر من غلاية جديدة للسفينة، سقطت واصطدمت بالقاع وشتت اتجاهاتها وسط الرمل كما قال الكابتن.

توجد أشياء قليلة بجوار إطار الحصن، لكن يوجد فى أحد الأركان بلاطة صخرية موضوعة بجوار الموقد وسلّة حديدية صدئة كى تحتوى على النار، كانت منحدرات وسلام الحصن وداخله مصنوعة من الخشب لبناء المنزل، استطعنا أن نفهم أن ذلك تم بواسطة جنود الأشجار، ياله من بستان جيد وفارح الطول قد دُمر.

أغلب التربة انجرفت بعيداً أو دفنت بعد إزالة الأشجار. فقط حيث يجرى التعمير الصغير من خلال ثقب دائرى حيث توجد طبقة سميكة من الطحلب والنباتات وبعض الشجيرات القليلة التى تزحف وما زالت خضراء وسط الرمال، وهذا القرب من الحصن جعلها قريبة أيضاً من أجل الدفاع، قال الزملاء إن الأشجار ما زالت عالية وكثيفة وكل خشب التتوب على الجانب ولكنه مواجه للبحر بخليط كثير من أشجار البلوط.

كان نسيم الماء البارد حين أتحدث يصفر خلال شق هذا البيت السيئ ويرش الأرض بمطر مستمر من الرمال الناعمة، كانت الرمال فى أعيننا وفى أسناننا وفى طعامنا، رمل يرقص فى قاع الغلاية، كان بالنسبة للعالم مثل عصيدة بدأت فى الغلى، كانت مدخنتنا حفرة مروعة موجودة فى السقف، جزء قليل من دخانها يجد سبيله للخروج والباقى يدور بشكل عكسى ويجعلنا نستمر فى السعال وفرك أعيننا.

إضافة إلى هذا، كان جراى الرجل الجديد يربط وجهه بضمادة نتيجة للجرح الذى حدث له من الصراع مع الأشرار وكان توم رودوث الغلبان العجوز ما زال لم يدفن وراقداً على الحائط وممدداً وصلباً.

لو سمح لنا أن نكون كسالى لسقطنا فى البحر، لكن الكابتن سموليت لم يكن الرجل الذى يسمح بذلك، وكان كل الرجال تستدعى قبله، ويُقسمنا إلى مراقبين، كان الدكتور وجرأى وأنا مجموعة والعمدة تريلونى وهنتر وجويس مجموعة أخرى، ورغم أننا نكون متعبين فإن اثنين منا يُرسلان للخارج من أجل إحضار الحطب لأجل المدفأة، واثنان أخران أعدا قبرا لروثوث كما أن الدكتور كان يمارس مهام الطباخ، ووضعت على حراسة الباب، وكان الكابتن نفسه يذهب ويمر على الجميع ويرفع روحنا المعنوية ويساعدنا حيث يكون الأمر يحتاج ذلك.

كان الدكتور يأتى من وقت لآخر إلى الباب كى يشم بعض الهواء ويريح عينيه اللتين كانتا على وشك أن تخرجا من رأسه، وحين كان يفعل ذلك كان يتحدث معى ويقول:

- هذا الرجل سموليت أفضل منى، حين أقول ذلك أعنى أنه له قدر كبير يا جيم.
وأحيانا كان يأتى إلى ويكون صامتا للحظة ويضع رأسه على جانب وينظر إلى ويسألنى:
- هل بن جن إنسان؟

فأقول له:

- لا أعرف يا سيدى، أنا لست متأكد إن كان عاقلا أم لا.

ويكرر الدكتور:

- هل هناك شك بكونه كذلك؟ فالرجل الذى أمضى ثلاث سنوات يحفر بأظافره فى جزيرة رملية لا نتوقع له أن يكون عاقلا مثلك ومثلى! لم تكن تلك حالة إنسانية طبيعية، أليس الجبن هو أهم أحلامه وخياله؟

أجبت عليه:

- نعم يا سيدى، إنه يحلم بالجبن فعلا.

قال:

- حسنا يا جيم، فقط انظر للحالة الجيدة التى تاتى لكونك مبسوطا من طعامك، لقد رأيت صندوقا عطسى، أليس كذلك؟ لم ترنى مرة أعطس والسبب موجود فى هذا

الصندوق الذى بداخله قطعة من جبن بيرميزان الحريف وهو جبن صنع فى إيطاليا، لذيذ جداً ومغذ، حسناً، هذا الجبن سيكون لبن جن!!

وقبل تناول العشاء دفنا نوم العجوز فى الرمال وتحلقنا حوله للحظة عارى الروس فى النسيم البارد، كان الحطب المعد للمدفأة معقولاً فى المدفأة، لكنه لم يكن كافياً لخيال الكابتن وقال لنا بعد أن اهتزت رأسه وأخبرنا أننا يجب أن نعود غداً ونحن أكثر قوة، ثم تناولنا لحم الخنزير وشرب كل واحد منا شراب البراندى الرومى واجتمع الثلاث رؤساء معاً فى ركن وبدأوا مناقشة آمالنا وطموحاتنا.

كان من الواضح أنهم يفكرون ماذا سيفعلون وما معنا من خزين صار قليلاً لدرجة أننا من الممكن أن نتعرض للجوع فى حصارنا الطويل قبل أن يأتى المدد، وبالرغم من ذلك كان أهم آمالنا كما قررنا أن نقاتل هؤلاء القراصنة حتى ينسحبوا أو يهربوا بالسفينة هيسبنيولا، فقد أصبحوا خمسة عشر رجلاً بعد أن كانوا ثمانية عشر وجرح اثنان آخران وواحد آخر الذى كان يطلق المدفع جرح بشكل بالغ جداً إذا لم يكن قد مات، ففى كل مرة يكون فيها هجوم أو ضربة قوية عليهم، اعتدنا أن ننقذ أرواحنا ونحافظ عليها بعناية كبيرة وإضافة لذلك كان لدينا حليفان قادران على مساعدتنا وهما شراب الروم والطقس.

ورغم أننا كنا على بعد نصف ميل بعيداً عنهم فإبنا كنا نستطيع أن نستمع إلى زئيرهم وغنائهم حتى وقت متأخر من الليل وراهن الدكتور بباروكته وأنه سيعسكر حيث كانوا فى المستقبل وغير مزود بأى أدوية وأن نصفهم على الأقل سيعاود الحضور مرة أخرى قبل أسبوع على الأقل.

وأضاف الدكتور قائلاً:

- إذا لم نطلق النار عليهم أولاً سيكونون سعداء أن يسافروا فى المركب، إنها دائماً السفينة التى يستخدمونها فى القرصنة.

قال الكابتن سموليت:

- إنها أول سفينة افتقدها.

كنت متعباً جداً كما ترى، وحين ذهبت إلى النوم الذى لم أكن قد حصلت عليه
إلا بعد قرعة كبيرة من شراب الروم، نمت مثل كلب الغابة.

ظل الباقون متيقظين طويلاً وتناولوا طعام الإفطار ورأيتهم زادوا كومة من الحطب
الموجود فى المدفأة حتى نصفها مرة أخرى حين استيقظت بواسطة الضجيج
وأصواتهم، وسمعت شخصاً يقول:

- اطلب الهدنة.

سمعت صرخة مملوءة بالدهشة:

- إنه سيلفر نفسه.

وعند تلك اللحظة قفزت وفركت عيني وجررت إلى كوة فى الجدار كى أرى.

٢٠ - دبلوماسية سيلفر

تأكدنا بدرجة كافية أن هناك اثنين يقفان خارج القلعة، يلوح أحدهما بقطعة قماش بيضاء والآخر يقف بهدوء وسكينة، لم يكن أى إنسان آخر غير سيلفر نفسه.

كان الوقت ما زال مبكراً والصباح بارداً لدرجة أنني اعتقدت أنني فى الخارج، نفذت قشعريرة إلى داخل عظامى، كانت السماء لامعة والدفء بدأ يعم وقمم الأشجار تلمع فى الشمس، لكن سيلفر وزميله ما زالا يقفان فى الظل ويخوضان حتى ركبتيهما فى الضباب الأبيض المنخفض الذى زحف أثناء الليل من المستنقع، حكّت القشعريرة والضباب حكاية بسيطة عن الجزيرة، حيث كانت جزيرة كئيبة تتفشى فيها الحمى وتعتبر بقعة غير صالحة، قال الكابتن لنا:

- كونوا فى داخل الحصن أيها الرجال، فعشرة رجال مقابل واحد خدعة لا محالة.

ثم نادى على القرصان:

- من يتحرك هناك، قف وإلا أطلقت النار.

صرخ سيلفر:

- أطلب الأمان والهدنة.

كان الكابتن فى الشرفه يحافظ على نفسه جيداً من أى طلقة غادرة فيجب أن يكون حريصاً، واستدار لنا وقال:

- يراقب الدكتور الخارج، لو سمحت يا دكتور ليفزى راقب الناحية الشمالية وأنت يا جيم راقب الشرق وأنت يا جراى راقب الغرب، المراقبة للأسفل، كل الزملاء يجب أن يعمرؤا البنادق بالذخيرة، احترس يا دكتور ليفزى، احترسوا أيها الرجال.

واستدار مرة أخرى للمتمردين وصرخ قائلاً:

- وماذا تريد من تلك الراية، راية الهدنة؟!

رد الرجل الآخر فى هذا الوقت قائلاً:

- يدعوك الكابتن سيلفر للحضور على السفينة وعمل الشروط اللازمة لذلك.

صرخ الكابتن قائلاً:

- الكابتن سيلفر، ألا تعرفه، من هو؟

واستمعنا إليه يدافع عن نفسه قائلاً:

- إنه الكابتن الذى تم ترقيته.

أجاب لونج جون لنفسه قائلاً:

- أنا يا سيدى، هؤلاء الفتيان اختارونى ككابتن بعد هجرانك للسفينة وتركك لها، وأتكأ على كلمة هجرانك ونحن على استعداد للطاعة والخضوع لك إذا توصلنا إلى شروط لا مشاكل فيها، كل ما أطلبه كلمتك يا كابتن سموليت، لكى تتركنى فى أمان وأكون خارج هذا الحصن فى خلال دقيقة واحدة كى ألحق إطلاق النار قبل أن يبدأ.

قال الكابتن سموليت:

- أيها الرجل، ليس لدى الرغبة أن أتحدث إليك إذا أردت أن تتحدث إلى، من الممكن أن تأتى وتدخل، أما إذا كان هناك أى خيانة من جانبنا ستكون لصالحك وسوف يساعدك الرب إذا خدعناك

صرخ لونج جون قائلاً بفرح:

- هذا يكفى يا كابتن، كلمة واحدة كافية، أنا أعرفك، رجل بمعنى الكلمة ومن الممكن أن تلتزم بذلك.

رأينا الرجل الذى يحمل الراية يحاول أن يجعل سيلفر يتراجع، لم يكن ذلك رائعاً، ورأينا كم كان رد الكابتن متعالياً ومتعجباً، لكن سيلفر سخر من رفيقه بصوت عال

وصفعه على قفاه صفقة ذكرتنى بإنذار جرس غريب، ثم تقدم إلى الحصن يتكى على عكازه يقفز عالياً بقوة وحيوية ومهارة مكنته من تخطى السور والسقوط بأمان فى الجانب الآخر.

أعترف أننى كنت بعيداً جداً عن الحدث ولكنى انشغلت بما يحدث ويدور وأردت أن أكون فى مسرح الأحداث كحراسة، حقاً لذا هجرت شرفتى الشرقية وزحفت خلف الكابتن الذى رمى نفسه جالساً على العتبة، واضعاً مرفقيه على ركبتيه ورأسه فى يديه وعيناه كانتا مثبتتين على الماء الذى يغلى ويبقى من الغلاية الحديدية القديمة فى الرمال، كان يصفر لنفسه تعالوا أيها السادة.

عانى سيلفر كثيراً حتى صعد الهضبة الصغيرة التى كانت بانحدار شديد الميل، والشجرة السميكة قد بُترت والرمال كانت ناعمة وهو وعكازه لم يكونا مساعدين له مثلما كانا فى السفينة، لكنه كان ملتصقاً به مثل رجل فى صمت مطبق.

وأخيراً وصل عند الكابتن الذى حياه بأسلوب مهذب ولطيف، كان يحتال أن يخرج أحسن ما بداخله، كان يرتدى معطفاً أزرق ضخماً، سميكاً بأزرار نحاسية معلقة ومتدلية حتى تكاد تصل لركبتيه ويرتدى طاقيه معقودة برباط موضوعة على رأسه من الخلف، قال له الكابتن رافعاً رأسه:

- تفضل، يجب أن تجلس.

اتكأ لونج جون قائلاً:

- ألا يجب أن تتركنى أدخل يا كابتن؟! إنه صباح بارد بشكل كبير لكى أجلس فى الخارج على الرمال.

قال الكابتن:

- لماذا يا سيلفر؟ فلو كنت رجلاً أميناً لكنت الآن فى مطبخ السفينة، تؤدى دورك، لقد كنت طباطخ سفينتى والآن تعامل ككابتن سيلفر القرصان والمتمرد المعروف وسوف تُعلق بعد ذلك.

عاد طبّاح البحر يجلس كما كان على الرمال وقال:

- حسنًا يا كابتن، يجب أن تساعدني مرة أخرى، هذا كل ما فى الأمر، إنه مكان جميل تمتلكه هنا، أه، يوجد جيم! صباح رائع عليكم جميعاً يا جيم، يا دكتور، أنا تحت أمركم لماذا أراكم جميعاً هنا كعائلة سعيدة حين تتحدثون.

قال له الكابتن:

- لو كان لديك شىء من الأفضل أن تقوله.

أجاب سيلفر قائلاً:

لقد كنت على صواب يا كابتن سموليت، لا يصح إلا الصحيح، كن متأكدًا من ذلك، وحسنًا فعلت أن كونت هذا الجمع من أصحابك الليلة الماضية، لا أستطيع أن أنكر أنه جمع جيد، فبعض منكم يكون رائعاً فى استخدام أدواته وأنا لا أنكر ذلك، ولكن ماذا عن صدمة بعض رجال بشأن ذلك، ربما الكل يكون مصدومًا، وربما أنا نفسى أكون مصدومًا ولأجل ذلك ربما أكون هنا لأجل التفاوض، ولكنك تشترط على يا كابتن، لن يفعل ذلك مرتين بواسطة العاصفة، سوف نضطر أن نقوم بحراسة متحركة وتخفيف إحدى النقاط حين نضطر لشرب الروم، ربما تعتقد أننا شرع فى مهب الريح، لكنى أود أن أقول إننى هادئ وإننى أكبح نفسى الآن، وحين أستيقظ بعد ذلك قريباً ساكون مثلك فى الفعل.

لم يكن سيلفر ضعيفاً حتى استدرت إليه، فعلاً لم يكن كذلك.

قال الكابتن سموليت الذى يحتفظ ببرودة قدر استطاعته:

- حسنًا.

كل ما قاله سيلفر كان لغزاً بالنسبة له، لكنك لن تستطيع أن تخمن ذلك من نغمة صوته، بالنسبة لى بدأت أشك وجاءت كلمات بن جن الأخيرة إلى عقلى، اعتقدت أنه أعطى القراصنة أوامر أن يأتوا أثناء تحلقهم ليشرّبوا الروم حول النار، وركنت للفكرة بفرح غامر إلا أن لدينا أربعة عشر عدواً سوف نتعامل معهم، قال سيلفر:

- حسنًا، سأقول لك نحن نريد هذا الكنز وسوف نحصل عليه، هذا هو هدفنا،

وكل ما تريده أنتم إنقاذ حياتكم، أنتم لديكم الخريطة أليس كذلك؟

أجاب الكابتن:

- ربما.

أعاد لونج جون سيلفر:

- حسناً، أنتم تمتلكونها، أنا أعرف ذلك ولستم مضطرين أن تكونوا عنيفين مع رجل لا ينوى أى تعامل مع ذلك وأشك أن تفعلوا ذلك، ما أقصده أننا نريد الخريطة والآن، لا أقصد أبداً أى أذى لكم عن نفسى.

فقاطعه الكابتن سموليت قائلاً:

- هذا لا يفعل معنى يا سيد، نحن نعرف بالضبط ماذا تريد أن تفعل، ونحن لا نهتم بذلك والآن هل ترى أنك تستطيع أن تفعل شيئاً؟

ونظر إليه الكابتن سموليت بهدوء وتحرك لكى يملأ الباب، اندفع سيلفر قائلاً:

- لو أن جراى..

صرخ السيد سموليت قائلاً:

- جراى لم يقل لى شيئاً، ولم أطلب منه شيئاً وما حدث أننى رأيتك ورأيتك وكل الجزيرة تهب لتخرج من الماء إلى انفجارات وحرائق وهذا الذى أحمله لك أيها الرجل فى رأسى لا شىء أكثر.

يبدو أن تلك النفحة من الغضب قد بردت سيلفر وردت إليه عقله، فقد كان قد بدأ يغضب من قبل، لكنه الآن سيطر على نفسه، قال سيلفر:

- إلى حد ما، لن أضع أى حدود للذى يجب أن يعتقد السيد سموليت بشأن السفينة وأحوالها وأرى أنك على وشك أن تأخذ الباب يا كابتن وسأفعل مثلك وأدخن الباب

وملاً سيلفر غليونه هو الآخر وأشعله وجلس الاثنان يدخانان فى صمت لفترة من الوقت، الآن ينظران لبعضهما بعضاً وتوقفاً عن التدخين معاً واتكأ للأمام لكى يبصقا وكأنهما يؤديان دوراً فى مسرحية بشكل جيد، واستأنف سيلفر حديثه قائلاً:

- أعطينا الخريطة التى تساعدنا على العثور على الكنز، وتتوقفون عن إطلاق النار حتى لا تزعجوا هؤلاء البحارة المساكين أثناء نومهم، وسنفعل ذلك، وسوف نعرض عليك أمرين لتختار منهما، إما أن تبحروا معنا على السفينة بعد أن ننقل إليها الكنز وساعتها أعطيكم كلمة شرف أن أنزلكم فى المكان الآمن الذى تريدهونه أما إذا كنت تعتقد أن رجالى سوف يتحرشون بكم ويحاولون أن يصفوا حساباتهم على الفترة السابقة فتستطيع أن تبقى هنا فى هذه الجزيرة وسوف أقسم معكم ما معنا من مؤن، رجل برجل. وأعدكم بشرفى أنتى سوف أتحدث مع أول سفينة أراها وأرسلها كى تأتى إليكم و تأخذكم والآن لك الخيار فى هذا الكلام، أعتقد أنك لم تكن تتوقع ذلك، ورفع صوته قائلاً:

- أعتقد أن كل الرجال فى هذا الحصن سوف يدركون ويتفحصون كلماتى وما قلته لواحد أقوله للجميع.

وقف الكابتن سموليت من مقعده، نفخ غبار الغليون فى النخلة التى على يمينه وسأله:

- هل هذا كل ما تريد؟!

قال سيلفر:

- هذه كلمتى الأخيرة ورفضها يعنى أنك لم يعد لك عندى شىء إلا إطلاق النار.

قال الكابتن:

- حسن جداً، والآن استمع لى جيداً، إذا جئتم إلى واحداً واحداً وعزلاً من السلاح، سوف أضع فى أيديكم الأغلال وأخذكم للوطن كى تحاكموا محاكمة عادلة فى إنجلترا وإذا لم تفعلوا، فأسمى إلكسندر سموليت وأضع على سفينتى علم السيادة والمملكة وأراكم جميعاً ستهبون إلى دافى جونز ولن تجبوا الكنز ولن تستطيعوا قيادة السفينة، لا أحد منكم قادر على الإبحار بالسفينة ولن تستطيعوا أن تقاومونا، جراى وخمسة منكم هربوا، سفينتكم مسجونة يا سيلفر، فأنت على شاطئى لى، وسوف تجد ذلك، سأقف هنا وسأخبرك بذلك وتلك هى آخر كلمات سوف تسمعها منى، بسم الله

سوف أطلق عليك النار حين أقابلك متشرداً، يا شباب ارموا هذا الرجل خارجاً لو سمحتوا ويسرعة.

تحول وجه سيلفر تماماً، تغير، فعيناه ظهر عليهما الغيظ الشديد، وقذف النار من الغليون وصرخ:

- أرجو أن تساعدنى.

رد الكابتن:

- لا!!

زأر سيلفر قائلاً:

- من يساعدنى أيها الرجال؟!

لم يتحرك أحد منا من الرجال، تذمر الأكثر قذارة ولعنة وزحف عبر الرمال حتى خرج من الشرفة، واستطاع أن يرفع نفسه مرة أخرى على عكازه، ثم تشاحن وتشاجر وصرخ قائلاً:

- هناك، هذا ما اعتقدته منك، قبل ساعة وسوف أشعلها ناراً فى بيتك القديم، أضحك ما شئت أن تضحك، فلن تمر ساعة وسوف أضحك عليك وأسخر منك، والذين سيموتون منكم سيكونون محظوظين بسبب العذاب الذى ستراه.

وبعد تجديد مرعب تعثر فيه ثم ساعده ليعبر الحصن بمساعدة الرجل الذى يحمل الراية بعد أن فشل أربع مرات أو خمس ثم اختفى بعد ذلك وسط الأشجار.

٢١ - الهجوم

وبمجرد أن اختفى سيلفر الذى كان يراقبه الكابتن جيداً، تحول الكابتن سموليت لداخل المنزل، فلم يجد أحداً من الرجال فى مكانه الذى خصصه له لمراقبة القراصنة ما عدا جراى، كانت المرة الأولى التى أراه غاضباً فيها، زأر بغضب قائلاً:

- سيئون!!

ثم انسل كل واحد منا عائداً إلى مكانه مرة أخرى وقال:

- جراى.. سأضع اسمك فى لوحة الشرف، لقد قمت بواجبك على أكمل وجه مثل بحار حقيقى، يا سيد تريلونى أنا مندهش منك، وأنت يا دكتور، كنت أعتقد أنك ترتدى ثوب الملك، كيف خدمت فى فونتينوى، كان من الأفضل لك أن تكون فى حركتك فى السفينة.

عاد الدكتور مرة أخرى والرجال لمراقبة ظهر الحصن من خلال كواتهم وذهب الباقي إلى حشو البنادق الخالية من الذخيرة، وكان كل واحد خجلان مما فعل وحطت على رؤوسهم الطير جميعاً ولم يشعر أحد منا بلدغ البرغوث فى أذنه، فنظر الكابتن للجميع برهة فى حالة صمت وقال:

- أيها الرجال، لقد أعطيت سيلفر رداً حاسماً وكنت عنيفاً جداً معه وأقصد ذلك، وقبل أن تمر ساعة، كما قال يجب أن نكون جاهزين لاستقبال ذلك، وعددنا أقل منهم، أنا لست مضطراً أن أقول ذلك لكننا سوف نحاربهم ونحن محصنون فى هذا المأوى لقد قلت من دقيقة مرت أننا يجب أن نقاتل فى نظام وليس لدى شك أننا نستطيع أن نهزمهم إذا اخترتم ذلك.

ثم أخذنا عدة دورات حول الحصن ورأينا أن ما قال كان واضحاً، كان على جانبى المنزل فى الشرق والغرب توجد فقط كواتان، فى الجانب الجنوبي حيث توجد الشرفة يوجد اثنان أيضاً وفى الشمال يوجد خمس كوات، وتوجد علامة دائرية

للبنادق لسبعة منا وقد تم بناء مدفأة تأخذ أربع كومات على طاولة، ستكون واحدة فى المنتصف لكل جانب وعلى كل مائدة من هذه بعض الذخائر وأربع بنادق محشوة موضوعة وجاهزة كى تكون فى أيدى المدافعين وفى المنتصف توجد السيوف موضوعة وجاهزة فى مجال الرمى، قال الكابتن:

- أطلقوا النار، لا خوف الآن يجب ألا نتزعزع أبداً.

امتلات سلة النار الحديدية عن آخرها بواسطة تريلونى، وكانت جمرات النار تخدم بين الرمال، استمر الكابتن سموليت قائلاً:

- هوكنز لم يتناول فطوره، هيا ساعد نفسك وعد إلى مكانك لكى تأكل، يجب أن تفعل ذلك يا بنى قبل أن تبدأ عملك، وأنت يا هنتر، قدم كؤوس الكونياك لجميع الرجال.

وأثناء ذلك أكمل الكابتن سموليت خطته للدفاع عن المكان واستأنف الكابتن حديثه قائلاً:

- وأنت يا دكتور سوف تتولى مسئولية الباب، تراقبه ولا تعرض نفسك، كن فى الداخل وأطلق النار من خلال الشرفة وهنتر يتولى تأمين الجانب الشرقى وجويس يقف بجوار الغرب وشجعنا السيد تريلونى أحسن رام موجود بيننا، أنت وجرأى تتولان مسئولية هذا القطاع الشمالى الطويل، ومعكم خمس كوات تطلقون منهم النار، إنه المكان الأخطر، لأنهم لو استطاعوا أن يسيطروا على هذا المكان بعد الصعود إليه، ستأتينا النار من خلاله وساعتها سيكون الأمر سيئاً جداً، وأنت يا هوكنز وأنا سوف نقف مستعدين وسيكون دورنا تقديم المساعدة وتعمير السلاح وتقديمه للزملاء.

لأن الكابتن قال إن الخوف كان قديماً، فبمجرد أن بدأت الشمس تتسلق فوق شواش الشجر أسقطت قوتها فوق هذا وشربت بخار الماء الموجود فى المكان وبدأ الرمل يسخن والصمغ يذوب فى الكتل التى تكون المنزل، الجواكيت والمعاطف تطير على جانب والقمصان تفتح حتى الرقبة وتدور حول الكتف، ووقفنا هناك، كل واحد فى مكانه، مرت الساعة فى حالة حماس كبيرة وقلق، قال الكابتن:

- اشنقوهم، هذا الأمر كئيب مثل الحزن، جرائ، صفر من أجل العاصفة والاستعداد.

وبعد لحظة فقط جاء أول أخبار للهجوم، قال جويس:

- لو سمحت يا سيدى، لو رأيت شخصاً ما هل أطلق عليه النار؟!

صرخ الكابتن:

- لقد قلت ذلك من قبل.

عاد جويس بأدب مرة أخرى وقال:

- أشكرك يا سيدى.

لم يحدث شيء لبعض الوقت، لكن الملاحظة التى كانت موجودة أن الجميع كان فى حالة استعداد، مصغين أذانهم وفاتحين عيونهم، الجنود المسلحون واقفون بأسلحتهم جاهزة فى أيديهم، كان الكابتن يقف فى منتصف المنزل والحصن غالقاً فمه وعابساً وجهه.

مرت بعض الثوانى حتى أطلق جويس النار فجأة، بدأ الانفجار يضمحل ويخفت تماماً قبل أن يكرر ويكرر ثانية بوابل من الرصاص والدانات الطائرة والمبعثرة، كانت الطلقة وراء الطلقة مثل خيط من الأرز يأتى من كل جانب من السياج الذى حولنا، أصابت العديد من الطلقات الحصن، لكن لم تدخل أى واحدة وتعالى الدخان فى الخارج وبدأ يتلاشى، ظهر الحصن والغابة هادئين مرة أخرى وفارغة وكأن أحداً لم يكن موجوداً فيها من قبل، لا غصن شجرة يتحرك ولا بريق لآى سلاح أشار لوجود الأعداء، سأل الكابتن:

- هل أصبت عدوك؟!

أجاب جويس:

- لا يا سيدى، أعتقد لا يا سيدى.

تذمر الكابتن قائلاً:

- من الأفضل أن تقول الحقيقة، احش بندقيتك يا هوكنز، كم واحداً من الواجب

أن يكونوا فى جانبك يا دكتور؟

قال الدكتور ليفزى:

- أنا متأكد جداً أن القذائف الثلاث أطلقوا من هذا الجانب، لقد رأيت ثلاث فلاشات،

اثنان متجاوران وواحدة أبعد قليلاً إلى الغرب.

كرر الكابتن:

- ثلاث... وكم قذيفة جاءت من جانبك يا سيد تريلونى؟

ولكن لم تكن الإجابة سهلة، فقد جاءت الكثير من القذائف من الشمال، فقد كانوا سبعة بحساب العمدة تريلوني، وثمانية أو تسعة طبقاً لحساب جرای، ومن الشرق والغرب جاءت قذيفة وحيدة مفردة، كان ذلك واضحاً، وعلاوة على ذلك تم تطوير الهجوم من جهة الشمال وعلى الجوانب الثلاثة الأخرى، كنا متضايقين من رؤية العدوان والهجوم، لكن الكابتن سموليت لم يقم بعمل أى تغيرات على الخط، فتجادل قليلاً:

- لو أن المتمردين نجحوا فى عبور الحصن، سوف يسيطرون على أى كوات غير محمية وسوف يصلون إلينا وسنكون مثل الفئران فى جحورها.

لم يترك لنا وقت كبير للتفكير، فقد بدأوا الهجوم وارتفعت الأصوات وقفزت سحابة من القراصنة من الغابة على الجزء الشمالى وهروا مباشرة إلى الحصن، وفى نفس اللحظة فُتحت النار بكثافة من الغابة، وكأن قذائف القنابل تزغرد فى المدخل وكسرت سلاح الدكتور ليفزى.



تسلق القراصنة فوق السور مثل القردة

تسلق القراصنة فوق السور مثل القردة، أطلق تريلونى وجرأى النار مرات ومرات، سقط ثلاثة رجال أحدهم كان أمام السياج واثنان للخلف فى الخارج وكان أحدهم مرعوباً جداً أكثر من خوفه من إيذائه، لذا وقف مرة أخرى على قدميه فى ضعف شديد واختفى بين الأشجار.

مات اثنان وهرب آخر، ووضع أربعة أقدامهم داخل أماكن دفاعاتنا، بينما سبعة رجال أو ثمانية فى الغابة يزودونهم بعدد من البنادق ويحمسونهم برغم إطلاق النار غير المقيد على الحصن.

تقدم الأربعة الذين دخلوا الحصن مباشرة قبلهم إلى المبنى يطلقون النار وهم يجرون والرجال الذين بين الأشجار يطلقون النار ليزيدوا من حماسهم ويشجعونهم، العديد من الطلقات انطلقت ولكنها كانت متسرعة ويلا طائل، لدرجة أنه لم تظهر أى واحدة أى تأثير، فى لحظة تسلق القراصنة الأربعة السطح وصاروا فوقنا، ظهرت رأس ريان الملاحين جوب أندرسون فى الكوة التى فى المنتصف.

فى نفس اللحظة أمسك قرصان آخر فوهة بندقية هنتر وضربه فى يده وجذبها منه، أخذها من خلال الكوة بضربة واحدة مذهلة أسقطت زميلنا المسكين على الأرض بدون حراك وفى نفس اللحظة جرى ثالث غير مجروح حول المنزل وظهر فجأة فى المدخل وسقط بخنجره على الدكتور ليفزى.

كان مكاننا محجوراً تماماً منذ اللحظة التى كنا نطلق النار عليهم تحت غطاء وعلى عدو مكشوف لنا، الآن نحن لسنا مكشوفين للعدو ولا يستطيع العدو إطلاق النار مرة أخرى، امتلأ الحصن الآن بالدخان الذى ندين له بسلامتنا إلى حد ما فى اختفائنا عن أعينهم، ارتفع الصراخ والارتباك والانفجارات من طلقات البنادق وسمعت صوت صراخ وأنين أحدهم فى أذنى عالياً.

صرخ الكابتن قائلاً:

- اخرجوا أيها الرجال، القتال فى الهواء الطلق، خنوا خناجركم.

أخذت أحد الخناجر من كومة موجودة، وفى أثناء خطف خنجر آخر ضربي شخص ما ضربة على مفصل الإصبع فشعرت بها بقوة، اندفعت إلى خارج الحصن

حيث ضوء الشمس، تبعنى شخص يطاردنى، لم أكن أعرف من هو، من اليمين أو من الأمام، كان الدكتور يتابع أحد المهاجمين أسفل التل، وبمجرد أن وقعت عينى عليه، وجدت الدكتور قد هزمه وجعله ممدداً على ظهره بعد أن أصابه بضربة عظيمة فى وجهه، صرخ الكابتن:

- تحركوا حول الحصن يا شباب، حول المنزل يا رجال.

وأثناء الهرج والمرج شعرت أن صوت الكابتن قد تغير، أظعت ما قاله الكابتن بشكل ألى وعدت ناحية الشرق ودرت حول ناصية المنزل وأنا رافع خنجرى وصرت فى اللحظة التالية فى مواجهة أندرسون وجهاً لوجه، زار بصوت عال وكان سيفه الصغير فوق رأسه يومض فى ضوء الشمس، لم يكن لدى وقت كى أخاف ولكن لأن المضرب ما زال وشك الحادث، قفزت فى لحظة على أحد الجوانب ووضعت قدمى فى الرمل الناعم وتدحرج بشكل متسرع على المنحدر.

وعندما نظرت لأول مرة من الباب كان المتمردون قد تسلقوا السياج حتى يضعوا نهاية لنا، كان الرجل الذى يرتدى طاقية حمراء وخنجره فى فمه قد صعد إلى القمة، حسنا كم كان الفاصل قصيراً حين وجدت قدمى مرة ثانية فى نفس ذات الموضع، وكان الزميل صاحب القبعة الحمراء ما زال فى منتصف المسافة فوقه وآخر كان يُرينا رأسه فوق قمة الحصن، وفى هذا الوقت بدأنا نشم أنفاسنا وانتهت المعركة وكانت لصالحنا.

كان جراى الذى يتبعنى قد ضرب كبير الملاحين فى السفينة قبل أن يمتلك وقتاً لكى يشفى من ضربته الضائعة، آخر أطلق النار على الكوة فى أثناء الضرب على المنزل والآن يرقد فى عذاب وكرب والبندقية ما زالت تدخن فى يده، وثالث حين رأيت، كان الدكتور قد تصرف بالضرب، أما الرابع الذى تسلق السياج والسطح هو الوحيد الذىبقى غير محسوب وترك خنجره فى الميدان ويجاهد الآن للهرب خوفاً من الموت، صرخ الدكتور:

- النار.. النار من المنزل، خذ لك ساتراً أيها الشاب.

كانت هذه الكلمات بدون عناية، فلم يطلق النار وآخر مهاجم لنا استطاع أن يهرب ويختفى مع الباقي فى الغابة فى خلال ثلاث ثوان لم يبق شئ من جماعة الهجوم باستثناء الخمسة الذين سقطوا، أربعة داخل الحصن والآخر خارج السياج.

جرى الدكتور وجرأى وأنا بكل سرعتنا حتى نذهب إلى المأوى، فالناجون سوف يعدون بسرعة إلى حيث تركوا بنادقهم وفى أى لحظة سوف يعود إطلاق النار مرة أخرى، كان المنزل قبل هذا الوقت يغطيه الدخان، ولقد رأينا فى لحظة الثمن الذى دفعناه للنصر، كان منترا ينأ بجوار كوته و مذهولاً يقف بجواره جويس، كان مقتولاً بطلقة فى رأسه، لم يتحرك مرة ثانية، بينما كان يمين المنتصف يقف العمدة تريلونى يدعم ويساعد الكابتن، كلاهما شأب مثل الآخر، قال تريلونى:

- لقد جرح الكابتن.

سأله سموليت:

- هل هربوا؟!

رد الدكتور:

- الجميع هربوا، من الممكن أن تقفز للداخل، يوجد خمسة منهم لن يعودوا ثانية أبداً.

صرخ الكابتن:

- خمسة، هذا رائع، خمسة ضد ثلاثة، تركوا لنا أربعة إلى تسعة، هذه احتمالات جيدة عما بدأنا، كنا ساعتها سبعة ضد تسعة عشر رجلاً وكان ذلك سيئاً وصعب التحمل(*).

(*) كان المتمردون ثمانية تقريباً إضافة للرجل الذى أطلق عليه النار بواسطة تريلونى على سطح السفينة ومات متأثراً بجراحه فى نفس المساء، لكن ذلك لم يعرف بالطبع حتى بعد أن عرف بواسطة جماعة المؤمنين (مذكرات إستيفنسون).

الجزء الخامس
(مغامرتى البحرية)

٢٢ - كيف بدأت مغامرتي البحرية

لم يعد هناك أى عودة للمتمردين مرة أخرى، لم يصبحوا كثرة مثل الطلقات التي تخرج من الغابة، لقد حصلوا على حصتهم لهذا اليوم كما أراد لهم الكابتن، ووجدنا مكاناً لأنفسنا، ووقت هادئ كي نفحص الجرحى ونتناول العشاء، استطاع العمدة تريلونى وأنا أن نطبخ فى الخارج رغم الخطر، وحتى فى الخارج استطعنا بالكاد أن نحدد ما الحالة التي نحن عليها وذلك بسبب الرعب من الأنين العالى الذى يصلنا من مرضى الدكتور.

من الثمانية الذين سقطوا فى الأحداث، فقط ثلاثة ما زالوا يتنفسون، كان أحدهم ذلك القرصان الذى أطلق عليه النار فى الكوة وهنتر والكابتن سموليت، ومن الثلاثة اثنان كانا مثل الأموات وهما القرصان وهنتر، فقد مات القرصان فعلاً تحت وطأة سكين الدكتور، وفعلنا ما نستطيع أن نفعله لصالح هنتر، لكنه لم يسترد وعيه مرة ثانية فى هذا العالم، كان بطيئاً طوال اليوم ويتنفس بصوت عال مثل القرصان العجوز الذى مات بالسكنة فى البيت، بينما كان صدره قد كسر بفعل الضرب وجمجمته قد شقت حين سقطت وقضى بعض الوقت فى الليل بلا صوت أو حركة ثم مضى إلى خالقه.

وبالنسبة للكابتن كان جرحه مؤلماً جداً لكنه لم يكن خطيراً، فلم يُجرح أى عضو جرحاً مميتاً، فطلقة أندرسون كسرت كتفه ولمست رنتيه لكنها لم تكن سيئة ومزقت وأزاحت بعض عضلات فى الساق، كان متأكداً أنه سوف يشفى كما قال الدكتور، لكن أثناء ذلك ولعدة أسابيع قادمة يجب ألا يمشى أو يحرك ذراعه، ولا يتحدث كثيراً حين يود أن يفعل ذلك.

كان جرحى عارضاً عبر المفاصل، كان مثل لدغة ناموسة وضع الدكتور عليها بلاستر وشد أننى بالإضافة لشيء آخر.

بعد تناول الطعام جلس تريلونى والدكتور بجوار الكابتن يتشاورون وعندما تحدثوا عما فى قلوبهم، كان ذلك قبل الظهيرة بقليل، أخذ الدكتور قبعته ومسدس ولف حزام الخنجر ووضع الخريطة فى أحد جيوبه وبنديقية فوق كتفه وعبر السياج من جهة الشمال وبدأ رحلته بخفة عبر الأشجار.

كنت أجلس مع جراى فى الركن البعيد من المنزل الحصين، كى نكون بعيدين عن أى كلام يأتينا من تشاور قادتنا، وقد أخذ جراى الباب من فمه ونسى أن يضعه ثانية، لذا كان متضايقاً جداً فى هذا الوقت، قال جراى:

- لماذا.. باسم آلهة البحار ديفى جونز.. هل الدكتور مجنون؟!

قلت:

- ولم لا؟ لكنه آخر من يُجن فى هذا العالم.

قال جراى:

- حسناً يا زميلى، وربما لا يكون ولكن إذا لم يكن كذلك فأنت أكدت كلامى أننى قد أكون على حق.

قلت له:

- أعتقد أن الدكتور لديه فكرة، لو أنا على صواب، أعتقد أنه ذاهب الآن لرؤية بن جن.

لقد كنت على صواب كما ظهر بعد ذلك، وفى أثناء ذلك كان المنزل حاراً جداً وخائناً والرقعة الصغيرة للرمال داخل السياج تشتعل بفعل شمس منتصف النهار الحامية، بدأت تختمر فكرة برأسى، لم تكن صحيحة على أى حال من الأحوال وبدأت أحسد الدكتور الذى خرج يتمشى فى الظل البارد للغابة والطيور حوله ورائحة الصنوبر الرائعة تحيطه، بينما أنا أتعذب وأكتوى من الحر وملابسى تلتصق بى بفعل الصمغ الحار ورائحة الدم حولى، شعرت بالقرف من المكان كله، فقد كان قوياً مثل الخوف.

ظالت طوال الوقت أغتسل خارج المنزل وأغسل أواني الطعام، ظل إحساس القرف والحسد ينموان ويقويان بداخلي حتى اقتربت أخيراً من كيس الخبز حيث لم يلاحظني أحد وأخذت أولى خطواتي تجاه هروبي من هذا الجحيم وملأت جيوب معطفي بالبسكويت.

لقد كنت أحمق ولو أحببت أن تقول إنني ذاهب لفعل شيء أحمق وأكثر وقاحة وجراً ولكني عزمت أن أفعله رغم التحذيرات التي أخذتها، فهذا البسكويت سوف يساعدني أن أبقى على قيد الحياة طوال اليوم التالي، والشيء الثاني الذي أخذته زوج مسدسات، كما أخذت بعض الذخيرة وشعرت بأنني مزود تماماً بالسلاح.

وطبقاً للخطة التي وضعتها في رأسي والتي لم تكن سيئة في حد ذاتها، ذهبت إلى بقعة رملية تُقسم المرسى إلى الشرق من البحر المفتوح حيث وجدت الصخرة البيضاء التي لاحظتها في المساء الأخير وتأكدت أنها هناك، وإذا كان بن جن أخفى زورقه عندها، كان بالفعل شيء يستحق كما أعتقد لكنني كنت أعتقد أيضاً أنني يجب ألا أغادر المكان، كان هدفي أن أخذ زيارة حقيقية وقصيرة وأن أخرج حين لا أحد يراقبني وهو في حد ذاته شيء سيئ للتعامل، وهذا يجعله الشيء نفسه خطأ ولكنني كنت شاباً وكنت أشغل ذهني كثيراً.

حسناً، ولأن الأشياء بدأت تتضح في الأيام الأخيرة وجدت فرصة مناسبة، حين كان العمدة تريلوني وجرأي مشغولين بمساعدة الكابتن في وضع ضمامات على الجرح، كان الشاطئ خالياً، فقممت بالفرار من فوق الحصن ثم اختفيت في الأشجار الكثيفة وقبل أن يلاحظ غيابي كنت خارج صرخات زملائي.

كان هذا هو الخطأ والحمالة الثانية التي كانت أكثر سوءاً من الأولى، لأنني غادرت ولم يكن هناك غير اثنين من الرجال لحماية الحصن، لكنها تتشابه مع الأولى في أنني كنت أود أن أساعد في حمايتنا جميعاً.

أخذت طريقى المباشر إلى الساحل الشرقي للجزيرة، عزمت أن أخذ طريق البحر كي أتجنب كل فرصة كي ألاحظ من المرسى، كان الوقت متأخراً في الظهيرة بالرغم من أن الجو ما زال دافئاً وحاراً، عندما كنت أعبر الأشجار العالية بحذر سمعت من

بعيد ليس فقط صوت الرعد المستمر للموج ولكن أيضاً سقوط أوراق الشجر وطنين الأغصان التي أرتنت نسيم البحر الذي يرتفع عن ذى قبل وبدأت الرياح الباردة تهب وتصلنى، وبعد خطوات قليلة وصلت إلى الحنود المفتوحة للبستان وأرى البحر يقبع فى زرقته والشمس تبدو فى الأفق البعيد والأمواج تتقاذف وتصنع رغاويها عبر الشاطئ.

لم أر البحر هادئاً حول جزيرة الكنز، كانت الشمس حارة فوق الرؤوس وكان الهواء بلا نسمة وسطح البحر يبدو أملس وأزرق وما زالت بعض الأمواج الطويلة تجرى عبر الشاطئ الخارجى، ويزداد صوت الرعد ليلاً ونهاراً حتى اعتقدت أنه لا يوجد أى مكان فى الجزيرة حيث يجب أن يكون الإنسان بعيداً عن سماع تلك الضوضاء العالية.

كنت أسير بجوار الأمواج بمتعة كبيرة حتى اعتقدت أننى الآن ذهبت بعيداً بدرجة كافية إلى الجنوب، أخذت بعض الشجيرات الكثيفة ساتراً وزحفت بحذر عالياً إلى ربوة فى تلك البقعة.

كان البحر خلفى يمنحنى نسائمه والمرفأ فى المقدمة، كما لو أنه يستعد أن يهب قريباً بنفسه بواسطة عنفه غير العادى الذى كان على وشك أن ينتهى، لقد استطاع بواسطة رياحه المتغيرة والخفيفة من الجنوب والجنوب الشرقى أن يحمل كميات عظيمة من الضباب، وكان المرفأ المحجوب عنه الرياح للجزيرة ذات الهيكل العظمى ما زال يرقد تحت وطأة الكآبة والشحوب حين دخلناه لأول مرة، وكانت السفينة هيسبنيولا فى المرأة المكسورة قد رسمت فعلاً من القرص الخشبى الموجود فى أعلى صارى السفينة وحتى حدود الماء والراية ذات الجمجمة والعظمتين معلقة فى قمته راية جولى روجر.

وعلى الشاطئ يقبع أحد القوارب وسيلفر يوجد فى مؤخرته، لقد تعرفت عليه بينما يوجد رجلان يتكأن على مؤخرة القارب أحدهما بقبعة حمراء نفس اللون الأحمر الذى رأيته منذ ساعات قبل أن أخطو خطواتى وأخرج من الحصن، كانوا يتحدثون ويضحكون، رغم بعد المسافة التى تقترب من ميل تقريباً، ولم أستطع أن أسمع شيئاً بالطبع مما قيل، وبدأ كل شىء فى حالة من الصراخ حيث كانت الأكثر رعباً، جعلتنى فى البداية أعتقد بشكل سئى أن أتذكر صوت الكابتن فلنت، وبالرغم من ذلك استطعت أن أرى بصعوبة طائراً بريشه البراق كما لو أنه يحط على معصم سيده.

وبعد ذلك بفترة قصيرة، تحرك القارب وسُحب للشاطئ وترك الرجل نو القبعة الحمراء وصديقه أسفل مع زميل الكابينة وفي نفس الوقت بدأت الشمس تغيب خلف المدى وصار الضباب الذي تكون بسرعة مظلماً بشكل جدى، رأيت أنه يجب ألا أفقد الوقت إذا أردت أن أجد القارب هذا المساء.

كانت الصخرة البيضاء واضحة بدرجة كافية فوق الأغصان، ما زال شكلها الثماني يبدو من على بعد ميل فى تلك البقعة، جعلنى هذا سعيداً حين أنهض معها وأزحف إليها عبر الأشجار المنخفضة، كان الليل قد حل تقريباً حين وضعت يدى على جوانبها الخشنة الأربعة تحت تلك الصخرة يوجد تجويف صغير جداً لقطاع أخضر، اختفى بواسطة قطاعات وأشجار كثيفة فى هذا العمق الذى نما بوفرة كبيرة وفى منتصف هذا الوادى الصغير توجد خيمة صغيرة من جلد الماعز مثل خيام الغجر التى تُحمل معهم فى إنجلترا.

سقطت فى الوادى ورفعت أحد جوانب الخيمة حيث رأيت قارب بن جن وبيتاً مصنوعاً كما لو أن كل شيء مصنوع بشكل يدوى، حيث كانت الجوانب الخشنة للإطار الخشبي والممتد أحياناً والمغطى بغطاء جلد الماعز بشعره فى كل مكان، كان هذا القارب صغير جداً بالنسبة لى، لم أتخيل كيف يطفو بإنسان كامل الحجم، كان به مجدف منخفض على قدر الإمكان، نوع من النقالة فى مقدمة السفينة وبدلان مزدوجان للدفع.

لم أر زورقاً مثله، صنُع فى بريطانيا القديمة ولكنى رأيت منذ لحظة، لا أستطيع أن أعطيك فكرة عن قارب بن جن نون أن أقول إنه مثل أول قارب وأسوأ قارب صنعه الإنسان وأعظم ميزة لهذا القارب أنه خفيف وسهل الحمل.

حسناً، الآن وجدت القارب، سوف تعتقد أننى لدى الحق لهذا الغياب لأول وهلة لكن فى نفس الوقت جاءت إلى فكرة أخرى وصرت أكثر عناداً ومغرمًا بهذا القارب لدرجة أننى أود أن أنفذ تلك الفكرة معتمداً على أفكار الكابتن سموليت نفسه، لهذا كان هروبي فى جنح الظلام لأقطع حبل السفينة هيسبنيولا وأتركها تذهب للشاطئ حيث تريد أن ترسو، بدأت أشغل ذهنى أن المتمردين بعد أن تم هزيمتهم فى الصباح ليس لديهم شيء إلا أن يرفعوا هلب سفينتهم ويذهبوا إلى البحر، هذا ما اعتقدته، بالطبع

هذا شيء طيب أن تمنعهم ولكنى أراهم الآن كيف تركوا مراقبيهم غير مزودين بقارب، أعتقد أن ذلك سوف يحدث بقليل من المغامرة.

جلست منتظراً للظلام وصنعت وجبة من البسكويت، كانت ليلة من عشرة آلاف ليلة لهذا الغرض، فقد انتشر الظلام فى المساء بعد أن تقلصت آخر أشعة النهار واختفت تماماً ولم يعد غير الظلام الذى خيم على جزيرة الكنز وأخيراً دفعت الزورق وتلمست طريقى بصعوبة خارج هذا الوادى حيث كنت أتناول طعامى ولا يوجد غير شيتين ظاهرين فى المرفأ كله.

الشيء الأول كانت نارا عظيمة على الشاطئ بواسطة القراصنة المهزومين موجودة فى المنطقة السبخية والشيء الآخر كان ضوءا خافتا فى الظلام يشير لموقع السفينة الراسية، كانت تتأرجح حول المد والجزر ومقدمتها لم تكن فى مواجهتنا، كانت الأضواء الوحيدة موجودة فى الكابينة وما أراه انعكاساً على الضباب من الأشعة القوية التى تدفقت من الشرفة الخلفية.

انحسر المد لبعض الوقت واضطرت إلى أن أخوض فى حزام طويل من الرمل السبخى، حيث غرزت عدة مرات حتى ركبتى قبل أن أصل حافة الماء المتراجع وأخوض لمسافة قليلة فى هذا الطريق وبيعض القوة والمهارة جهزت الزورق وأنزلته على السطح.

٢٣ - المد والجزر

الزورق - كما وصلنى من معلومات قبل أن أتعامل معه - إنه قارب آمن يكفى لشخص فى نفس طولى ونفس وزنى ورغم أنه قادر على العوم، وأنه ماهر فى طريقه البحرى فإنه الأكثر دوراناً حول نفسه ومصنوع من الأغصان الصغيرة مما يصعب معه أن تقوده ودائماً ما يقوم بالانحراف أكثر من أى شىء آخر ويدور ودورانه أهم شىء يميزه، حتى بن جن نفسه أعترف أنه زورق غريب الأطوار كى تقوده حتى تعرف طريقة السيطرة عليه.

بالتأكيد لم أكن أعرف طريقة قيادته، فقد كان دائم التحول والدوران فى كل اتجاه، لكنى كنت دائماً مصمماً على أن أقوده وكنت فى أغلب الوقت فى مقدمة الزورق وكنت متأكد أننى إن أستطيع أن أسيطر عليه بسبب حركة المد، لحسن الحظ أن البدال كان يطاوعنى ومازال المد يدفعنى نحو العمق وتوجد السفينة هيسبنيولا يميناً فى طريقى ومن الصعب أن نفقدها.

رأيت السفينة هيسبنيولا مثل بقعة لشيء لكنها كانت أكثر سواداً، صاريها وشكلها يتضحان أمامى فى اللحظة التالية، كما ظهر أننى كلما ذهبت أبعد فى البحر كان التيار أكثر نشاطاً من الجذر، صرت أقرب من حبل السفينة الذى يجعلها ثابتة فى مكانها، كان الحبل مشدوداً مثل الوتر وكان التيار قوياً جداً لدرجة أن السفينة كانت تسحب مرساها، كان التيار المتموج يبقب ويثرثر حول هيكل السفينة مثل جدول جبلى صغير، فلو قطع أحد هذا الحبل بسكين البحر سوف يسحب المد السفينة إلى مكان آخر.

فكلما بعدت السفينة كان الأمر أفضل، لكن هذا الحبل كان مشدوداً جداً، وإذا قطع فجأة سيكون خطراً مثل رفسة حصان، لذا كان الأمر صعباً، فإذا كنت طائشاً

جداً ساقطع حبل السفينة من عند المرسى، وساكون أنا والزورق فى محنة كبيرة،
وقد نجد أنفسنا خارج الماء.

هذا الأمر قد وضع حداً لى، فلو لم يكن لدى حظ مرة أخرى يؤيدنى سوف أتخلى
بالطبع عن خطتى، لكن الرياح الخفيفة التى بدأت تهب من الجنوب الشرقى ومن
الجنوب جذبت وأدارت السفينة بعد سقوط الليل إلى الجنوب الغربى وأثناء تأملى
للموقف هبت نفحة هواء أمسكت السفينة هيسبنيولا وأجبرتها أن تتحرك مع التيار
وكانت فرحتى عظيمة، شعرت أن الحبل المشدود كالوتر بدأ يرتخى بين ذراعى وبدأت
اليد تغطس لمدة ثانية تحت الماء.

بدأت أشغل ذهنى وأخرجت سكينى وفتحتها بأسنانى وبدأت أقطع حبال المرسى
واحداً بعد الآخر حتى صارت السفينة تتأرجح بحبلين فقط، ثم رقدت هادئاً منتظراً أن
أقطع آخر حبلين حين يعود الضغط خفيفاً على الأحبال مرة أخرى بفعل الرياح.

طوال هذا الوقت سمعت ضدى لأصوات بشرية عالية قادمة من كابينة السفينة،
وللحقيقة بدأ عقلى ينشغل بأفكار أخرى لم أعطاها من قبل أى اعتبار، الآن حين لم
أجد أى شيء أفعله، أعطيت للأمر اهتماماً كبيراً، تعرفت على الملاح إسرائيل هاندر
الذى كان المدفعجى لفلئت فى الأيام السابقة، وكان الآخر بالطبع صديقى صاحب
القبة الحمراء، كان الاثنان أسوأ من يشربان الخمر، كانا لا يزالان يشربان الخمر
أثناء سماعى لهما، أحدهما صرخ صرخة سكر مدوية وألقى بشيء من خارج شباك
السفينة الخلفى، تنبأت أن تكون الزجاجة الفارغة، لم يكونا مخمورين فقط ولكنهما
كانا غاضبين جداً.

كانت المجاديف تتطاير مثل حبات البرد، ومن وقت لآخر يأتى انفجار فاشعر أن
الأمر سيعصل إلى النهاية، ولكن تخفت بعد ذلك حدة المشاجرة وتذمر الأصوات بصوت
أكثر انخفاضاً للحظة حتى تأتى الأزمة التالية وتمر كالعادة دون أن تصل إلى
أى نتائج.

على الشاطئ، استطعت أن أرى وهج نار المعسكر يحترق من خلال أشجار
الشاطئ، كان هناك شخص ما يغنى أغنية متكاسلة، عجوزة وكئيبة، بتذلل وارتعاشة

فى المقطع، كان يبدو أنه لا نهاية لذلك إلى صبر المعنى، لقد سمعت تلك الأغنية فى إحدى الرحلات البحرية أكثر من مرة وتذكرت تلك الكدات:

كان أحد رجالها على قيد الحياة

بدأت رحلتها بخمسة وسبعين رجلاً

اعتقدت أنها كانت أغنية قصيرة جداً ومملوءة بحالة كآبة كبيرة للصحبة التى قابلت إخفاقات قاسية فى الصباح، ومما رأيت أن هؤلاء القراصنة كانوا قاسى القلب مثل البحر الذى يبحرون فيه.

أخيراً، بدأ النسيم يهب ثانية وبدأت السفينة تتحرك واقتربت منا فى الظلام، شعرت أن الحبل قد ارتخى ثانية فقممت على الفور بمجهود طيب وشديد وقطعت آخر أحبال السفينة، كنت أتحرك كمهووس، كنت أتوقع فى كل لحظة أن أغرقه ومنذ تلك اللحظة وجدت أننى لن أستطيع أن أدفع الزورق بشكل مباشر ليتحرك، تحركت مباشرة للخلف، بعد لحظة تخلصت من جارى الخطر، ودفعت الزورق الدفعة الأخيرة، عبرت يدي الحبل الخفيف الذى كان يتدلى فوق البحر على جانب السفينة الخلفى، أخيراً قبضت عليه.

لماذا يجب أن أفعل ذلك، سأقول لكم، كان يبدو كذلك فى البداية أنه مجرد غريزة فى لكن حين امتلكت ذلك فى يدي وجدته أسرع، بدأت بفضول منى أصل لليد العليا، قررت أن أخذ نظرة من خلال سفينة الشباك.

تسحبت خطوة بعد خطوة، ولما اقتربت بدرجة كافية ارتفعت بمخاطرة لا حدود لها ما يقرب من نصف ارتفاعي وأطلت على السطح فرأيت قطاعاً من داخل الكابينة، قبل هذا الوقت انزلقت السفينة وسفينتها المرافقة الصغيرة إلى الماء بسرعة، حقاً وصلنا فعلاً إلى مستوى مدفأة المعسكر، كانت السفينة تتحدث - كما يقول البحارة - عالياً وتدوس فقايع لا حصر لها بطرطشات متقلبة ومتواصلة، وحتى وضعت عيني فوق عتبة الشباك، لم أستطع أن أفهم لماذا لم يأخذ الحارسان حذرهما، فلمحة واحدة كانت كافية، لقد كانت لحظة واحدة فقط التى أخذتها من القارب الشراعى غير الثابت، أرتنى هانذر وزميله يتشابكان معاً فى تصارع مميت، كل واحد كان يمسك زميله من رقبتة،

نزلت إلى مقعد المجداف مرة أخرى ولم أفكر مرة أخرى لفترة وجيزة، لأننى كنت قريباً من سطح البحر فلم أر شيئاً للحظة إلا هذين الرجلين الغريبيين ووجهيهما يتأرجحان معاً تحت مصباح دخانى، أغلقت عيني لكى أجعلهما يتآلفان معاً على الظلام.



أرى هاندز وزميله يتشابكان معاً فى صراع رهيب

والأغنية التى بلا نهاية جاءت إلى النهاية أخيراً وكل الصحبة المتناقضة حول المدفأة تكسرت إلى كورس وسمعتها تغنى عالياً:

خمسة عشر رجلاً حول التابوت
يو يو يو وزجاجة من شراب الروم
يشربون والشيطان يعمل للباقيين
يو يو يو وزجاجة من شراب الروم

كنت أفكر كيف كان الشراب الثقيل والشيطان فى هذه اللحظة داخل كابينة هيسبنيولا، اندمشت جداً لتأرجح الزورق المفاجئ، وفى هذه اللحظة انحرفت السفينة بحدة، يبدو أنها غيرت طريقها، كانت السرعة فى كل الأوقات تزيد بشكل غريب.

فتحت عيني فى الحال، كل ما يحيط بى موجات صغيرة تتكسر بحدة وأصوات خشنة ووميض فسفورسنت خفيف، كانت السفينة هيسبنيولا نفسها على بعد عدة ياردات فى يقظتها، ما زلت أشعر بالدوار، تبدو أنها تترنح فى سيرها، وكان الصارى الخاص بها يقذف قليلاً من سواد الليل، فنظرت طويلاً، تأكدت أنها تحركت وسارت جنوباً.

نظرت فوق كتنفى بشكل مفاجئ، كان قلبى يتقافز فى ضلوعى، كان اليمين خلفى ورأيت وهج نار المعسكر والتيار تحول نحو زوايا اليمين ويسحب معه السفينة الكبيرة ويتراقص الزورق الصغير بسرعة ويقبقة عالية وصوت متدمر، بدأت تتحرك وتنزل من عند المضائق إلى البحر المفتوح.

فجأة انفجرت السفينة التى أمامى انفراجة عنيفة واستدارت حوالى عشرين درجة، وفى نفس اللحظة صاح أحد السكارى وتبعه الآخر على ظهر السفينة، سمعت أقدامه تدب على السلم المرافق وعرفت ساعتها أن الشاربين للخمر أخيراً قد توقفا عن التشاجر وتيقظا على إحساس الكارثة التى سوف تحل بهما.

رقدت فى قاع القارب البائس وسلمت روحى لخالقها وفى نهاية المضائق تأكدت أننا سوف نسقط فى الموجات العنيفة والمؤلة جداً، حيث سوف تنتهى كل متاعبى بسرعة وفكرت أننى قد أتحمل الموت ولكنى لن أستطيع أن أنتظر قدرى حين يقترب.

رقدت لعدة ساعات مستمراً فى انهزامى من وقت لآخر على الوسائد ومن حين لآخر ابتل بطرطشات الماء المتطاير ولا أتوقف عن توقع الموت فى لحظة السقوط القادمة، بدأ التعب يزداد علىّ، والحذر والذهول الوقتى يسقط على ذهنى فى منتصف الرعب حتى سقطت نائماً بعد ذلك فى قاربى الذى يتقاذفه البحر، أحلم بالوطن وفندق الأميرال بنبو.

٢٤ - رحلة الزورق البحرية

كانت الشمس قد ملأت الدنيا حين استيقظت ووجدت نفسى مقنوقاً فى الجنوب الغربى لجزيرة الكنز وعلى الرغم من ذلك كانت تختفى عنى وراء الكتلة الكبيرة من جبل النظارة المكبرة، وتتحدّر على هذا الجانب فى البحر وراء منحدرات ضخمة وهائلة.

كانت العقدة والصارى عند كوعى، والجبل كان عارياً ومظلماً والرأس محاطة بمنحدرات أربعين أو خمسين قدماً ارتفاعاً ومهدبة بكميات ضخمة من الصخر المتساقط، كنت على بعد ربع ميل من عمق البحر جاء لذهنى فى البداية أن أبذل حتى أصل لليابس.

سيطرت على تلك الفكرة، بين الصخور المتساقطة تدفقت الأمواج المتكسرة وجاءت بصدى صوت عال وطرطشات الماء تتطاير وتسقط، شعرت أننى قد أنجح من خطوة لخطوة، رأيت نفسى، لو أننى غامرت أكثر، فإننى سأستعجل الموت على الصخور الفظة أو إننى سوف أستهلك قوتى عبثاً لكى أتسلق الصخور التى لها شكل الخنافس.

لم يكن يصلح هذا للزحف على مصاطب مستوية من الصخر وإلا سأتترك نفسى أسقط فى البحر فى انفجار مدو، شاهدت وحوشاً طينية ضخمة، قواقع رخوة، ضخمة جداً، كل اثنين أو ثلاثة معاً، يسمع صدى نباحهم عالياً وسط الصخور.

فهيمت منذ تلك اللحظة أنهم أسود البحر وأنهم لا يؤنّون أبداً، لكن رؤيتهم بالإضافة لصعوبة الشاطئ والأمواج العالية جداً كانوا كافيين بدرجة كبيرة أن أشمنز من الهبوط على تلك الأرض، شعرت أن الموت جوعاً أفضل حالاً من تحدى تلك الأخطار.

وأثناء ذلك جاءتنى فرصة جيدة كما اعتقدت من قبل، فشمال رأس "هولباولين" ظهرت الأرض فى قطاع طويل بعد أن غادرها المد وتركت مساحة ممتدة من الرمال الصفراء، فشمال ذلك ظهر مرة أخرى الخليج، خليج من الأشجار كما هو موضح على الخريطة، دفن تحت أشجار الصنوبر الخضراء التى هبطت إلى جانب البحر.

تذكرت ما قاله سيلفر عن التيار الذى بدأ شمالاً عبر كل الساحل الغربى لجزيرة الكنز، ورأيت من موضوعى هذا أننى كنت فعلاً تحت تأثيره، فضلت أن أغادر رأس هولباوين خلفى وأحتفظ بقوتى لمحاولة الهبوط إلى الشاطئ، حيث الخليج الذى تتشابك عليه الأشجار الكثيفة.

كانت هناك موجة عظيمة ناعمة فى البحر، حيث الرياح بثبات ولطف من الجنوب، لم يكن هناك أى تضارب بين ذلك وبين التيار والأمواج المتلاطمة التى ترتفع وتسقط غير مكسورة، لو لم يحدث هذا، لكنت قد هلكت منذ مدة طويلة ولأن ذلك الحدث كان مدهشاً، صار الأمر سهلاً وأكثر أماناً لقاربى الصغير والخفيف الذى استطاع أن يتخلص من الخطر، ظللت فى أغلب الأحيان فى قاع القارب ولم أكن أفعل شيئاً إلا أن أضع عيني على حافة المركب العليا، كنت أرى قمة زرقاء ضخمة تقترب منى، فكان الزورق يثبت قليلاً ويتراقص وكأنه على عيون مائية ويستريح على الجانب الآخر فى إحدى القنوات بخفة مثل طائر.

بدأت بعد فترة قليلة أصير أكثر جرأة وبدأت أجرب مهارتى فى التبديل لكن تغير بسيط فى التخلص من الوزن سوف ينتج تغيرات عنيفة فى سلوك الزورق، فمن الصعب أن أتحرك قبل القارب الذى تخطى فى الحال عن الحركة الراقصة اللطيفة، تحرك للأمام لمنحدر من الماء كان شديد الانحدار لدرجة أنه أصابنى بالدوار وضرب المقدمة بصنوبر من رشاشات الماء كان عميقاً إلى جانب الموجة التالية.

كنت مرعوباً جداً وسقطت إلى مكانى القديم، حيث يبدو أن الزورق وجد اتجاهه مرة أخرى وقادنى برفق مرة أخرى كما السابق بين الأمواج المتلاطمة، كان واضحاً أن الزورق يسير كما يريد دون أن يتدخل أحد فى قيادته وعند هذه الدرجة لم يكن لى أى تأثير على خط سيره، كل ما أمله أن أصل بأمان إلى الشاطئ ونرسو.

زاد الرعب جداً لكنى كنت أعى كل ما يحدث من حولى، أولاً: تحركت بكل عناية،
تدريجياً هربت من الزورق بقبعة البحر ثم وضعت عيني مرة أخرى على حافة المركب،
وبدأت أدرس كيف استطاعت أن تنزلق بهدوء خلال الأسطوانات.

وجدت كل موجة مثل الجبل اللامع الناعم الضخم، كانت تبدو من الشاطئ أو من
فوق ظهر الزورق لكل العالم مثل سلسلة جبال على الأرض الجافة المملوءة بقمم الجبال
والأماكن السهلة المنبسطة والأودية، استدار الزورق ليساره ولف من جانب إلى آخر،
وشق طريقه بحذر خلال الأجزاء المنخفضة وتجنب المنحدرات الشديدة والعالية والقمم
العالية للموجة، قلت لنفسى:

- حسناً، الآن، من الواضح أنه يجب أن أرقد حيث أنا وألا أزعج توازن الزورق،
ومن الواضح أيضاً أننى يجب أيضاً أن أضع البدال فوق الجانب من وقت لآخر فى
مكان ملائم، وأن أعطى الزورق دفعة أو دفعتين تجاه الأرض، لم أكد أفكر أكثر من
الفعل، حيث وضعت كوعى فى حالة المحاول للفعل ومن وقت لآخر كنت أعطى ضربة
خفيفة أو ضربتين لكى أحول اتجاه الزورق إلى الشاطئ.

كان عملاً مرهقاً وبطيئاً، وعلى الرغم من ذلك استطعت أن أكسب بعض الأرض
وقد اقتربنا من خليج الغابة، وعلى الرغم من أننى أرى أننى أفقد هدفى فإننى ما زلت
أقطع مئات الأمتار فى اتجاه الشرق، كنت حقاً بالقرب من ذلك، استطعت أن أرى قمم
الأشجار الخضراء الباردة تهيمن على المكان حقاً، فى هذا النسيم شعرت بالتأكيد
أننى سوف أصاب بنتوء جسدى دون شك فى ذلك.

كان وقتاً صعباً، بدأت أتعذب من العطش، كانت الشمس تتدفق من أعلى
وانعكاساتها أكبر ألف ضعف من الأمواج، وكان ماء البحر يسقط ويجف على ويكسو
شفتى بطبقة من الملح جعلت زورى يحترق وأوجعت مخى.

كان منظر الأشجار القريب من مرمى البصر جعلنى أشتاق جداً للشاطئ، لكن
التيار حملنى الآن بالقرب من تلك النقطة، فرأيت البحر أمامى مفتوحاً وواسعاً
وشاهدت منظرًا غير طبيعية أفكارى.

شاهدت السفينة هيسبنيولا على اليمين من أمامي تحت أشرعتها على بعد لا يزيد عن نصف ميل، كنت متأكدا جداً أنني سوف أخذ ولكني كنت مكتئباً جداً وفي كرب لحاجتي للماء لدرجة أنني لم أعد أعرف هل أنا سعيد بما حدث أم أسف لهذه الفكرة التي نفذتها، أخذت وقتاً طويلاً قبل أن أصل إلى نتيجة وسيطرت الدهشة على عقلي بدرجة كبيرة ولم أفعل شيئاً إلا أن أحملق وأتعجب.

كانت السفينة هيسبنيولا تحت شراعاها الرئيسى وشراعيها الآخرين بالساريين الأماميين وقماش الشراع الأبيض الجميل مشرق في الشمس مثل الجليد أو الفضة، حين نظرت إليها لأول مرة كانت أشرعتها تسحب وكانت في طريقها إلى الشمال الغربي، افترضت أن الرجال الذين على متنها سيأخذون جولة حول الجزيرة وسيعوبون ثانية إلى المرسى.

وفي الحال بدأت تقترب أكثر وأكثر إلى الاتجاه الغربي لدرجة أنني اعتقدت أنهم اتجهوا إلى ويطاريونني، أخيراً انحرفت ناحية اليمين في اتجاه الريح وأخذت للخلف وسكنت تماماً ووقفت هناك للحظة بلا حراك وأشرعتها ترتعش، قلت:

- زملاء غير بارعين!! هم بالتأكيد ما زالوا يشربون الخمر مثل كل يوم، فكرت كيف يستطيع الكابتن سموليت أن يتجاوز هؤلاء.

وأثناء ذلك بدأت السفينة في الارتداد تدريجياً وامتلات أشرعتها بالهواء وبدأت تغير وجهتها وأبحرت بسرعة لدقيقة وتحركت مع الريح، مرة ومرة وتكرر ذلك ذهاباً وإياباً، وأعلى وأسفل، شمالاً وجنوباً، شرقاً وغرباً، أبحرت هيسبنيولا مندفعة وفي كل مرة ينتهي الأمر كما بدأت وأشرعتها مرفرفة بشكل كسول، أصبح واضحاً لدى أنه لا أحد على متن السفينة ولا أحد يقودها وإذا كان الأمر كذلك أين ذهب الرجال؟! إما أنهم ماتوا من شرب الخمر أو تركوها، أعتقد أنني لو صعدت على سطحها أنني قد أحضر المركب المرافق للسفينة إلى ربانها.

كان التيار يحمل الزورق والسفينة جنوباً وبنفس المعدل وكأن السفينة كانت تبحر فكانت أكثر اتساعاً وإن كان التيار منقطعاً، فظلت لوقت طويل معلقة في مكانها فلا تتحرك ولو كنت جرؤت واستخدمت البدال، كنت متأكداً أنني أستطيع أن ألحق بها،

كانت روح المغامرة، تشجعت لذلك، فكرة أن أكون فى الماء المنكسر بجوارها تراودنى وتزيد من شجاعتى.

وحين استيقظت من دهشتى رحب بى بواسطة سحابة من طرطشات الماء، وصادف ذلك ما أريد تلك المرة وجعلتنى أستعيد كل قوتى وأحذر السفينة هيسبنيولا التى لا يقودها أحد، فأبحرت بقوة لدرجة أننى اضطررت أن أتوقف لكى أنزح الماء من الزورق، كنت كالطائر الذى يرفرف بجناحيه وبالتدريج أخذت طريقى وبدأت أقود الزورق بين الأمواج وأجد هبة ريح من وقت لآخر على مقدمة القارب وطرطشة من زبد البحر فى وجهى.

استطعت أن أصل بسرعة إلى السفينة، رأيت الجرس المتلاالى على ذراع المقود، وما زالت لم أر أى روح لإنسان تظهر على سطح السفينة، لم أستطع أن أختار ولكنى اعتقدت أن السفينة قد هجرت، وإذا لم يكن الرجال راquدين مخمورين، فأين يكونون، ربما أفعل ما أختاره فى السفينة.

لبعض الوقت فعلت السفينة أسوأ شئ ممكن لى، فما زالت واقفة ووجهتها ناحية الجنوب، منحرفة عن طريقها طوال الوقت، لكل مرة تنسحب السفينة، تنتفخ أشرعتها وهذا يضعها فى لحظة واحدة فى سياق الريح مرة أخرى، قلت إن هذا أسوأ شئ ممكن بالنسبة لى، كانت السفينة بلا أى مساعدة كما يبدو فى هذا الموقف، وحين يفرد الشراع إلا ويطلق ويفرقع مثل المدفع والكتل التى تتدحرج وتقرع على سطح السفينة ما زالت السفينة مستمرة فى الهروب منى، ليس بسرعة التيار فقط ولكن بمقدار انحرافها الكبير الذى كان طبيعياً بشكل كبير.

لكن الآن وأخيراً وجدت فرصتى، فالنسيم بدأ يهب فى ثوان ببطء، وبدأ التيار يحولها تدريجياً وبدأت تدور هيسبنيولا ببطء حول محورها، وأخيراً أعطت مؤخرتها التى كانت بها الكابينة لنا وما زالت هناك فجوة مفتوحة ومصباح فوق المائدة ما زال ينير فى هذا اليوم، وما زال الشراع الرئيسى متداليا مثل الراية، وما زالت السفينة رهينة للتيار، وكدت أن أفقدها لمدة قصيرة، فضاغت كل جهدى وبدأت مرة أخرى كى ألحقها

وأواصل مطاردتها ولم أبعد عنها عدة مئات من الأميال حين أتت الريح عاصفة مرة أخرى، امتلأت الأشعة وغيّرت وجهتها وبدأت المغادرة مرة أخرى، تنحني وتنزلق مثل طائر السنونو.

كانت أول دفعة للسفينة حتى صار جانبها مقارباً لى، واستدارت حتى غطت نصفها ثم ثلثين ثم ثلاث أرباع المسافة التى فصلت بيننا، استطعت أن أرى الأمواج البيضاء التى تغلى تحت مقدمتها، بدت بالنسبة لى طويلة جداً من مكاني المنخفض فى الزورق.

بدأت أفهم بعد تلك المفاجأة، فلم يكن لدى وقت كى أفكر، وكان الوقت نادراً كى أفعل شيئاً أو حتى أنقذ نفسى، كنت على قمة إحدى الموجات عندما جاءت السفينة تتمايل بعد ذلك، كان الدقل المائل عمود السفينة الذى فى المقدمة فوق رأسى، نهضت على قدمى وثبتت وركلت بقدمى الزورق من تحت الماء، أمسكت ذراع الشراع بيد واحدة، بينما قدمى غرزت بين الدعامة والحمالة وظللت متشبثاً ألهث، أحسست أن ريحاً عاتية شحنت السفينة فتحرّكت وضربت الزورق وتُركت بدون أى ملاذ على السفينة.

٢٥ - تنكيس راية القراصنة

اكتسبت بشق الأنفس مساحة على دقل السفينة حين رفرف الشراع وامتلأ بالهواء على الجهة الأخرى للسفينة بانفجار كان مثل طلقة المدفع، اهتزت بشدة حتى قاعها وسارت في عكس الاتجاه وفي اللحظة التالية بدأ الشراع الآخر في الارتخاء وعاد الشراع المرفرف سيرته الأولى فارتضى مرة أخرى.

قذفنى ذلك بعيداً إلى البحر تقريباً، الآن فقدت التمييز وزحفت عائداً عبر الدقل، وتعثرت تقدمي للأمام على سطح السفينة، كنت على الجانب المحجوب عنه الريح في المقدمة وكان الشراع الرئيسى ما زال ينسحب يخفى عنى مساحة على ظهر السفينة، لم يكن أى إنسان على ظهرها، بدأت أثار أقدامى تطبع على ألواحها التي لم يمسحها أحد منذ لحظة التمرد، زجاجات الخمر الفارغة المكسورة من رقبتها تعثرنى كلما ذهبت أو رحت كدليل حى على التخريب الذى حدث.

فجأة بدأت السفينة تتوقف حين خمدت الريح، بدأت الأشرعة تفرقع بصوت عال ودقة القيادة تخبط بعنف، تنهدت السفينة وارتعشت متوجعة وتأرجح هلبها العائم، أن وتقوقع فى نفس اللحظة الشراع فى مكانه فشاهدت المسافة التي بلا ريح على ظهر السفينة.

كان على السفينة اثنان من الحراس، إحداهما كان صاحب القبعة الحمراء على ظهره وكان ممدداً مثل العتلة، وذراعاها كانا مفرودين مثل صليب وأسنانه تظهر شفثيه المفتوحتين، وكان إسرائيل هاندز يستند على جانب السفينة وذقنه على صدره ويدها مبسوطتان خلفه على السطح ووجهه يبدو أبيض مشرب بسمرة أشعة الشمس مثل شمعة الودك.

للحظة كانت السفينة مثل الحصان الشرير الذى طرح فارسه أرضاً والأشعة على أحد الجوانب وعلى الجانب الآخر تمتلئ بالهواء ويتأرجح ذراع التطويل لها جيئة وذهاباً حتى أن السارى بصوت عال من كثرة الضغط ومن وقت لآخر تهب سحابة من طرطشات الماء الخفيف على جانب السفينة وهبة ثقيلة من مقدمة السفينة ضد الموجة، كان طقساً أكثر ثقلًا وصعوبة وكان التأثير الأكبر على زورقى المصنوع يدويًا من الأغصان والذى غرق فى قاع البحر.

مع كل قفزة للسفينة كان صاحب القبعة الحمراء يتحرك جيئة وذهاباً، يا له من أمر مروع، ليس فقط حاله، ولكن أيضاً أسنانه التى صنعت تكشيرة فظيعة مزعجة لهذا الشكل ومع كل هزة للسفينة أيضاً يظهر إسرائيل هاندز غارقاً على ظهر السفينة التى تنزلق أحياناً أقدامه بعيداً ويقذف جسده بشكل مفاجئ فى اتجاه المؤخرة حتى يظهر وجهه قليلاً قليلاً متخفياً عنى ولا أستطيع أن أرى شيئاً خلف أنفيه أو حتى شعر لحيته المثير.

فى نفس الوقت رأيت حولهما بعض طرطشات لبقع الدم السوداء على ألواح السفينة وتأكدت أن كل واحد منهما حاول قتل زميله أثناء سكرهما، بينما كنت أنظر حولي وأتجول، فى لحظة هادئة كانت السفينة ما زالت على وضعها فاستدار إسرائيل هاندز وعاد ثانية إلى المكان الذى رأيته فيه لأول مرة وهو يئن بشدة ويتألم، أخبرنى تأوّهه بمدى الألم المميت الذى يعانى منه ومدى الضعف الذى يعتريه ووصلت أهاته من فمه المفتوح ألى إلى قلبى، لكنى حين تذكرت حديثه الذى استمعت إليه من برميل التفاح اختفت كل الشفقة عليه من قلبى، تحركت بعد ذلك حتى وصلت إلى الشراع الرئيسى، قلت ساخراً:

– تعال إلى سطح السفينة يا سيد هاندز.

نظر إلى بصعوبة ولكنه كان بعيداً كى يعبر عن الدهشة، فكان كل ما نطق به..

البرندى!!

لم يكن هناك وقت لكى يفقده وتفادى أذرع التطويل للشراع الذى صار أكثر ميلاً عبر السطح، انزلت للخلف ولأسفل حيث درجات السلم الموصلة للكابينة، كان منظرًا

مقلقاً للغاية، فكل الأماكن المغلقة جداً قد كُسرت بحثاً عن الخريطة التي توصل للكنز، كانت الأرضية مملوءة بالطين السميك حيث كان يجلس الوحوش يشربون الخمر ويتشاورون بعد خوضهم فى الطرقات حول المعسكر، لقد دُهنّت كل الحواجز باللون الأبيض وخُرزت باللون الذهبى وحُفرت نماذج بأيدٍ قذرة، عدة دُست من الزجاجات الفارغة تحتك معاً فى أركان السفينة حين تتدحرج، كان أحد كتب الطب موضوعاً على الطاولة ومفتوحاً، نصف أوراقه قد نُزعت تماماً، يوجد فى المنتصف مصباح ما زال ينشر وهجه الدخانى الغامق البنى المائل للاصفرار مثل سمك اليبس الأوروبى.

ذهبت إلى القبو، كانت كل البراميل قد اختفت وعدد كبير ومدهش من الزجاجات قد شُربت وقذفت بعيداً، فالمؤكد أنه منذ بدأ التمرد لم يبق أحد فيهم هادئاً أو رزيناً، وأثناء البحث عن الطعام وجدت زجاجة بها بعض البراندى المتبقى لهاندز وأحضرت لنفسى بعض البسكويت وبعض الفاكهة المخاللة وعنقوداً كبيراً من العنب وقطعة من الجبن، أحضرت كل ذلك على سطح السفينة ووضعت هذا الخزين خلف رأس الدفة وفى متناول يد ريان السفينة، ذهبت مباشرة إلى برميل الماء الصغير وأحضرت بعض الماء للشرب وأعطيت البراندى لهاندز.

شرب إسرائيل هاندز قدحاً من البراندى قبل أن يشرب من الزجاجة مباشرة، تنهد إسرائيل قائلاً بعد أن شرب:

- مثل الرعد لكنى أريد بعضاً من هذا.

جلست فى أحد الأركان وبدأت أتناول الطعام، سألته:

- أهذا مؤذ جداً؟!

نخر إسرائيل وزام وارتفع صوته، وقال:

- لو كان هذا الطيب معنا، كنت ساكون جيداً فى أقرب وقت لكنى لست محظوظاً كما ترى، وهذا حالى بالنسبة لهذا التافه.

كان جيداً، لكنه الآن ميت وأشار إلى الرجل ذى الكاب الأحمر، هو لم يكن بحاراً جيداً على أى حال، وأضاف قائلاً:

- من أى مكان جنّت؟

قلت:

- حسناً، لقد جئت لأتولى مسئولية هذه السفينة يا سيد هاندز وسوف تعاملنى ككابتن للسفينة حتى إشعار آخر.

نظر هاندز لى بشكل ردىء بدرجة كافية ولم يقل شيئاً وقد استرد وجهه بعض الحيوية مرة ثانية على الرغم من أنه ما زال مريضاً واستمر فى الانزلاق حتى استقر فى مكانه حين تحركت السفينة بشكل مفاجئ، وأضفت قائلاً:

- لن أستطيع أن أحتفظ بهذه الراية يا سيد إسرائيل هاندز، سوف أنكس هذا العلم الذى يرفرف على السفينة بعد إذك، الأفضل أن نتخلص من ذلك.

ومرة أخرى أفادى ذراع تطويل الشراع، جريت إلى سارى العلم وأنزلت رايتهم السوداء الملعونة وقذفت بها بعيداً، قلت وأنا ألوح بالكاب:

- ينقذ الله الملك ويقضى على سيلفر.

نظر هاندز لى بمكر وذقنه ما زالت على صدره وقال أخيراً:

- أعتقد يا كابتن جيم هوكنز أنك ستصل بنا للشاطئ الآن.

قلت:

- لماذا أنت متأكد، أرجو أن تقول لماذا؟

ورجعت ثانية إلى مكان أتناول وجبتى بشهية جيدة، ثم بدأ حواراه ثانية قائلاً وأوماً بضعف إلى الجنة قائلاً:

- هذا الرجل يسمى "أوبراين" صاحب لقب أيرلندى، هذا الرجل وأنا كنا مسئولين عن فرد قماش شراع السفينة، أقصد الإبحار بها ثانية كى نعود، ولكنه الآن مات، صار مجرد جثة متعفنة، فمن يبحر بالسفينة الآن، لا أرى أحداً دون أن أعطيك الإشارة، لذلك لن تكون إلا هذا الرجل القادر على فعل ذلك، كما قلت لك، والآن انظر هنا، أنت تعطينى الطعام والشراب وهذا الوشاح القديم وهذا الرباط كى أربط جرحى، أنت تفعل ذلك لأجلى، لذا سأقول لك كيف تبحر بهذه السفينة، إن ذلك أمر عادل ومنصف وسوف أقوم به حتماً وعلى أن أقوم به.

قلت له:

- سأقول لك شيئاً واحداً، لن نعود ثانية إلى مرسى الكابتن كيد، أقصد أن ندخل الخليج الشمالى ونرسيها بهدوء هناك.

صرخ هاندز قائلاً:

- تأكد أنك سوف تفعل، فأنا لست الشخص الشرير الذى لا يفعل بعد كل هذا، لقد حاولت من قبل ولكن الآن أنت لك على حق الطاعة، وسوف تقود السفينة إلى الخليج الشمالى، وليس لدى أى اختيار، سوف أساعدك حتى تبحر إلى حيث إعدام بوك^(*) ورغماً عنى سوف أعمل.

حسناً، أشعر أن الأمر كما يبدو لى صادق لحد ما، فقد عقدنا الصفقة معاً فى تلك البقعة، وفى خلال ثلاث دقائق بدأت أقود السفينة هيسبنيولا بسهولة قبل أن تهب الريح على ساحل جزيرة الكنز، وبكل الآمال الطيبة للتحويل للمنطقة الشمالية قبل الظهيرة وأن نشق طريقنا مرة أخرى بعيداً قدر الإمكان عن الخليج الشمالى قبل الأمواج العالية، حيث ننتظر أن يخمد المد ويسمح لنا أن نرسو فى أمان.

ثم اندفعت إلى ذراع الدفة وهبطت إلى صندوقى حيث أحضرت منه منديلاً حريرياً ناعماً كان لأمى وبه وبمساعدتى استطاع هاندز أن يربط هذه الطعنة المميّنة التى تلقاها فى فخذه، ويعد أن أكل قليلاً وملأ معدته وتحدث بصوت أعلى وأكثر وضوحاً، ظهر كأنه رجل آخر تماماً عما قبل.

لقد ساعدنا النسيم بشكل رائع، ومررنا بخفة قبلها مثل الطائر وكان ساحل الجزيرة يومض ومنظرها يتغير كل دقيقة وبعد فترة مررنا بالأرض العالية وانطلقنا بجوار أرض رملية منخفضة يوجد عليها بعض أشجار البلوط المنتشرة بغير كثافة،

(*) لقد تم شق القراصنة فى لندن عند منطقة إعدام بوك على الضفة الشمالية لنهر التايمز على بعد ميل من برج لندن، حيث تم عرض هؤلاء القراصنة المعدمون فى منطقة مد منخفض وترك أجسادهم حتى مر عليهم المد والجزر ثلاث مرات فوق أجسادهم.

ثم أصبحنا خلفها مرة أخرى وتحولنا إلى ناحية التل الصخرى الذى ينهى الجزيرة من ناحية الشمال.

لقد كنت معجباً جداً بقيادتى وسعيداً جداً بالطقس البراق المشمس وبالمناظر المختلفة الموجودة على الساحل، صار لدى الآن وفرة من الماء والأشياء الجيدة للأكل، صار ضميمى الذى كان متيماً ومصاباً بهذه الهجرة هادئاً بهذا الفتح العظيم الذى صنعتة، كنت أعتقد أننى يجب ألا يبقى لدى شىء أرغبه ولكنى لأجل خاطر عيون الرب أفعل.

فقد كان يتابعنى بسخرية على السطح وابتسامته الشاذة تظهر باستمرار على وجهه، كانت ابتسامة تحتوى على الألم والضعف، ابتسامة رجل عجوز منهك، وعلى الرغم من ذلك توجد مسحة سخرية وظل ماذى فى تعبيراته، وظل يراقبنى ويراقبنى ويراقبنى ببراعة أثناء عملى.

٢٦ - إسرائيل هاندز

لقد ساعدتنا الرياح بالدرجة التي نريدها، الآن تغير اتجاهنا إلى الغرب، نستطيع أن نجرى بدرجة أسرع وأسهل من جانب الشمال الشرقي للجزيرة حتى فم خليج الشمال، فقط لم يكن لدينا المقدرة حتى نرسو أو نأخذ السفينة للشاطئ حتى يتدفق المد ويكون في حالة جيدة، صار الوقت معلقاً في أيدينا، أخبرني الريان كيف أستطيع أن أرسو بالسفينة، بعد عدة محاولات نجحت، جلسنا صامتين بعد ذلك ونحن نتناول وجبة، قال لى إسرائيل هاندز بعد فترة بابتسامة غير مريحة:

- هذا زميلي القديم في السفينة، "أوبراين" يجب عليك أن ترمى به في البحر، لأنى لم أفعل ذلك كما تقول القواعد لظروفي ولن يستطيع أحد أن يلوم على بقاء هذا الجسد حتى الآن، وأعتقد أنه لم يعد زينة الآن، ويجب أن نقذف به إلى البحر، أليس كذلك؟

قلت:

- لكنى لست قوياً بدرجة كافية ولا أحب أن أفعل ذلك وهو يرقد بعيداً هناك.

وأضاف هاندز قائلاً وعيناه ترف:

- هيسبنيولا سفينة غير محظوظة يا جيم، فقد قتلت قوة من الرجل على متنها، منظر هذا الرجل المسكين الذى منذ أخذت السفينة أنا وأنت إلى بريستول صعب جداً، لم أر مثل هذا الحظ السيئ أبداً، والآن يوجد "أوبراين" هنا ميتاً على ظهر السفينة، إنه ميت، أليس كذلك؟ والآن أنا لست رجلاً متعلماً وأنت فتى تستطيع القراءة والحساب وتضع الأمور في نصابها، هل من الممكن أن نتعامل معه كرجل ميت، مات لأجل الخير، هل سيعود مرة أخرى على قيد الحياة؟

أجبت قائلاً:

- من الممكن أن تقتل الجسد يا سيد هاندز لكنك لن تستطيع أن تقتل الروح،
يجب أن تعرف ذلك فعلاً، إن أوبراين الآن في العالم الآخر وربما إنه يراقبنا.

قال هاندز:

- أه.. حسناً، هذا أمر غير محظوظ ويظهر وكأن قتل الجماعات مجرد تضییع وقت، ومع ذلك فالأرواح لا تعتقد في ذلك كثيراً إضافة لما رأيت، والآن نتحدث بحرية وسأعتبر ذلك نوعاً من العطف منك إن نزلت إلى الكابينة وأحضرت لى زجاجة خمر يا جيم، ستجد البراندى القوى جداً والمناسب لرأسى.

الآن يبدو تردد الربان هاندز غير طبيعى وخاصة لفكرة أنه يفضل الخمر على البراندى، أنا لا أقصد ذلك كلية، أرى أن القصة كلها مجرد حجة وذريعة، كان يريدنى أن أغادر سطح السفينة كى تصير خالية له لغرض ما لا أستطيع أن أتخيله، عيناه لم تقابل عيني أبداً، ظلتا تتجولان جيئةً وذهاباً وأعلى وأسفل والآن تحديق فى السماء، تنظر الآن بلمحة مرفرفة على جسد أوبراين الممدد، ظل طوال الوقت يبتسم ويخرج لسانه خارج فمه بشكل إجرامى وبسلوك مريب، لدرجة أن الطفل نفسه يستطيع أن يخمن أنه ينوى عمل شىء ينطوى على الخداع، اندفعت بالرد وتلبية الطلب على الرغم من أننى أعرف أين تكون مصلحتى ومع شخص وزميل وضعى وغبى جداً، استطعت أن أخفى شكوكى بسهولة إلى النهاية، سألته:

- أترید بعض الخمر؟ أتریدها بيضاء أم حمراء؟

أجاب:

- حسناً، كلاهما حسن بالنسبة لى يا زميلى، المهم أن تكون قوية وكثيرة،
فما احتمالات وجودها؟

أجبت:

- تمام، وسأحضر لك بعض لحم الخنزير يا سيد هاندز ولكنى سأضطرب أن أفتش عنه جيداً.

وعلى الرغم من ذلك أحببت الزميل وشغلته بما أستطيع من ضوضاء وخلعت حذائي وجريت بهدوء عبر صالة الصراع والتشاحن وركبت سلم أعلى مقدمة السفينة وأخرجت رأسي بعيداً عن الزميل الأمامي، كنت أعرف أنه لا يتوقع أن يراني مرة ثانية هناك ومع ذلك أخذت كل حذري الممكن وبالتأكيد صارت أسوأ شكوى حقيقة جداً.

نهض من مكانه على يديه وركبته على الرغم من أن إحدى ساقيه كانت تؤلمه بشدة وظهر ذلك حين تحرك، فقد سمعته يكتم أهاته وعلى الرغم من ذلك كان يتحرك بمعدل جيد وسريع حين كان يجرجر نفسه على سطح السفينة وفي خلال نصف دقيقة استطاع أن يصل إلى مكان المخربين ويلتقط لفة من الحبال وسكينة طويلة أو هي خنجر قصير إلى حد ما، مخضب بالدم، نظر له للحظة ووضعته تحت فكه وجرب نصله وحافته في يده ثم أخفاه بسرعة في صدر الجاكت الخاص به ثم تدرج وعاد مرة أخرى لمكانه القديم المقابل للحصن.

هذا كل ما أردت أن أعرفه، إسرائيل هاندز يستطيع أن يتحرك وهو الآن مسلح وهو مستعد الآن للتخلص مني، كان واضحاً جداً أنني سأكون ضحية، ترى ماذا سيفعل بعد ذلك؟

سواء كان سيحاول أن يزحف عبر الجزيرة من الخليج الشمالي إلى المعسكر بين المستنقعات أو أنه سيحرق لونج توم، فإنني أثق تماماً أن أصدقاءه ربما يأتون أولاً لكي يساعدوه.

بالطبع سيكون هذا أكثر من مجرد الكلام الذي أقوله، شعرت بتأكيد كبير أن هناك شيئاً واحداً يجعلني أثق فيه وهو أن كلاً منا يود أن يقفز من تلك السفينة وأن ذلك هو إحدى قواعد السفينة وكلانا يرغب أن يحصل على أعلى درجات الأمان وأن يقبع في مكان آمن، ولذلك حين حان الوقت استطاعت السفينة أن تبدأ الحركة مرة أخرى بمجهود بسيط وخطر مثل كل المرات وحتى تم ذلك، اعتبرت أن حياتي يجب أن يحافظ عليها بالتأكيد.

وبينما أدير الأمر في رأسي، لم أكن كسولاً مع جسدي، فقد عدت مرة أخرى إلى الكابينة وخلعت حذائي أكثر من مرة ووضعت يدي بالصدفة على زجاجة خمر، والآن لأجل هذا السبب استطعت أن أعاود الظهور مرة أخرى على ظهر السفينة.

كان هاندز راقداً كما تركته، كل الأشياء كانت معاً فى حزمة واحدة، فقد كان جفونه متدلية، كما لو أنها كانت ضعيفة جداً لدرجة أنها لا تستطيع أن تتحمل الإضاءة، نظر لأعلى حين عدت وضرب رأس زجاجة الخمر مثل رجل يفعل ذلك بصفة دائمة وأخذ جرعة كبيرة من الزجاجة فى صحته ثم رقد هادئاً قليلاً ثم سحب عوداً من التبغ وتوسل إلى أن أقطع له مضغة منه، قال لى:

- اقطع لى مضغة من ذلك، فأنا لا أملك سكيناً لذلك وصحتى ليست قادرة وكافيه، أه يا جيم أعتقد أننى فقدت قدرتى على التحمل، اقطع لى مضغة، سيكون طلبى الأخير أيها الفتى فأنا بعيد عن وطنى لمدة طويلة ولم أرتكب أى أخطاء.

قلت له:

- حسناً، سأقطع لك بعض التبغ، ولو أننى مكانك وأعتقد أننى سيئ جداً - لذهبت إلى الصلاة مثل الرجل المسيحى المتدين.

قال لى:

- لماذا.. أخبرنى الآن لماذا؟

صرخت:

- لماذا؟! لقد أفقدتنى الثقة فىك، إنك تعيش فى ذنب كبير وتكذب وقتلت، يوجد رجل قتلته ويرقد تحت أقدامك فى هذه اللحظة وتساألنى لماذا؟! لكى تطلب رحمة الرب يا سيد هاندز، لأجل ذلك أقول لك يجب أن تصلى.

تحدثت بحماس أقل، وبدأت أفكر فى الخنجر الملطخ بالدماء الذى يخفيه فى جيبه ويخطط فى أفكاره المريضة أن ينهى حياتى به ورأيته يشرب مقداراً كبيراً من الخمر ثم تحدث بوقار كبير غير معتاد قائلاً:

- لمدة ٣٠ عاماً، أجوب البحار وأرى الصالح والطالح، الأحسن والأسوأ، الطقس السيئ والجيد، نفاذ المؤن وإشهار السكاكين للقتال، حسناً والآن أقول لك إننى لا أرى شيئاً حسناً قادماً، أتخيل أن الرب سوف يعاقبنا والأموات لا يفعلون شيئاً على أى حال، وتلك رؤيتى.

وأضاف قائلاً:

- وأنت الآن ترى هنا؟

ثم تغيرت نغمة صوته قائلاً:

- لدينا ما يكفيننا من الحماقة، والمد الآن فعل أحسن ما عنده، فقط نفذ ما أقوله لك يا كابتن هوكنز، سوف نبحر في ممر بين هضبتين، والتزم بما سأقوله لك.

قال كل شيء، كان لدينا حوالي ميلين حتى نصل، لكن الملاحه كانت صعبة والمدخل إلى الشمال لم يكن ضيقاً وضحلاً فقط، ولكنه يأخذ للشرق أو الغرب، لذا واجب علينا أن نقود السفينة يدوياً كي ندخل للخليج، أعتقد أنني كنت ملازماً وتابعاً لما يقول، كنت متأكد أن هاندز ربان جيد لما فعله، فقد كنا نتحرك بهدوء ونراوغ وننتقل جيئة وذهاباً حتى دنونا واقتربنا من الضفة بشكل مؤكد ومنظم أسعدنا أن يحدث.

مررنا على بعض القمم قبل أن تحاوطنا الأرض، وشواطئ خليج الشمال كانت ممثلة بالأشجار الكثيفة مثل الشواطئ الموجودة في الجنوب، لكن المكان كان أطول وأضيق وأكثر تشابكا عند مصب النهر وتلك هي الحقيقة.

وعلى يميننا وعند النهاية الجنوبية، شاهدنا حطام سفينة في المراحل النهائية لتدميره وكانت مركبة عظيمة بثلاثة أشرعة، لكنها ترقد الآن معرضة لسوء الأحوال الجوية ومغروزة الآن بشباك عظيمة للعشب والطحلب البحري إلى حد عظيم وعلى ظهرها وضعت شجيرات الشاطئ بنورها وازدهرت بشكل كثيف بأزهارها، كان منظرها حزيناً، ولكن ذلك أوضح لنا أن المرسى كان هادئاً، قال هاندز:

- والآن انظر هناك، يوجد قطعة من الشاطئ عليها سفينة حيث الرمال المسطحة الناعمة ولا أثر لحيوان، الأشجار تحيط بها والزهور تزدهر مثل حديقة على سفينة قديمة.

استفسرت قائلاً:

- وهل نزل أحد للشاطئ، كيف نزل منها ثانية؟

قال:

- ولم ذلك؟! سنأخذ محاذاة الشاطئ هناك على الجانب الآخر فى المياه الضحلة ثم نستدير حول أحد أشجار الصنوبر الضخمة، سنأخذ لفة حول الرحوية التى ترفع الأثقال وتنتظر المد فحين تأتى لماء الأمواج العالية، يأخذ كل البحارة جرعة من الشراب وينتظرون حتى تعود الأحوال لطبيعتها وتصير جيدة، والآن عليك أن تجهز نفسك يا بنى، فقد اقتربنا من تلك الجزئية، هى فى طريقها الآن، خذ جهة الميمنة قليلاً ولكن أكثر ثباتاً.

ثم أعطى هاندز أوامره التى أطعتها دون أى نفس حتى انفجر فجأة قائلاً:

- والآن يا عزيزى ستدير المركب نحو الريح.

وبدأت فى رفع الدفة وبدأت السفينة هيسبنيولا تتأرجح بسرعة وتتحرك نحو الشاطئ الشجرى المنخفض، كانت تلك الإثارة للمناورة الأخيرة تصادمت لحد ما مع المراقبة التى ظلت أحافظ عليها حتى تلك اللحظة لهاندز الملاح وبشكل حاد وكاف، حتى وأنا ما زلت مهتماً بعملى للوصول للشاطئ ومنتظراً السفينة أن تصل لبر الأمان، كنت أنسى أحياناً الخطر الذى يطوق رقبتي وأفق كى أرفع الحواجز تجاه الميمنة وأراقب التمرجات تنتشر بشكل واسع قبل المقدمة، ربما أسقط دون أى كفاح لحياتى التى صارت قلقاً مفاجئاً سيطر علىّ وجعلنى أحول رأسى وأغير أفكارى، ربما سمعت صريراً أو شاهدت ظله يتحرك بطرف عيني، ربما كان ذلك غريزة فى مثل حرص القطط ولكنها كانت تتأكد بشكل زائد، فحين نظرت حولى كان فى منتصف الطريق إلىّ ممسكاً خنجره فى يده اليمنى.

صرخ كل واحد منا حين التقت عين كل واحد منا بالآخر، لكن كانت صرختى صرخة رعب صاخبة، وكانت صرخته زئير غضب شديد مثل الثور الهائج، فى نفس الوقت قذف بنفسه للأمام وقفز فى كل جانب حتى وصلت للأمام وفعل نفس الشيء، وصلت إلى ذراع المقود الذى قفز بحدة إلى الجهة التى تهب فيها الريح وأعتقد أن ذلك أنقذ حياتى، فقد ضربه ذلك فى صدره وأوقفه للحظة.

وقبل أن يتعافى كنت فى أمان خارج الركن الذى حاصرني فيه وراوغته حتى وصلت للشرع الرئيسى وتوقفت وسحبت المسدس من جيبي، وصار هدفاً بارداً لى على الرغم من أنه استدار واتجه إلى مباشرة، سحبت زناد المسدس لكنى لم أسمع صوتاً له ولم أن أى نار خارجة منه، لقد كانت فتيلته بلا فائدة بفعل ماء البحر، لعنت نفسى بسبب إهمالى، لماذا لم أعد تشحيمة وصيانتته منذ وقت بعيد وتعميره بالذخيرة، فهو سلاحى الوحيد، لم أكن فى حاجة إليه، أى لحظة مثل الآن، صرت مثل خروف هارب من الجزار قبل الذبح.

رغم أنه كان مجروحاً، فإنه كان يتحرك بسرعة بشكل رائع وشعره الرمادى منتشر على وجهه. الذى احمر مثل راية البحرية البريطانية ويفعل السرعة والغضب، لم يكن لدى وقت كى أجرب المسدس الآخر، فلم يكن لدى رغبة أو ميل كبير لفعل ذلك لأننى كنت متأكداً أنه بلا فائدة، شىء واحد رأيته ببساطه وهو يجب ألا أترجع أمامه، لأنه سوف يقبض على عند المجدافين الأماميين وبعد لحظة كنت على وشك أن يقبض على فى المؤخرة، كنت على بعد تسع أو عشر خطوات من الخنجر الملطخ بالدم الذى سيكون آخر خبرتى على هذا الجانب من الحياة، وضعت راحة يدي على الشرع الكبير الذى كان ضخماً، وانتظرت لحظة الشجاعة وبأعصاب قوية فى تلك المسافة.

رأيت أنه يجب أن أراوغ وتوقف للحظة ومرت لحظة أو لحظتين منتظراً هجومه المخادع من جانبه وتحركات مماثلة من جانبي، لقد كان ما يحدث مثل لعبة لعبتها فى المنزل عن صخور خليج هل الأسود، لكن عليكم أن تتأكدوا أن قلبى يدق بسرعة وخوف كما لم يحدث من قبل، وما زلت أقول لنفسى أنها مطاردة بين شاب صغير فى مقابل بحار عجوز جريح وبدأت شجاعتى تزداد وترتفع عالياً لدرجة أننى سمحت لنفسى بقليل من الأفكار المتدفقة حتى أستطيع أن أنهى هذا الأمر، فيما كنت أرى أننى بالتأكيد أستطيع أن أستدير بسرعة لمسافة أطول، كنت أرى أنه لا أمل فى هروب نهائى ومطلق.

وبينما كانت الأحوال على ما هي، فجأة ترنحت السفينة هيسبنيولا وغرزت في الرمال وبسرعة كائنها هبة ريح وبحركة مفاجئة مالت السفينة على جانبها حتى إن السطح صار على درجة ٤٥ درجة ميلاً حتى إن العمود الخشبي لمقياس الماء سقط في بالوعة السفينة في الحوض بين السطح والحصن.

انقلبنا معاً في ثانية وكلانا تدحرج، تقريباً معاً، في بالوعات السفينة، كان صاحب القبة الحمراء الميت ما زال ممدداً فارداً ذراعيه وسقط متصلباً بعدنا، كنا قريبين من بعضنا البعض وكانت رأسى في مقابل قدم الربان وحين اصطدمت بها أحدث ذلك احتكاك في أسناني، نهضت قبل هاندز مرة أخرى وسبقته، وبالنسبة لهاندز كان متورطاً مع الجسد الميت، أحدث السقوط المفاجئ للسفينة حالة جعلت سطح السفينة غير معدة للجرى عليها، اضطرت أن أجد طرقاً جديدة للهروب، وبالنسبة لعدوى كان على وشك أن يلمنى فأسرعت قدر استطاعتي وقفزت إلى الصارى الأقرب لمؤخرة السفينة وواصلت الصعود بسرعة على يدي ولم أأخذ نفسى حتى استقرت على منصة الصارى، أنقذت بسبب سرعتي ويقظتي، كان الخنجر على بعد لم يزد على نصف قدم تحتى وأنا أوصل الهروب لأعلى، وهناك وقف هاندز فاتحاً فمه ووجهه تغير فى مواجهتى، كان به حالة كاملة من الدهشة والإحباط.

صار لدى الآن لحظة كى أخذ نفساً، لم أضيع وقتاً فى تغيير فتيل المسدس، صار معى أحدهما جاهزاً للعمل وتأكدت من ذلك أكثر من مرة، بدأت أسحب النخيرة من الآخر وأعاود تعمير الجديد بالنخيرة الجديدة من البداية، كان استعمالى الجديد للمسدس صدم هاندز بدرجة كبيرة، بدأ يرى أن الموقف أصبح ضده الآن، وبعد تردد واضح سحب نفسه بثقال إلى حبال الصارى حاملاً الخنجر بين أسنانه وبدأ بهدوء ويألم يقف وكلفه ذلك ألماً كبيرة كى يسحب ساقه المجروحة وراءه وأخذ وقتاً طويلاً استطعت أن أنهى كل الترتيبات قبل أن يكون على بعد ثلثي المسافة للصعود إلى، فقلت له وببيدى المسدس فى اليد الأخرى:

- خطوة واحدة أخرى وسوف أخرج مخك من رأسك، والأموات لا يعضون وأنت تعرف ذلك جيداً وضحكت ضحكة مكتومة.

توقف هاندز بثبات، رأيت من خلال تعبيرات وجهه أنه يحاول أن يفكر، كانت العملية بطيئة، شعرت بحالة من الأمن الموجود حديثاً، ضحكت بصوت عال، أخيراً تحدث بازدياد، كان وجهه ما زال يرتدى تعبيرات الحيرة الشديدة، لكي يتحدث، اضطر أن يأخذ الخنجر من فمه ولكنه ظل ساكناً بلا حركة.



خطوة أخرى يا سيد هاندز وسوف أفجر مخك

قال هاندز:

- جيم، أعتقد أن كلانا مخطئ، أنا وأنت، فقد كنا على وشك أن نتفق وأنا كنت معك لكن تمايل السفينة هو الذى فعل ذلك، لست محظوظاً وأعتقد أنني سوف أتوقف عن العمل، فما سيأتى سيكون صعباً، كما ترى بالنسبة لملاح عجوز بالمقارنة لبحار شاب مثلك يا جيم.

كنت أبلغ كلماته وابتسم سعيداً، كنت مغروراً مثل الديك الواقف على جدار وفى نفس واحد، أعاد للخلف يده اليمنى فوق كتفه، وسمعت شيئاً يغنى مثل سهم فى الهواء، سمعت بانفجار ثم ألم مفاجئ حاد ثم التصقت من كتفى فى الصارى، خلال هذا الألم البشع واللحظة المدهشة، أستطيع أن أقول إن ذلك كان بإرادتى، كنت متأكداً أن ذلك حدث دون وعى، كلاً من مسدسى انطلقا وسقطا بعيداً من يدي، لم يسقطا بمفردهما، فبصرخة مختنقة فقد البحار هاندز قدرته على الإمساك بحبال الصارى وسقطت رأسه بشكل مباشر إلى الماء.

٢٧ - عملة الثمانى (*)

بسبب الحركة المفاجئة للمركبة، صارت صواري المركب بعيدة فوق الماء ومن مقعدى فوق منصة الصارى رأيت لا شىء تحت إلا سطح الخليج حيث هاندز الذى لم يكن بعيداً وكان فى وضع أقرب إلى السفينة، فقد كان سقوطه بينى وبين الحواجز، وقد صعد إلى السطح مرة فى إحدى رغوات الزيت والماء ثم غرق مرة أخرى لحسن الحظ.

ولأن الماء كان مستقراً هادئاً فقد استطعت أن أراه راقداً مستقراً على الرمل الناعم النظيف فى ظل جوانب المركب، وقد مرت بجوار جسده سمكة أو اثنتان وأحياناً حين يرتعش الماء يظهر أنه قد تحرك قليلاً كما لو كان يحاول أن يصعد مرة أخرى ولكنه كان ميتاً تماماً، فقد كان مقتولاً بالرصاص وغارقاً وطعاماً للسماك فى هذا المكان حيث خطط أن يكون ذابحى.

لم أكد أتأكد من ذلك حتى بدأت أشعر بالتعب والإغماء والرعب، فقد كان الدم الساخن يتدفق من ظهري وصدرى، يبدو أن الخنجر الذى دبس كتفى فى الصارى يبدو أنه حرقنى مثل قطعة حديد ساخنة، وعلى الرغم من ذلك لم تكن تلك المعاناه الحقيقية الكبيرة التى تؤلنى، فإننى أستطيع أن أتحملة بدون تذمر، لكن الرعب بالنسبة لى أن أسقط من فوق منصة الصارى إلى هذا الماء الضحل الأخضر بجوار جسد الملاح هاندز.

تشبثت بكلتا يدي جيداً حتى تأملت أظافرى وأغلقت عيني وكأئننى أتخطى وأعطى الخطر، وتدرجياً عاد إلى ذهنى وعاد نبضى إلى معدلات طبيعية وعدت مرة أخرى

(*) بيزو إسباني قديم يساوى ٨ ريالات.

إلى نفسى، وكانت فكرتى الأولى أن أقتلع الخنجر حتى ولو كان مغروراً جداً، وحتى لو أن أعصابى خانتنى، فإننى خلعت برعشة عنيفة وبشكل غريب، قامت تلك الرعشة الشديدة بهذا الفعل فى الحقيقة، كانت السكينة قريبة جداً منى وكادت تقتلنى، لكن لم يصبنى منها إلا مثل قرصة بسيطة فى جلدى ثم غادرتنى هذه الرعشة بسرعة، سقط الدم أسفل بسرعة، صرت سيد نفسى مرة أخرى على السفينة وثبت فقط صارى السفينة بواسطة معطفى وقميصى.

وأخيراً اخترقت بواسطة هزة عنيفة، واستعدت سطح السفينة مرة أخرى من خلال الأشرعة التى بالمينة، فلا شئ فى العالم يستحق أن أغامر لأجله مرة أخرى وأهتز كما كنت وأسقط من فوق الأشرعة المعلقة التى سقط من عليها أخيراً هانداً.

ذهبت إلى أسفل وفعلت ما أستطيع أن أفعله من أجل الجرح الذى كان يؤلنى رغم تعاملى معه جيداً، ما زال ينزف بشكل متصل ولكنه لم يكن عميقاً أو خطيراً ولم يكن يغيظنى بشكل كبير حين أستخدم ذراعى ونظرت حولى على السفينة وبإحساس بداخلى اتخذت قراراً وبدأت أفكر فى تنظيف السفينة وإخلاؤها من الراكب الأخير، البحار الميت "أوبراين" الذى غاص كما قلت فى مقابل الحواجز، حيث يرقد مثل دمىة بشعة ومربعة لكنها فى حجم إنسان حقاً، لكن لونها يختلف تماماً عن اللون اللاتق للإنسان الحى، ففى هذا المكان كنت أستطيع أن أجد طريقى معه، وكعادة كل المغامرين التراجيديين مزقت كل رعبى من الموت وحملته من وسطه وكأنه جوال من الردة والنخالة، وبهمة واحدة جيدة رميت به فى البحر، غطس فى البحر غطسة لها صوت، لقد خلع الكاب الأحمر وظل عائماً على سطح البحر، وبمجرد أن هدأت الطرشة استطعت أن أراه قائماً إلى جنب إسرائيل، كلاهما يتحرك مع حركة الماء.

ما زلت أعتقد أن أوبراين شاب جرىء إلى حد ما، فهناك يرقد بهذه الرأس الصلعاء بين ركبتى الرجل الذى قتله والسماك السريع الحركة يتخذ سبيله فوقهم جيئة وذهاباً، فأنا الآن وحيداً على ظهر السفينة والد تحول من لحظة، وما زالت الشمس على درجات قليلة من وضعها لدرجة أن ظل أشجار البلوط على الشاطئ الغربى بدأت تصل يميناً عبر المرسى وتسقط نماذج لها على سطح المركب.

بدأ نسيم الماء يزيد، وعلى الرغم من أنه يصد من التل الذي له قمتان فى الشرق فإن حبال السفينة بدأت تغنى برقة وهدوء لنفسها وبدأت أشرعتها الكسولة تهتز جينة وذهاباً.

بدأت أرى خطراً على السفينة والأشرعة الأمامية للسفينة تغطس بثبات وتسقط على سطح السفينة، لكن الشراع الرئيسى كان فى وضع أصعب بالطبع، حين تحركت السفينة حركة مفاجئة تمرجح ذراع التطويل فى السفينة خارجها، اهتزت قمة السفينة وقاعدتها واثنان من الأشرعة تعلقتا وصارتا تحت الماء، أعتقد أن ذلك جعلها أكثر خطورة وعلى الرغم من الضغط الذى كان ثقیلاً جداً لدرجة أنني خفت بشدة أن أتدخل.

أخيراً حصلت على سكينتى وقطعت حبل الراية، سقطت القمة بثبات وطفئت وقماش الأشرعة المفكوك على سطح الماء، ومنذ ذلك كنت أسحب كما أحب، لكنى لم أستطع أن أترشح عن الصالة السفلية التى كانت المدى الذى أستطيع أن أنجزه وأتحرك فيه ويتبقى أن تجد سفينة هيسبنيولا حظاً كما وجدت أنا.

قبل هذا الوقت أصبح كل المرسى فى الظل، كانت آخر أشعة تذكرتها سقطت فى أرض فضاء فى الغابة وأشرقت مثل الجواهر على عباءة مزدهرة لحطام السفينة، بدأت تتحرك وترتعش، كان المد يتحرك كحظة عابرة نحو البحر، استقرت السفينة أكثر وأكثر على جانبها(*).

تسلقت للأمام ونظرت أتفحص الأمر، كان المكان يبدو ضحلاً وحملت حبل الهوسر الضخم المقطوع فى كلتا يدي من أجل الحائط الأخير للأمن، تركت نفسى بعدها أسقط برقة فى البحر، لم يصل الماء إلى منتصفى تقريباً، كان الرمل ثابتاً ومغطى بعلامات التموج، خضت ناحية الشاطئ بروح معنوية عالية تاركاً هيسبنيولا مستقرة على جانبها وشراعتها الرئيسى منتشر على سطح ماء الخليج، فى نفس الوقت بدأت الشمس تغرب وبدأ النسيم يصفر بصوت منخفض فى الغسق بين أشجار البلوط المتساقطة.

(*) تميل السفينة بشكل خطر بدرجة ٩٠ على جانبها.

على الأقل وأخيراً صرت خارج البحر، ولم أعد من ثم خالى اليدين، فهناك السفينة موجودة خالية أخيراً من القراصنة وجاهزة لرجالنا كي يعبروا بها ويذهبوا إلى البحر مرة ثانية، لم يأت لخيالى شئ أكثر من العودة إلى بيتى مرة أخرى في الحصن وأتفاخر كثيراً بإنجازاتي، ومن الممكن أن يلام على قليلا لهروبى من أداء الواجب ولكن إعادة السيطرة على السفينة هيسبنيولا هى الإجابة الحاسمة التى سوف تقف معى، أتمنى أن يعترف الكابتن سموليت أننى لم أضع الوقت هباء.

ويعد تفكير عميق وبروح معنوية عالية بدأت أتجه نحو موطنى فى الحصن وأصدقائى، وبدأت أتذكر أن أغلب الأنهار الشرقية تنحدر من مرفأ الكابتن " كيد " من التل العالى ذى القمتين على يسارى، فأخذت طريقى فى هذا الاتجاه الذى ربما أمر فيه على مجرى مائى كان صغيراً، كانت الغابة مفتوحة بشكل جيد وواصلت المسير عبر التواءات المنخفضة.

استدرت إلى ركن من هذا التل وخضت حتى منتصف ساقى عبر المجرى المائى، أخذنى هذا الطريق إلى حيث قابلت مصادفة بن جن الشخص الذى ترك على الجزيرة وسرت فى طريقى أكثر حذراً واضعاً عينى على كل جانب، صار الغسق قريباً تماماً، أخذت الشق الذى بين القمتين، صرت مدركاً للوهج المرتعش فى السماء حيث قررت أن رجل الجزيرة يطبخ عشاءه مستخدماً تلك النار المتوهجة، وتساءلت قى قلبى، ألم ير نفسه أكثر إهمالاً لأنه إذا كنت قد استطعت رؤية هذا الشعاع، ألا يصل هذا الشعاع لعين سيلفر نفسه الذى يعسكر على الشاطئ بين الأهوار!!

بدأ الليل يهبط تدريجياً مظلماً، كان ذلك كل ما استطعت فعله كي أرشد نفسى حتى ولو بشكل قاس تجاه المكان الذى أقصده، كان الجبل المزبوج خلفى وجبل النظارة المكبرة على يمينى يظهر أكثر شحوباً والنجوم كانت قليلة وشاحبة وفى الأرض المنخفضة التى أنجول فيها صرت أسير برشاقة بين الشجيرات وأتدحرج فى الحفر الرملية.

فجأة نوع من الضوء سقط على، نظرت لأعلى حيث كان شعاع شاحب من أشعة القمر قد أشرق على قمة الجبل، تم رأيت بعد ذلك شيئاً واسعاً وفضياً يتحرك لأسفل

خلف الأشجار، عرفت أن القمر قد أشرق، بمساعدة ذلك استطعت أن أمر بسرعة فيما تبقى من رحلتى، كنت أمشى أحياناً وأجرى أحياناً أخرى ويعجلة اقتربت من الحصن، مع ذلك بدأت أشق طريقى فى البستان المجاور للحصن، لم أكن بلا فكر ولكنى قلت من سرعتى وذهبت ببطء وحذر، خوفاً أن تكون نهاية مغامرتى طلقاً نارياً من أحد أصدقائى بدون قصد.

كان القمر يتسلق أعلى وأعلى، وضوؤه بدأ يسقط هنا وهناك بكميات خلال المناطق المفتوحة من الغابة وعلى يمينى رأيت وهجاً لألوان مختلفة ظهرت بين الأشجار، كانت حمراء وحارة ومن وقت لآخر كانت تسود، يبدو أنها جنوة نار لموقد، من أجل حياتى لم أفكر ماذا تكون.

أخيراً وصلت إلى حدود المكان، كان الغروب قد غمس فى أشعة القمر والحصن نفسه ما زال راقداً فى ظل أسود يبحث عنه بأشعة فضية طويلة للضوء وكان على الجانب الآخر للحصن نار ضخمة تحرق نفسها إلى جنوة واضحة وكوخ مستقر هناك وانعكاس أحمر يتقابل بقوة مع شحوب ناعم للقمر، لم يكن هناك أى روح تثور ولا أى صوت بجانب ضوضاء النسيم.

توقفت وكثيراً من الدهشة تملأ قلبى، وربما قليل من الرعب، لم تكن تلك طريقتنا فى عمل نار ضخمة، كنا حقاً شحيحي استخدام لخشب النار طبقاً لأوامر الكابتن.

بدأت أخاف أن يكون شىء قد حدث خطأ أثناء غيابى، انحدرت حول الحصن قبل الشروق، وظلت قريباً فى الظلمة واخترت مكاناً مناسباً، وحيث إن الظلام كان كثيفاً فقد عبرت السياج الذى كان حول الحصن، ولكى أكون متأكداً أكثر زحفت على يدي وركبتى دون أى صوت تجاه أحد أركان المنزل، وكلما اقتربت أكثر أضاء قلبى فجأة وبشكل كبير، لم تكن ضوضاء سعيدة على أى حال، وكم غالباً اشتكيت منها بعد ذلك فى أوقات أخرى، كانت تلك مثل الموسيقى التى يسمعها أصدقائى كشخير معاً بصوت عال وأمن فى نومهم، لم أسمع صرخة البحر الجميلة للمراقب "كله تمام" كى تؤكد ذلك على مسامعى أن كل شىء تمام، وأثناء ذلك لم يكن هناك شك فى شىء واحد وهو أنهم يحرسون المكان بطريقة سيئة، فلو أن سيلفر وشبابه موجودون لرحفوا عليهم الآن،

ولم نعد نرى أى روح مع طلوع الفجر، هذا ما كنت أفكر فيه أن يكون الكابتن قد جرح ومرة أخرى قد لمت نفسي بحدة لتركهم فى هذا الخطر مع عددهم القليل جداً لتولى الحراسة.

وقبل هذا الوقت، ذهبت إلى الباب ووقفت، كان كل شيء مظلماً بداخله حتى إننى لم أستطع أن أميز شيئاً بعينى وبالنسبة للأصوات كان هناك أزيز مستمر لشخير بعض النائمين وضوضاء مناسبة للأمر، كنت أحاول أن أتسسس طريقى، كنت أسير على ذراعى بثبات، قلت لنفسى وأنا أضحك ضحكة مكتومة، لم لا أنام فى مكانى هنا وأستمتع بوجودهم حين يجدونى فى الصباح، ضربت قدمى شيئاً ما كان موجوداً فى الطريق، كان ساق أحد النائمين فاستدار وتآلم لكن بدون أن يتيقظ ثم فجأة سمعنا صوت صراخ قوى شق الظلام قائلاً:

- عملة الثمانى، عملة الثمانى، عملة الثمانى!!

واستمر دون أن يتوقف أو يتغير مثل طقطقة طاحونة صغيرة، كان ببغاء سيلفر الأخضر وكابتن فلنت، كان هو الذى سمعته ينقر على قطعة الخشب، إنه كان أحسن حارس وأحسن من أى كائن حى، هو الذى أعلن عن وصولى بتكراره ولازمته المملة.

لم يكن لدى أى وقت لفعل شيء، فصوت الببغاء بنغمته الحادة الناقرة أيقظت النائمين فقاموا وبصوت حاسم كأنه يحلف يميناً، قال سيلفر:

- من يتحرك؟!

حاولت أن أهرب وضربت بعنف شخصاً ما، ارتددت وسقطت بين أنزع أحد الرجال فى ثانية، أطبق على بشدة وطوقنى تماماً، قال سيلفر حين أكد الشخص الذى أسرنى إمساكه لى:

- أحضر كشافاً يا ديك!!

فغادر أحد الرجال المكان وأحضر بسرعة جمرة مضيئة.

الجزء السادس
(قبطان سيلفر)

٢٨- فى معسكر الأعداء

كان الضوء الأحمر للمصباح يضىء مدخل الحصن، يرينى أسوأ مكان لاعتقالى أدركته، كان القراصنة قد احتلوا المنزل والمخازن حيث يوجد برميل للكونياك ولحم الخنزير والخبز، وما زاد وضاعف عشرات المرات خوفى أننى لم أجد أثراً للأسير، خمنت أن الجميع قد هلك لا محالة، وبدأ قلبى يدق بعنف ومرارة لأننى لم أكن موجوداً كى أهلك معهم.

كان موجود ستة من القراصنة، ولم أجد أحداً من أصدقائى بينهم على قيد الحياة، كان خمسة منهم واقفين على أقدامهم هائجين ومثارين ومنتفخين، وفجأة استيقظوا من نومهم بسبب الشرب، والسادس وقف على كومة وكان شاحباً جداً ولقافة ملوثة بالدماء حول رأسه، أخبرنى أنه مجروح حديثاً وما زال يعالج، لقد تذكرت الرجل الذى أطلق عليه النار وهرب عائداً مرة أخرى بين الأشجار فى الهجوم الكبير ولم أشك أنه قد يكون هو.

ما زال الببغاء يقف متأنقاً فارداً ريشه على كتف لونج جون، هو نفسه - جون - يبدو إلى حد ما شاحباً وأكثر قسوة وصرامة عما اعتدت أن أراه، ما زال يرتدى بذلته الجميلة الفضفاضة كما لو أنه قد أنجز مهمته ورسالته، لكنها كانت الأسوأ لارتدائها لأنها قد لوثت بالطين ومزقت بواسطة الورد البرى الموجود فى الغابة.

قال سيلفر:

- إنه جيم هوكنز.

ارتعشت أضلاعى.

- جاء لزيارتى فجأة، أهلاً به، سأستقبل ذلك بود شديد.

ثم جلس على برميل البراندى وبدأ يملأ الباب بالتبغ، وقال:

- أعطنى جنوة للتواصل يا ديك.

وحين حصل على ضوء جيد أضاف قائلاً:

- سأفعل ذلك يا فتى، سأتب هذا فى كومة الخشب وأنت أيها الشاب، تعال هنا، لستم مضطرين أن تقفوا لأجل السيد هوكنز، فسوف يعتذر لكم وأرجو أن تركنوا لذلك وتتقبلوه.

ثم توقف عن شرب التبغ وأضاف:

- جيم هنا حيث أنتم تكونون، ويالها من مفاجأة كبيرة للعجوز الفقير الضعيف جون، لقد عرفتكم ورأيتمك ذكياً، عندما وقعت عينى عليك لأول مرة، لكنك هنا قد ذهبت بعيداً عنى ولم تفعل شيئاً ضدنا وهذا حدث.

ولم أعط أى إجابة رغم كل ما حدث ووضعونى وظهروا إلى الحائط، وقفت هناك أنظر إلى وجه سيلفر بشجاعة وبسالة كافيتين، كان لدى أمل فى الظهور الجسدى للجميع لكن كان هناك أسى أسود موجود فى قلبى.

أخذ سيلفر نفخة أو نفختين من الباب بهدوء كبير ثم استمر فى الحديث مرة أخرى قائلاً:

- والآن كما ترى يا جيم أنك هنا معتاد أن أعزرك دائماً أحبك وأحب روح الشباب التى لديك، وتذكرنى دائماً بنفسى عندما كنت شاباً وسيماً مثلك، كنت دائماً أود أن تنضم إلينا وتشاركنا، والآن يا فتى العزيز تستطيع أن تختار أن تكون معنا.

ورغم أن الكابتن سموليت كان جيداً كما كنت أقول وأعترف، فإنه كان صارماً فى نظامه "النظام نظام، لا يصح إلا الصحيح" كما كان يقول دائماً وقد كان محقاً فيما يقول، وقد تخليت أنت عن الكابتن ويعتقد الدكتور ليفزى أنك مت، وأكد أنه لم يتلق منك إلا "شكر الأنذال" وهذا ما قاله، والقصة كلها بطولها وعرضها هنا، ولن تستطيع أن ترجع إليهم، كما أنهم لن يحصلوا عليك ويدونك بدءوا صحبة ثلاثية جديدة لسفينة، وإذا أردت فعليك أن تبدأ بمفردك وأعتقد أنك سوف تنضم إلى الكابتن سيلفر.

عرفت أن أصدقائي بعيدون وفى خير وأنهم على قيد الحياة، وبالرغم من أننى صدقت ما قاله سيلفر من أن مجموعة الرئاسة بالسفينة - الكابتن والدكتور والعمدة - غضبانة منى لأننى هجرتهم فإننى كنت مرتاحاً أكثر من الحزن لما سمعت أنهم بخير، واستمر سيلفر قائلاً:

- لم أقل شيئاً مثل أنك الآن فى أيدينا، وبالرغم من أنك هناك مع الجانب الآخر فإنك ربما تذهب إليهم لو أردت، أنا مع المناقشة والجدال ولا أرى شيئاً جيداً يأتى من التهديد، لو أردت أن تخدم فسوف تنضم إلينا، وإذا لم ترد يا جيم فأنت حر أن تقول لا، فأنت حر ومرحب بك كزميل فى السفينة ولو شئ عادل قليل بواسطة بحار هالك فأنا مسئول عنه بكل جوانحي.

قلت له بصوت مرتعش:

- أيجب أن أرد الآن؟

فقول هذا الحديث الحقيق جعلنى أشعر بالتهديد بالموت الذى يتوعدنى، وأحسست بخدودى تحترق وقلبى يضرب بعنف داخل صدرى، قال سيلفر:

- لا أحد يضغط عليك أيها الفتى، خذ قرارك كما تريد وإن يؤذيك أحد يا زميلى، فكما ترى أن الوقت يمر سعيداً فى صحبتك.

قلت وأنا أزداد جرأة:

- حسناً، ما دام لدى الفرصة لكى أختار، فأنا أعلن أن من حقى أن أعرف بعض الأشياء، لماذا أنتم هنا وأين أصحابي؟

صرخ واحد من القراصنة بصوت متذمر عميق قائلاً:

- ماذا.. ماذا؟ ستكون آخر المحظوظين إذا عرفت ذلك!

صرخ سيلفر إلى هذا المتحدث قائلاً:

- هل من الممكن أن تتحسس كلامك حين نتحدث مع صديقى.

ثم تحدث بنغمة صوت رؤوف وأجاب قائلاً:

- صباح الأمس يا سيد هوكنز وأثناء المراقبة جاء الدكتور ليفزى حاملاً راية الاستسلام وقال لى: لقد خنت زملاءك، والسفينة قد ضاعت، حسناً، هل من الممكن أن نشرب كأساً معاً ونسمع لأغنية لعلها تساعدنا أن تعود، لم أقل له لا، وعلى أى الأحوال لم ينظر أحد منا للخارج وبسبب العاصفة ضاعت منا السفينة! لم أر أى أحد من الأغبياء مثل الصياد، ويجب أن تخضع لذلك.

قال الدكتور:

- حسناً، دعنا نعقد صفقة.

وعقدنا صفقة أنا وهو، ولذا نحن هنا ومعنا المخازن والبراندى والحصن والخطب المعد للتدفئة الذى تستطيع أن تصنع منه ما تشاء وبالنسبة لهم فهم الآن متشردون ولا أعرف أين طريقهم، ثم سحب نفساً من الباب بهوء وقال:

- يجب أن تضع ذلك فى رأسك وأنت دخلت ضمن تلك المعاهدة وتلك آخر كلمة أقولها لك.

قلت له:

- وكم عدديكم حتى أغادركم؟!

قال:

- أربعة، أربعة وواحد منا مجروح وبالنسبة لهذا الولد لا أعرف أين يكون، فقد حيرنى، وأنا لا أهتم كثيراً، لقد مللنا وتعبنا منه وكان تلك كلماته.

سألكه:

- هل هذا كل شيء؟!

أعاد سيلفر قائلاً:

- حسناً، هذا كل ما يجب أن تسمعه يا بنى.

قلت له:

- والآن يجب أن أختار.

قال سيلفر:

- نعم والآن يجب عليك أن تختار وأن تقرر ذلك.

قلت:

- حسناً.. أنا لست أحمق وأعرف ماذا أبحث عنه، ودع الأسوأ يأتي كما يشاء، فأنا لا أهتم كثيراً بالموت، لقد رأيت الموت كثيراً منذ أن التحقت بكم، لكن يوجد شيء أو شيئان أود أن أقولهما - وكنت مثاراً قبل هذا الوقت جداً - وأول شيء هو أنك هنا في موقف سيئ وقد فقدت السفينة وفقدت الكنز وفقدت الرجال وكل أعمالك قد ذهبت وحطمت وإذا أردت أن تعرف من فعل ذلك فإنه أنا، كنت في برميل التفاح حين سمعتك يا جون ومعك ديك جونسون وهاندز الذي يسكن الآن قاع البحر، وقلت لهم كل كلمة قلتها بعدها بساعة، وبالنسبة للسفينة فأنا الذي قطعت حبل الكابل الخاص بها، وأنا الذي قتلت الرجال الذين كانوا عليها وأنا الذي أحضرتها من مكانها إلى مكان آخر حيث لن يراها بعد ذلك أي واحد منكم، والأمر معي الآن وأنا الذي فعلت قمة هذا العمل منذ البداية وأنا لا أخاف منك أكثر من خوفاً من ذبابة، اقتلني إذا أردت لو سمحت أو احتفظ بي أو لا تحتفظ بي ولكني سأقول لك شيئاً واحداً لا أكثر، فالماضي هو الماضي، فحين تمثل أنت في المحكمة متهماً بالقرصنة، سأحاول أن أنقذك قدر الإمكان، ولك الآن أن تختار، اقتل واحداً آخر ولا تفعل شيئاً جيداً لنفسك، أو احتفظ واضمن شهادتي لكي أنقذك من حبل المشنقة.

توقفت، فقد كنت مقطوع النفس، ولدهشتي لم يتحرك أي من الرجال، ولكن الجميع ظل ينظر إلى مثل كثير من الخراف، بدأت مرة أخرى أثناء نظرمهم إلى قائلاً:

- والآن يا سيد سيلفر أعتقد أنك أفضل رجل هنا وإذا سار الأمر للأسوأ وقُلت، أرجو أن تبلغ الدكتور بما قلته لك وبما فعلت.

قال سيلفر بلهجة لم أستطع تحديدها هل هو يسخر مني أم أنه متأثر بما قلت
وبشجاعتى:

- سأتحمل ذلك وسأحتفظ به فى عقلى.

صرخ أحد البحارة أصحاب الوجوه المهاجونية قائلاً:

- لا بد أن يأخذ عقابه.

كان مورجان الذى رأيته فى منزل لونج جون على أرصفة برستول، إنه الشخص
المعروف عنه بالكلب الأسود، وأضاف الطباخ قائلاً:

- حسناً، انظر هنا، سأضع شيئاً آخر إلى هذا بالقوة، إنه نفس الولد الذى زيف
الخريطة من بيلى بونز، فأولاً وأخيراً فقد انقسمنا حول جيم هوكنز.

ثم قال مورجان بحسم:

- فليذهب إلى الجحيم!

ثم وقف واستل سيفه وكأته ابن العشرين، صرخ سيلفر قائلاً:

- قف مكانك! من أنت يا توم مورجان، هل تعتقد أنك صرت الكابتن هنا؟! وبالقوة
سوف أعلمك أن تكون أفضل، لا تغضبني وإلا أرسلتك حيث أرسلت من هم أفضل منك
خلال الثلاثين سنة الأخيرة، البعض فى المقابر والبعض فى البحر والجميع كان طعاماً
للأسماك، لم ينظر لى أى رجل نظرة مسيئة ورأى يوماً جيداً بعد ذلك، يا توم مورجان،
احتمال أن تصير إلى نفس الأمر.

توقف مورجان لكن التذمر الشديد ارتفع من الآخرين وقال أحدهم:

- توم على حق.

وأضاف الآخر:

- اشنق أفضل من السخرية منى وإجبارى على شيء يا جون سيلفر.

وزأر سيلفر قائلاً:

- وهل يريد أحد منكم أيها الرجال أن يعفينى من تلك المسئولية؟!

ثم انحنى بعيداً عن مكانه على البرميل، والباب ما زال مضاًءً في يده اليمنى

- اختاروا الاسم الذي تريده فأنتم لسبتم خرساً، فالذى يود أن يصير قائداً مجرد صبي يوزع كؤوس شراب الروم، فكيف له أن يقود السفينة إلى البر، أنا لم أعش هذه السنوات هباءً، أنتم تعرفون الطريق جيداً، أنتم رجال الكنز، حسناً، أنا الآن جاهز لأى أحد، خذ سيفك ومن يجرؤ على أن يصارعنى سوف يرى لون بطنه بهذا العكان، وأنتم جميعاً، وقبل أن ينتهى هذا الباب.

لم يثر أى رجل ولم يرد عليه أى أحد، وأضاف قائلاً:

- تلك طريقتك، أليس كذلك؟!

وأعاد الباب مرة أخرى إلى فمه وقال:

- حسناً، أنت مجرد ولد مستهتر كى تتطلع لذلك وعلى أى حال أنت لا تستحق أن تُقتل، أليس كذلك؟ من المحتمل أن تفهم إنجليزية الملك جورج، أنا الكابتن هنا بواسطة الانتخابات، أنا الكابتن هنا لأننى أفضل بحار موجود هنا، أنت لم تحارب مثل ما يجب أن يفعل رجال الكنز، بالقوة، أنت سوف تطيع وسوف تخضع لذلك، أنا أحب هذا الولد الآن، ولم أر ولداً أفضل من هذا، هو أكثر رجولة من أى زوج فئران هنا فى هذا المنزل وهذا ما أقوله لكم ودعونى أرى من سيضع يده عليه، وهذا آخر ما أقوله لكم ويجب عليكم أن تلتزموا به.

كان هناك توقف طويل بعد هذا الحوار، وقفت ثابتاً أمام الحائط وقلبى ما زال يدق بسرعة وعنف، وبالرغم من ذلك انطلق شعاع من الأمل أشرق فى صدرى، انحنى سيلفر للخلف إلى الحائط والباب ما زال موجوداً فى طرف فمه، هادئاً كما لو كان فى الكنيسة، ولكن عينيه ما زالتا تتجولان وتراقبان بمكر وتتعبقان زملاءه العنيدين.

ثم سحبوا أنفسهم تدريجياً إلى الطرق البعيدة للحصن وبدءوا يتشاورون، كان الهسيس المنخفض لهمسهم مسموعاً فى أذنى باستمرار مثل جبول مائى، كان واحداً بعد الآخر يحاول أن يرفع بصره عالياً، كان الضوء الأحمر للمصباح يسقط لثانية على

وجوههم الغاضبة، لكن ذلك لم يكن تجاهى ولكنه كان تجاه سيلفر لدرجة أنهم حولوا أعينهم، وعلق سيلفر وهو يبصق فى الهواء قائلاً لأحد الرجال:

- يبدو أن لديك شيئاً تريد أن تقوله، تكلم وأنا سوف أستمع إلى ذلك.

استدار أحد الرجال قائلاً:

- معذرة يا سيد سيلفر، أنت حر تماماً فى تنفيذ بعض القواعد وربما تضع عينيك على الباقي، هذا الطاقم غير راض ولن يشعل الآلة التى تستخدم لوصل الحبال البالية، هذا الطاقم لديه بعض الحقوق مثل الأطقم الأخرى، سأجعله حراً ومن خلال قواعدك أنت، سأخذ الطاقم وسوف نتحدث معاً، معذرة يا سيدى، فنحن نعترف بكونك القائد والربان فى هذا الوقت، ولكنى أعلن حقى وخطواتى من أجل التشاور والاجتماع من الخارج.

وبعد أن أدى تحية البحر المتقنة، خطا هذا الزميل صاحب العيون الصفراء ذو النظرة المريضة ببرود تجاه الباب واختفى عن المنزل، وواحد بعد الآخر كان يفعل مثله، فعلها كل واحد وهو يمر ويضيف بعض الاعتذار، وقال أحدهم:

- وطبقاً للقواعد.

قال مورجان:

- مجلس للتشاور.

وبعد تعليق أو تعليقين أو أكثر خرج الجميع وغادروا، سيلفر وأنا وحيدان مع المصباح، فابعد طباح السفينة البايب بثبات وقال بهمس غير مسموع للآخرين:

- والآن ستبقى هنا يا جيم هوكنز، أنت الآن فى منتصف الموت والشئ الأسوأ هو العذاب، إنهم يرتبون لكى يلقونى من هنا بعيداً ولكنك لاحظت وتأكدت أننى سوف أقف بجوارك فى الشدة والرخاء ولم أفعل ذلك بعد أن عبرت عن رأيك، ولكنى كنت على وشك أن أفقد هذا اللفظ الخشن وليس لأننا عقدنا صفقة، ولكنى أراك دائماً صاحب أسلوب صحيح، وقلت لنفسى ستقف مع جيم هوكنز يا جون وهوكنز سوف يقف معك، فانت كارتته الأخير وهو سيكون معك وقلت مرات ومرات إنك سوف تنقذ شامدك وهو سوف ينقذ رقبتك.

بدأت أفهم بهدوء وسألته:

- هل تقصد أن كل شيء ضاع؟!

أجاب قائلاً:

- سوف أفعل بإصرار، فالسفينة قد ضاعت، والرقبة قد تزهق، هذا يساوى ذاك،
وحين نظرت للخليج يا جيم فلم أر السفينة، حسناً، كنت فظلاً ولكنى أصبت بالإجهاد،
ولأجل ذلك هم كثير ويتشاورون الآن كي يحددوا مصيرى، هم أغبياء جداً وجبناء،
سوف أنقذ حياتك على قدر استطاعتي منهم ولكن انظر يا جيم واحدة بواحدة وسوف
تنقذ لونج جون من المشقة.

كنت مرتبكاً جداً، وكان يبدو الأمر بلا أمل وكان يسأل بصفة مستمرة رغم أنه
القرصان العجوز والقائد فى كل مكان، قلت:

- ما أستطيع أن أفعله، سوف أفعله.

صرخ سيلفر:

- إنها صفقة، وأنت عبرت عن رأيك بشجاعة وقوة ولديك فرصة جيدة.

عرج سيلفر حتى وصل إلى المصباح حيث يوجد بين خشب النار وأخذ قطعة
جديدة من النار يشعل الباب، قال سيلفر:

- افهمنى يا جيم، فأنا لدى رأس فوق كتفى، فأنا الآن فى مكان العمدة تريلونى،
أنا أعرف أنك تضع السفينة فى مكان آمن، كيف فعلت ذلك، أنا لا أعرف ولكنها فى
أمان، كنت أتوقع وأخمن أن هاندز وأويراين صارا طيبين وإن كنت لا أعتقد فى أى
منهما، والآن أنت حددت لى، لن أسأل أى أسئلة، ولن يسأل الآخرون أيضاً، أنا أعرف
متى تبدأ المباراة، سأفعل، أنا أعلم أن الشباب مخلص جداً، نعم وأنت شاب، وأنت وأنا
ربما نشكل قوة واحدة جيدة معاً.

وسحب سيلفر بعض الكونياك من البرميل فى كنكة قصدير وقال:

- هل تتذوق يا زميلى؟

وحين رفضت قال لى:

- حسنًا، سأخذ جرعة لنفسى يا جيم، فأنا فى حاجة إلى الحديث عن مشكلة
لماذا أعطانى الدكتور الخريطة يا جيم؟!

عبر وجهى عن دهشة غير متأثرة جداً لدرجة أنه تأكد أنه لا إجابة لأسئلة أخرى،
فلا توجد لدى إجابات، فقال:

- نعم، حسنًا، هو فعل، أعتقد أنه يوجد شيء وراء ذلك، لا شك، يوجد شيء ما
وراء ذلك يا جيم، شيء سيئ أو حسن.

وأخذ شفقة أخرى من البراندى وهز رأسه مثل رجل يتطلع إلى الأسوأ.

٢٩ - البقعة السوداء مرة أخرى

استمر مجلس القراصنة لبعض الوقت، حين عاد أحدهم إلى المنزل مرة أخرى، كرر نفس التحية السابقة التي كنت أراها بنوع من السخرية، طلب منا إعارتهم مصباحاً، وافق سيلفر بسرعة واختفى هذا الرسول مرة أخرى وتركنا معاً فى الظلام، قال سيلفر الذى صار قبل هذا الوقت أكثر وداً بنغمة صوت متألفة وصديقة:

- أشعر بوجود نسيم قادم يا جيم.

تحولت إلى الكوة (الفتحة) القريبة منى ونظرت منها خارجاً، كانت جمرات النار العظيمة قد حرقت نفسها تماماً وبدأ وهجها يخبو، حتى فسرت لماذا جاء القراصنة يطلبون مصباحاً، وعند منتصف طريق المنحدر إلى الحصن اجتمع القراصنة فى مجموعة، كان يحمل أحدهم مصباحاً وآخر كان يركع على ركبتيه فى المنتصف ورأيت نصلاً لسكين مفتوح يبرق فى يده بألوان مختلفة فى ضوء القمر وفى ضوء المصباح.

كان الباقي من القراصنة منحنيًا كمن ينقض على فريسة كما لو كان يشاهد مناورات هذا الأخير، استطعت أن أراه بصعوبة وهو يمسك فى يده كتاباً كما يحمل سكيناً تماماً، وما زال يتساءل كيف يكون أى شىء غير لائق يأتى للكيته حين بدأ الراكع على ركبتيه يرتفع أكثر على قدميه، وبدأت كل المجموعة تتحرك معاً فى اتجاه المنزل.

قلت حين عدت مرة ثانية إلى موقعى السابق:

- ها هم قد جاءوا.

كان ذلك يقلل من وقارى خاصة حين يكشفون أننى أراقبهم، قال سيلفر بسعادة:

- حسناً، دعهم يأتوا، ما زال فى الجراب الكثير.

فتح الباب، وظل خمسة من الرجال يقفون يتشاورن معاً فى الداخل، دفعوا واحداً منهم للأمام، فى أى موقف أو ظرف سيكون ذلك أمراً هزلياً ومضحكاً أن ترى تقدمه البطيء.



تقريباً عند منتصف الطريق المنحدر للحصن جُمعوا فى مجموعة واحدة.

وتردده وكأنه يجلس كل قدم على حدة، لكنه كان يحمل يده اليمنى المعلقة أمامه، قال سيلفر:

- تقدم يا فتى، لن أكلك، أسرع أيها الأخرق، فأنا أعرف القواعد وسأفعلها ولن أؤذى شخصاً مفوضاً منكم.

ما قاله سيلفر شجع القرصان أن يتقدم للأمام أكثر بشجاعة، ومرر شيئاً لسيلفر وسلمه له، وعاد مرة أخرى بذكاء إلى أصدقائه مرة ثانية، نظر طباخ البحر لما أُعطى، لاحظ قائلاً:

- البقعة السوداء، اعتقدت ذلك أيضاً، من أين حصلت على تلك الورقة، لماذا هذا؟ انظر هنا الآن، هذا شيء سيئ الطالع، لقد ذهبت وقطعت هذه الورقة من الكتاب المقدس، يا له من شيء غبي أن تقطع شيئاً من الكتاب المقدس.

قال مورجان:

- أه.. هناك، هناك، قلت ذلك، لا شيء جيد سوف يأتي نتيجة ذلك، لقد قلت ذلك.

استمر سيلفر قائلاً:

- وسوف تجنون ذلك بينكم الآن، أعتقد أنكم سوف تعاقبون جميعاً، ياله من عمل أخرج بالكتاب المقدس!

قال أحدهم:

- إنه ديك.

قال سيلفر:

- إذن هو ديك، على ديك أن يذهب للصلاة ويستغفر الرب، وسوف يرى جزاء عمله وعليك أن تدعن لذلك.

لكن الرجل الطويل صاحب العيون الصفراء قاطعه قائلاً:

- ثبت هذا الحديث يا جون سيلفر، هذا الطاقم زودك بمعلومة البقعة السوداء في مجلس كامل، في حدود الصواب ولكنك حالاً تقلب ذلك، يجب أن ترى ما كُتب هناك ثم تكلم بعد ذلك.

أجاب سيلفر طباح البحر:

- كل الشكر يا جورج، أنت دائماً رجل رشيق ومتحمس للعمل وتحفظ القواعد عن ظهر قلب، جورج أنا سعيد أن أراك على أي حال، حسناً، أنت تريد أن تخلعني أليس كذلك، هذا شيء واضح ومكتوب تماماً مثل الطباعة، أقسم أن ذلك ما تريده يا جورج ويفعل يدك، سيعود هذا الطاقم الموجود هنا وستكون الكابتن بعد ذلك ولن أتساعل، لكن أنت ملزم أن تطعيني الآن مرة أخرى، أليس كذلك؟! هذا الباب لا يسحب الدخان.

قال جورج:

- تعال الآن، لن نخدع هذا الطاقم مرة أخرى، أنت رجل هزلى وأنت تهذى الآن أكثر من أى وقت سابق، يجب أن تأتى إلى هذا البرميل وتقف بجوارى وتأخذ الأصوات لمن سيكون الكابتن.

قال سيلفر مرة أخرى باختصار:

- أعتقد أنك قلت إنك تعرف القواعد، على أى حال إذا لم تفعل سأفعل أنا، سانتظر هنا وأنا ما زلت ريان السفينة وقائدك، تذكر ذلك، حتى تقول مطالبك وأجيب عليها، فى أثناء ذلك بقعتك السوداء لن تستحق بسكوتة وسوف نرى ذلك.

أجاب جورج قائلاً:

- آه.. أنت لست قيد الاعتقال بأى حال من الأحوال، فكلنا هنا سواء، ولكنك أولاً: قد أربكت هذه الرحلة وخلطت الأمور وستكون رجالاً وقحاً إذا قلت لا لهذا الأمر وأنكرته، وثانياً: ساعدت العدو أن يخرج من الفخ الذى أعد له بون أى خسائر، لماذا تركوا لنا هذا المكان وخرجوا أنا لا أعرف، أكيد يوجد فى الأمر شيء لم نعرفه وهذا واضح جداً، ثالثاً: لم ترد أن نخرج وراءهم لكى نتابعهم، رأينا أنك تريد أن تجمع الغنائم وهذا شيء خطأ ارتكبته، ورابعاً: هذا الولد الذى يوجد هنا على السفينة.

سأل سيلفر بهدوء:

- هل هذا كل ما تود أن تقول؟!

قال جورج:

- هذا يكفى وسوف نعلق جميعاً بسبب تلك الخرقات التى فعلتها.

أجاب سيلفر قائلاً:

- والآن، انظر هنا، سوف أجيب على النقاط الأربعة واحدة بعد الأخرى، تقولون إنى لخبطت الرحلة وأربكتها، أليس كذلك؟ وأقول لكم إنكم جميعاً تعرفون ماذا كنت أريد ولو أن ذلك حدث على ظهر السفينة هيسبنيولا فى تلك الليلة، لكان كل واحد الآن

على قيد الحياة، مرتاحاً جداً وبصحة جيدة ولا يعمل شيئاً، الكنز ملك يديه بالقوة، حسناً من أغضبني ومن قيد يدي؟ كما كان يفعل القائد الشرعى للسفينة، الذى منحنى العلامة السوداء فى اليوم الذى هبطنا فيه وبدأنا هذا الرقص، نعم كان رقصاً جيداً وكنت معكم هناك أبداً مثل الزمار الذى يعزف فى اغتيال دوك قبل مدينة لندن، قد فعل ذلك، لكن لماذا؟ كان أندرسون وهاندز وأنت يا جورج وكنت الأخير على سطح المركبة ضمن هذا الطاقم المتطفل المتدخل وكنت تمتلك وقاحة دافى جونز ووقفت مع الكابتن ضدى أنت فعلت ذلك، وهذا أغرق كثيراً منا، وكانت تلك الحكاية الأسوأ من أى شىء.

توقف سيلفر لبعض الوقت وقرأت تعبيرات وجه جورج وأصدقائه أن هذا الكلام الذى قاله سيلفر لم يذهب أدراج الرياح ولم يكن عبثاً وبلا جدوى، صرخ سيلفر المتهم الذى كان يمسح العرق من على جبينه ويتحدث بعنف يغمر أركان البيت قائلاً:

- هذا فيما يخص الرد على رقم واحد، لقد أعطيتكم كلمة شرف، أشعر بالتعب بالحديث معكم، فأنتم بلا إحساس أو ذاكرة وسأترككم لخيالكم لتقولوا أين أمهاتكم كانت لكى تترككم تآتون إلى البحر، يا رجال الكنز، أعتقد أنكم تعملون مجرد ترزية ولم تكونوا بحارة قط.

قال مورجان قائلاً:

- تكلم بصراحة يا جون، واصل حديثك مع الآخرين.

استأنف جون حديثه قائلاً:

- نعم.. الآخرون، هم طيبون كثيراً، أليس كذلك، لقد قلت إن الرحلة قد فسدت، أه، لو استطعت أن تفهم كم كانت سيئة، سوف ترى، لقد كانت رقبتنا قريبة من المشنقة، ويحوطنا التفكير فى ذلك، فلو فكرتم فى ذلك، ربما عرفتم أننا سنكون معلقين فى السلاسل والطيور حولنا والبحارة سوف يصوبون علينا بينما هم ينزلون إلى المد، سيقول أحدهم من هذا؟ إنه جون سيلفر وسيقول الآخر أنا أعرفه جيداً، تستطيع أن تسمع صرير السلاسل حين تتجول وتصل إلى العوامة الأخرى، الآن ولأننا هنا على قيد الحياة، يجب أن تشكر أم كل واحد منكم سيلفر، هاندز وأندرسون وبقية أغبياء الدمار منكم ولو أردتم أن تعرفوا الرد على رقم أربعة وما يتعلق بهذا الولد، لماذا، إنه

شئ يقشعر له أضلاعى، أليس هذا الولد رهينة؟! هل نحن فى طريقنا لنفقد رهينة؟ لا.. ليس نحن الذين نفعل ذلك، إنها فرصتنا الأخيرة، وأنا لا أتعجب أو أتساءل، أقتلون هذا الولد يا زملاء؟! أنا لن أفعلها أبداً، وبالنسبة لرقم ثلاثة لم تحسبوا أنكم تمتلكون طبيباً حقيقياً يأتى كل يوم لكى يعالجكم ويتابعكم، يتابع جون برأسه المكسور ويتابعك يا جورج ميرى حين كنت تعاني من مرض الملاريا من ساعات مضت وكانت عيناك مثل لون قشر الليمون إلى هذه الساعة، وربما لا تعرفون أن سفينة مرافقة قد تأتى أيضاً، ولن يمر وقت طويل على حدوث ذلك، وسوف ترون كم سيكون جيداً أن تمتلك رهينة عندما تأتى تلك السفينة لتأخذهم، وبالنسبة لرقم اثنين ولماذا عقدت معهم تلك الصفقة، حسناً، سوف تأتون تزحفون راكعين على ركبتكم إلى لكى أعقد ذلك معهم، سوف تأتون راكعين على ركبتكم وأنتم مكسوروا القلب وسوف تموتون من الجوع أيضاً إذا لم أعقد تلك الصفقة، لكن ذلك أمر تافه، حين تنتظرون لبعيد سوف تعرفون لماذا عقدت تلك الصفقة.

ثم نثر سيلفر على الأرض ورقة قد لاحظتها، لم يكن على الورقة الصفراء شئ سوى الخريطة التى بها ثلاثة صلبان حمراء، الخريطة التى وجدتها فى المشمع فى قاع صندوق الكابتن، لماذا أعطى الدكتور الخريطة له، فإن التفكير فى هذا الأمر خيالى، فلم أكن أتخيل ذلك، لكن هذا الأمر كان بلا تفسير بالنسبة لى، ظهور الخريطة كان أمراً غير مصدق لهؤلاء المتمردين الأحياء، لقد قفزوا عليها مثل القطط على فأر، لقد تقاذفت من يد لأخرى، وأخذها واحد من الآخر وكادت أن تمزق من كثرة ما تلقفتها الأيدي، انتقلت وسط الصراخات والأيمان والضحك الطفولى الهيسستيرى وهم يفحصونها جيداً لم يتخيلوا فقط أنهم قد حصلوا على الكنز، ولكنهم قد أخنوه وفى طريقهم للعودة للوطن من البحر وفى أمان دون مخاطر، قال أحدهم:

- نعم، إنه كنز قلنت، أنا متأكد من جى إف ٢٠ وسجل ووقع تحتها بعقدة القرنفل التى قد صنعها.

قال جورج:

- رانع، لكن كيف نهرب بهذا الكنز دون أن نتعقبنا أى سفينة؟!

فجأة، قفز سيلفر من مكانه وأسند نفسه بيده على الجائط وصرخ قائلاً:

- أنا أحذرك الآن يا جورج، كلمة واحدة أخرى وسوف أقاتلك، كيف؟! لماذا وكيف أعرف؟ أنت يجب أن تقول لى، أنت والباقيون الذين أضاعوا سفينتى بتدخلهم، فلتُحرقوا، ولكنتك أنت لن تستطيع، لن تستطيع أن تحصل على دعوة صرصور ولكنتك تتكلم جيداً فقط، ولا تعرف كل الكلام، وربما لا تفهم غير ذلك.

قال مورجان العجوز:

- كل شيء واضح الآن.

قال طباخ البحر سيلفر:

- واضح، أعتقد ذلك، أنتم أضعتم السفينة وأنا وجدت الكنز، أيهما أفضل من الآخر؟ وأنا الآن مستقيل من الزعامة، اختاروا أحكم لكى يكون الكابتن الآن، لقد فعلت كل ما فى وسعى.

صرخوا جميعاً:

- سيلفر، سيلفر، الشواء دائماً، الشواء للكابتن.

صرخ الطباخ قائلاً:

- إذن تلك رغبتكم، أليس كذلك؟ جورج أعتقد أنه يجب أن تنتظر مرة أخرى يا صديقى وسوف تنال حظك يوماً ما، فأننا لست شخصاً حقوداً وتلك ليست طريقتى، والآن يا زملائى تلك هى العلامة السوداء، هى ليست جيدة الآن، أليس كذلك؟ فقد تجاوز ديك حظه وأفسد الإنجيل وهذا كل شيء.

تذمر ديك قائلاً:

- سوف أظل أقبل الكتاب دائماً، أليس كذلك؟ فمن يريد أن يحضر لنفسه اللعنة.

استأنف سيلفر كلامه قائلاً:

- الإنجيل تمزق منه قطعة، إنه الإنجيل وليس كتاب الأغاني الشعبية الذى لا أركن إليه كثيراً.

صرخ ديك قائلاً:

- أعتقد كذلك، حسناً وأعتقد أنه يستحق أن نملكه أيضاً.

قال سيلفر وقذف إلى الورقة قائلاً:

- خذ يا جيم، هذا ما يشير فضولك.

كانت دائرية تقريباً مثل حجم تاج الملك، نظرت إليها فكان الوجه الأول منها فارغاً، حيث كانت الصفحة الأخيرة وكانت تحتوى على آية أو اثنتين من سفر الرؤيا، هذه الكلمات بين الباقي هي التي تحضر بحدة الوطن إلى ذهنى "بنون الوطن تكون الكلاب والقطة" وكان الجزء المطبوع مسوداً بهباب الخشب الذى بدأ فعلاً ينفصل ويلوث أصابعى بالتراب، وعلى الجزء الفارغ كتب بنفس المادة كلمة واحدة "مخلوع" كان لدى هذا الفضول يصاحبنى فى تلك اللحظة ولا اقتفاء لأثر الكتابة يظل الآن خلف أى خربشة فردية مثلما يمكن للإنسان أن يفعله بأظفر إبهامه.

كان ذلك نهاية تلك الليلة، ودارت بعد ذلك كؤوس الشراب وبدأنا نتمدد كي نرقد، لكن ثأر سيلفر جعله يضع جورج مارى فى الخدمة للحراسة وهدده بالموت إذا أثبت أنه شخص غير مخلص.

مر وقت طويل حتى استطعت أن أغمض عيني، ويعلم الرب أنني كنت أفكر فى الرجل الذى ذبحته فى تلك الظهيرة وأرى سيلفر مشغولاً الآن، وأنتى فى موقف محفوف بالمخاطر، وأنتى وسط لعبة صعبة وسط هؤلاء القراصنة المتحدين معاً كيد واحدة ويطمعون فى الآخر بكل الوسائل الممكنة وغير الممكنة وسيلفر الذى يريد أن يجد السلامة لنفسه وينقذ حياته البائسة، سيلفر نفسه الآن ينام ملء جفونه فى سلام ويشخر بصوت عال، بالرغم من أنه شخص سيئ، فإن قلبى يأسى له، حين أفكر فى المخاطر المطلقة التى تحيط به والمشقة المخزية التى تنتظره.

٣٠- وعد شيرف

استيقظت، حقاً كنا جميعاً متيقظين، رأيت الحارس يهز نفسه حين سقط أمام الباب، سمعت بوضوح صوتاً ينادى علينا قادماً من حافة الغابة، صرخ الصوت:

- ها.. يا ساكنى الحصن، أنا الدكتور ليفزى.

وكان بالطبع الدكتور ليفزى، وبالرغم من أننى كنت سعيداً أن أسمع الصوت، وبالرغم من أن سعادتى لم يكن بها أى اختلاط، فإننى تذكرت بارتباك تمردى واختفائى وعدم الاتصال وعندما رأيت ما آل إليه وجودى فى مكان بين هؤلاء الأشرار ومحاطاً بالأخطار، شعرت ساعتها بالخجل أن أنظر إلى عينيه.

سوف يثور يوماً ما فى الظلام من أجل النهار الذى سوف يأتى بصعوبة، وحين أجرى إلى الكوة وأطل منها خارجاً سأراه واقفاً مثل سيلفر كما كان واقفاً من قبل، على منتصف قدمه أثناء الضباب الزاحف علينا، صرخ سيلفر:

- أهلاً دكتور، أحلى صباح عليك يا سيدى.

بدأ الجميع يستيقظ، أشرق سيلفر بطبيعة جيدة فى لحظة وأضاف قائلاً:

- دائماً ما تأتى مبكراً ومشرقاً كى تكون متأكداً مثل الطيور التى تخرج مبكراً - كما يقال - كى تحصل على رزقها، استيقظ يا جورج، هيا يا بنى كى تساعد دكتور ليفزى فكل ما صنعه جيداً ومرضاك صاروا جميعاً فى أحسن حال وبصحة جيدة.

لذا ربت عليه ووقف على القمة بعكازه الذى تحت كوعه وكانت إحدى يديه على جانب الحصن، وكان فعلاً جون العجوز فى صوته وسلوكه وتعبيراته... وأضاف سيلفر قائلاً:

- لدينا مفاجأة لك أيضاً يا سيدى، معنا هنا شخص غريب صغير، إنه، إنه يسكن معنا هنا، يبدو بصحة جيدة وأنيقاً تماماً مثل الكمان ويتحرك مثل مسئول عن شحن السفينة، هو يفعل ذلك بجانب جون، رجل بجوار الآخر ونظل معاً طوال الليل.

كان الدكتور ليفزى قد عبر الحصن قبل هذا الوقت وصار قريباً من الطباخ، استطعت أن أسمع التغيير فى صوته حين قال:

- أليس هذا جيم؟!

قال سيلفر:

- إنه جيم بشحمه ولحمه.

توقف الدكتور ليفزى فوراً، وبرغم أنه لم يتكلم ومرت بعض الثوانى قبل أن يكون قادراً أن يواصل التحرك قال أخيراً:

- حسناً.. حسناً، الواجب أولاً ثم السعادة بعد ذلك وكما قلت بنفسك يا سيلفر، دعنا نعالج مرضاك أولاً.

مرت لحظة بعد ذلك ودخل إلى الحصن وبابتسامة أومأ لى أن أتقدم للعمل معه بين المرضى، يبدو أن الدكتور لم يكن رهن الاعتقال بالرغم من أنه يعرف أن حياته وسط هؤلاء الشياطين الغدارين الخائنين متوقفة على شعرة، وبالرغم من ذلك يبدو أنه يعاود مرضاه وكأنه يقوم بزيارة تخصصية معتادة لعائلة إنجليزية هادئة.

ما زال سلوكه - كما أعتقد - ما زال كرد فعل لسلوك هؤلاء الرجال تجاهه وكأن شيئاً لم يحدث قط منهم كأنه ما زال طبيب السفينة وما زالوا العمال المخلصين فى السفينة بجوار الشراع، ثم قال الدكتور لزميله الذى يربط رأسه:

- أنت الآن فى أحسن حال يا صديقى، ولقد تجوت بأعجوبة، رأسك صار قويا وصلباً مثل الحديد، حسناً لماذا كبك متغير رأساً على عقب، هل أخذت هذا الدواء؟ هل أخذ الدواء يا رجال؟

رد مورجان:

- أه يا سيدى، لقد أخذه بالتأكيد.

قال الدكتور ليفزى بطريقة ساخرة:

- لأنه كما ترون إننى أقوم بذلك كوعد شرف منذ أن صرت طبيب المتمردين
أو الطبيب المسجون كما أحب أن تدعونى وأفعل ذلك كى لا أضيع على الملك جورج
أو المشانق أى رجل منكم.

نظر الأشرار الأوغاد لبعضهم البعض لكنهم ابتلعوا غيظهم فى صمت،
قال أحدهم:

- لا يشعر ديك أنه تحسن يا سيدى.

رد الدكتور:

- هل هذا صحيح يا ديك؟ حسناً، تعال هنا يا ديك، دعنى أرى لسانك.
كنت مندهشاً جداً حين فعل الرجل، كان لسانه قد أصابه نوبة مرض تخيف
الفرنسيين، أصابته الحمى، قال مورجان:
- هذا حدث بسبب إفساد الإنجيل.

قال الدكتور:

- هذا حدث لأنكم جميعاً جحوش وليس لديكم أى إحساس كى تفرقوا بين الهواء
النقى من السم والأرض الجافة من الأرض القذرة، إنها أرض موحلة مملوءة بالآفات،
أعتقد أن ذلك هو الاحتمال الأكبر، وهذا هو مجرد رأى وأعتقد أنكم سوف تعانون
كثيراً قبل أن تدفعوا هذه الملاريا بعيداً عن نظام حياتكم، فأنتم تعسكرون فى مستنقع
أليس كذلك يا سيلفر؟ أنا مندهش منك، فأنتم أكثر هؤلاء نكاء وأقلهم غباء، يجب أن
تتجولوا حول الحصن وتعرضوا للشمس، ولكن لا يظهر لى أنكم قد اتخذتم أى
إجراءات أولية حتى لاتباع قواعد الصحة العامة.

أضاف الدكتور ليفزى قائلاً:

- حسناً.

وذلك بعد أن عالجهم جميعاً وأخذوا رويشتته بتواضع حقيقى مضحك ربما مثل أطفال مدرسة الإحسان أكثر من كونهم متمردين مذنبين وملوثة أيدهم بالدماء وأضاف الدكتور قائلاً:

- حسناً، لقد قمنا بعمل اليوم، والآن أتمنى أن أرى وأتحدث مع هذا الولد جيم لو سمحتم.

وأوماً رأسه فى اتجاهى بإهمال، كان جورج مارى واقفاً عند الباب يتجرع أحد الأدوية المرة والسينة ومع بداية عرض الدكتور تأرجح واهتز بفورة هياج عميقة وصرخ مقسماً:

- لا.

فضرب سيلفر البرميل المفتوح بيده معترضاً وزأر قائلاً:

- سكوت.

ونظر إليه مثل أسد ثائر واستمر قائلاً بنغمة صوته غير المعتادة:

- لقد فكرت فى ذلك، وأعلم أن لك ميلاً وهوى لهذا الولد، نحن جميعاً مقدرين وشاكرين عطفك كما ترى ونبتلع عقاقيرك مثل الشراب المسكر، ضع ذلك بداخلك ، كنت سأخذ جيم مثلك إذا وجدته بنفس الطريقة، هو كنز.. هل تعطينى كلمة شرف مثل شاب صغير شريف، فانت شاب شريف رغم أنك ولدت فقيراً، كلمة شرف أنك لا تهرب.

أعطيت سيلفر فعلاً الضمان الذى يطلبه، فقال سيلفر:

- حسناً يا دكتور، حين تخرج من هذا الحصن وتكون هناك سأحضر لك الولد كى نتحدث معه فى أحد الأركان، يوم سعيد عليك يا سيدى، كل تحياتنا للعمدة تريلونى والكابتن سيموليت.

كان انفجار الاعتراض الذى حدث لا شىء على الإطلاق واستطاعت نظرات سيلفر السوداء أن تكبح جماحهم وتجعل الدكتور ليفزى يغادر المنزل فى الحال، كان سيلفر يلعب على الجهتين ويحاول أن يصنع سلاماً منعزلاً لنفسه وأن يضحى باهتمامات شركائه فى الجرائم وضحاياه، وبكلمة واحدة يسير الشىء الذى يريده كما لو كان يفعله هو نفسه.

لقد بدا بالنسبة لى أكثر وضوحاً فى هذه الحالة، ما لم أستطع أن أتخيله كيف يقدر أن يغير غضبهم ويسيطر عليهم، ولم لا؟ وأراه أضعف الرجال المتبقين ولم لا وقد أعطاه انتصاره فى الليلة السابقة تفوقاً كبيراً عليهم جميعاً فى عقولهم.

كان يدعوهم جميعاً بالأغبياء والبلهاء لو تخيلت ذلك، لقد قال إنه من الضرورى أن أتحدث مع الدكتور ونشر الخريطة فى وجوههم وقال لهم لو أنهم يقدرون على كسر الهدنة فى نفس اليوم سيكونون مقيدين إذا أرادوا اصطياد الكنز، صرخ قائلاً:

- بالطبع لا، سوف نخرق هذه المعاهدة حين يحين الوقت المناسب، وحتى يأتى الوقت سوف أظهار وأخدع الدكتور حتى لو ملأت حذائه بالبراندى الذى سنشر به.

ثم أمرهم أن يشعلوا النار واستند على عكازه وإحدى يديه كانت على كتفى وبدأنا نغادرهم فى فوضى وصمت بواسطة هزازه وحسمه أكثر من اقتناعهم، وقال لى:

- أبطى! يا فتى، أبطى! ربما يحيطون بنا فى لمح البصر لو رأوا أننا نسرع.

بشكل هادئ تقدمنا عبر الرمل حيث يقف الدكتور ليفزى منتظراً لنا على الجانب الآخر من الحصن، وبمجرد أن أصبحنا قريبين من بعضنا للتحدث توقف سيلفر وقال:

- ستكتب ملحوظاتك هنا أيضاً يا دكتور، وسوف يخبرك الولد جيم كيف أنقذت حياته وخلعته منهم أيضاً واحتمال أن تصدق ذلك يا دكتور!! حين يقود السفينة فى وسط تلك الرياح رجل مثلى يجب ألا تفكر كثيراً فى إعطائه كلمة شرف، يجب أن تضع فى ذهنك الآن أنها ليست حياتى وحدى الآن، هى حياة الصبى أيضاً الذى دخل أيضاً المقايضة والمساومة، وسوف نتحدث عنى بشكل عادل يا دكتور وستعطينى الأمل أن أواصل من أجل الرحمة.

كان سيلفر رجلاً متغيراً حين كان خارج الحصن هناك وأعطى ظهره لأصدقائه وللحصن، فقد كان خجلاً جداً وصوته مرتعشا وبلا أى زوح على الإطلاق، سأله الدكتور ليفزى:

- لماذا لا تكون خائفاً يا جون؟

قال سيلفر بعد أن عض على أصابعه:

- أنا لست جباناً ولست جباناً أبداً يا دكتور ولو كنت كذلك لما قلت ذلك، ولكنى سأعترف بصدق، أنا أشعر باهتزازات تسيطر على بسبب المشانق، أنت رجل جيد وإنسان حقيقي، فأننا لم أر رجلاً جيداً وأنت لن تنسى ما فعلته جيداً، ولا تنسى إلا الشيء السيئ، أنا أعرف ذلك، سأذهب بعيداً عنكم هنا، وسأتركك مع جيم بمفردك، وسوف تحمد لى ذلك ولهذه المرونة أيضاً، أليس كذلك؟!

ولما بدأنا الحديث، أخذ عدة خطوات للوراء حتى خرج من مدى السمع وجلس هناك على عقب شجرة وبدأ يصفر ويدور من وقت لآخر حول مقعده لكى يرى المشهد تماماً، يرانى ويرى الدكتور ويرى بعض وحوشه الجامحين من المتمردين حين يذهبون جيئةً وذهاباً على الرمال بين النار والتي كانوا مشغولين بإعادة إحيائها مرة ثانية والمنزل الذى يحضرون منه لحم الخنزير والخبز لكى يعدوا طعام الإفطار، قال الدكتور ليفزى بحزن:

- ها أنت هنا، حيث تتناول الخمر وتشرب يا ولدى، الرب يعرف أننى لا أجد فى قلبى أى لوم لك، لكن الذى سأقوله قد يكون عطوفاً أو قاسياً، فعندما كان الكابتن سموليت جيداً لم تجرؤ أن تغادرنا وحين مرض ولم يستطع أن يساعدنا كان موقفاً جباناً بما تحمل الكلمة من معنى، شعرت أننى أود أن أبكى وقلت له:

- دكتور، ربما تصفح عني ولكنى ما زلت ألوم نفسى كثيراً، سأفقد حياتى على أى حال، وقد أفقد حياتى الآن لو أن سيلفر لم يقف بجوارى، صدق ذلك يا دكتور، من الممكن أن أموت وأنا أستحق ذلك ولكنى أخشى التعذيب بشكل كبير، أه لو أرادوا أن يعذبوننى.

قاطعه الدكتور قائلاً بصوت متغير:

- جيم، أنا لا أقصد ذلك، انس ما قلته لك، سوف نهرب معاً.

قلت للدكتور:

- لكنى أعطيت كلمة.

صرخ قائلاً:

- أعرف، أعرف، لن نقاوم ذلك يا جيم الآن سوف أخذ ذلك على عاتقي، فاللوم والعار معاً يا ولدي، لكن ابق هنا، لن أستطيع أن أتركك، أقفز، قفزة واحدة وستكون في الخارج، سوف تنجو بحياتنا مثل الأطباء.
أجبت قائلاً:

- أنت تعرف جيداً أنك لن تفعل هذا الشيء لنفسك، لا أنت ولا العمدة تريلونى ولا الكابتن، وكذلك أنا، لن نستطيع أن نفعل ذلك، فسيلفر يثق فى وأنا أعطيته كلمة شرف وسوف أعود إليه، لكنك لم تدعنى أنهى كلامى يا دكتور، فلو أقدموا على تعذيبى، احتمال ألا ألترم بكلمتى وسوف أذهب إلى السفينة معتمداً على الحظ وعلى المغامرة التى ترقد فى خليج الشمال على الشاطئ الجنوبى وقبل الماء العميق، فعند منتصف المد، يجب أن تكون طافية وجافة.
قال الدكتور مندهشاً:

- السفينة.

وصفت له بسرعة مغامراتى واستمع لى فى حالة الصمت والهدوء، قال الدكتور:
- يوجد شيء قدرى فيما تقول يا جيم، مع كل خطوة كنت تتنقذ حياتنا وهل تعتقد أننا مع أى ظرف سوف نترك تفقد حياتك؟ هذا رد جميل بسيط يا بنى، لقد اكتشفت المؤامرة واكتشفت بن جن وهذا أحسن عمل فعلته أو سوف تفعله، ولو عشت إلى الثمانين، آه، بكل آلهة اليونانيين حدثنى عن بن جن، لماذا يحدث الأذى والخسارة للإنسان.

وصرخ :

- سيلفر، سيلفر!! سوف أنصحك.

واستمر حين كان الطباخ يتقدم ويقترب مرة أخرى قائلاً:

- لا تكن فى عجلة من أمرك حين تجد الكنز.

قال سيلفر:

- لماذا يا سيدى، أنا أحاول أن أبذل قصارى جهدى، أرجوك أن تتنقذ حياتى وحياة الولد بالبحث عن الكنز، أرجو أن تقتنع بذلك وتقف معه.

أجاب الدكتور ليفزى قائلاً:

- لو كان الأمر كذلك، سأخذ خطوة معك للأمام، انتظر حين تهب ريح شديدة مصحوبة بمطر أو تلج.

قال سيلفر:

- سيدي، ما بيني وبينك هو ما بين رجل ورجل وهو كثير جداً، ماذا عنكم بعد أن تركتم الحصن ولماذا تركتم الحصن أصلاً، ولماذا أعطيتني خريطة الكنز، أنا لا أعرف السبب، أليس كذلك؟ أنا أدعوك كي تقول لى السبب، فليس لدى كلمة أمل ولكن لا، فهذا كثير، فإذا لم تكن تريد أن تخبرني عما تقصد بوضوح، قل ذلك وأنا سوف أغادر الدفة.

قال الدكتور ليفزى بتأمل:

- لا، ليس لدى الحق أن أقول المزيد فهذا ليس سرياً، كما ترى يا سيلفر فلو كان سرياً أعدك أن أقوله لك، ولكنى سوف أسايرك فيما تريد كما أود وأبغى، فلو رجعت خطوة للوراء، فتجدنى قد وضعت باروكتى كي تكون بجوار الكابتن، حتى لا أكون مخطئاً ومع ذلك سوف أعطيك أملاً، لو نجينا معاً من فخ الذئاب هذا، سأبذل قصارى جهدى لكى أنقذك، سأقول شهادة فى حقك حتى ولو لم تكن كذلك بشكل كبير.

صرخ سيلفر فرحاً بوجهه المشع سعادة وقال:

- لا تقل شيئاً آخر، أنا متأكد يا سيدي، وواثق من ذلك.

وأضاف الدكتور قائلاً:

- حسناً، هذا هو دعى الأول لك، وثانياً لى نصيحة لك، دع الولد بجوارك دائماً، وحين تحتاج أى مساعدة ناد على وسوف تجدنى بجوارك، سأكون فى الخارج كي أبحث عنك وهذا سوف يثبت لك إذا كنت أتحدث بشكل عشوائى أم لا، وداعاً يا جيم.

ثم سلم الدكتور ليفزى على وصافحنى بحرارة فى الحصن وأوماً لسيلفر وبدأ رحلته بسرعة ورشاقة إلى الغابة.

٣١- اصطياد الكنز

- مؤشّر فلنت -

حين كنا بمفردنا قال سيلفر لى:

- إذا أنقذت حياتك، ستنقذ حياتى؟ لن أنسى ذلك أبداً، لقد لمحت بطرف عينيّ الدكتور وهو يشير لك أن تنجو بنفسك ورأيتك وأنت تقول له " لا " وكأننى سمعتها بوضوح يا جيم، تلك واحدة يا جيم وهى لك، وتلك أول لمحة أمل منذ أن فشل الهجوم وأنا مدين لك، والآن يا جيم سنبدأ فى الذهاب من أجل اصطياد الكنز، بأوامر محددة أيضاً، أنا لا أحب ذلك ويجب أنأ وأنت أن تلتصق، ويكون أحدهنا وراء الآخر وسوف ننقذ رقابنا بالرغم من القدر والكنز.

وبعد ذلك نادى علينا رجل من عند النار أن طعام الإفطار صار جاهزاً وأننا سوف نتحلق هنا وهناك حتى نتناول البسكويت والبيض المملح المشوى، وأضرمو النار لكى يشبوا الثور، وصار الآن مطهياً وساخنأ بدرجة كبيرة جعلتهم يقتربون منه بهدوء وكأنهم فى مهب الريح، وبالرغم من ذلك لا يحذرون كثيراً.

وبنفس تلك الروح الضائعة طبخوا الثور، أعتقد أننا من الممكن أن نأكل هذا الثور أكثر من ثلاث مرات، كانت إحداها ونحن نضحك ملء أفواهنا، كنا نرمى ما تبقى فى أيدينا فى النار التى تشتعل وتزأ مرة أخرى فى هذا الوقود غير المعتاد، لم أر رجالاً من قبل أقل حرصاً بالغد مثل هؤلاء، من اليد للفم هذا أفضل وصف لهؤلاء الرجال الذين لا يهتمون أبداً بالغد والتى تصف طريقتهم فى التعامل مع ما تبقى معهم من طعام ومع الحراس النائمين.

وبالرغم من أنهم كانوا أكثر جرأة ووقاحة بشكل كاف فى أى معركة أو مناوشة بسيطة ويفعلون ذلك، فإننى أراهم فى كامل عدم اللياقة لأى شىء وكأنهم فى حملة عسكرية مطولة أو ممتدة، حتى كابتن سيلفر الذى كان مع الكابتن فلنت ويجواره لم يقل لهم أى كلمة لوم لتهدهم وهذا كان الأكثر دهشة بالنسبة لى، اعتقدت أننى لم أره أكثر مكرراً ودهاء حين كان فى تلك اللحظة، قال سيلفر:

- أيها الزملاء، إنه من حسن الحظ أن تتناولوا الشواء كى تفكروا لأجل مصلحتكم هنا، لقد حصلت على ما أردت، لقد فعلت، أنا متأكد بشكل كاف أنهم يمتلكون السفينة، لكن أين يمتلكونها لا أعرف، ولكن حين نحصل على الكنز سوف نضطر أن نتجول ونقفز لى نعرف أين يكونون، علينا أن نمتلك القوارب، وسيكون لنا اليد العليا.

لذا استمر سيلفر فى حديثه وكان فمه مملوءاً بلحم الثور الساخن واستطاع سيلفر أن يستعيد آمالهم وثقتهم وكنت أكثر من مشبوه لديهم وحاولت إصلاح اعترافه فى نفس الوقت، واستمر فى حديثه قائلاً:

- أما بالنسبة لهذه الرهينة، هذا هو آخر كلامه معهم وأضمن ذلك، لقد حصلت على بعض الأخبار وأشكره لذلك، لكن كل شىء انتهى وفعل تماماً، سأربطه فى حبل معى أثناء بحثنا عن الكنز، سوف نحافظ عليه كما نحافظ على الذهب ضد أى حادثة من الحوادث، حتى نحصل على السفينة والكنز معاً ونبدأ رحلة العودة فى البحر مثل الرفقاء القراصنة، لذا سوف نتحدث مع السيد هوكنز ونناقشه وسوف نفعل وسوف نعطيه نصيبه حين نتأكد جميعاً من طبيئته وإخلاصه.

لا شك أن الرجال الآن فى حالة من المزاج العالى والفكاهة، أما بالنسبة لى فقد كنت حزيناً بشكل مرعب، هل الخطة التى رسمها سيلفر الآن رسمت بشكل مجيد، فسيلفر شخص خائن بطبعه ولا يتردد أن يكون كذلك ويتبناه، فهو ما زال له موضع قدم فى المعسكر ولا شك أنه سوف يفضل الثروة والحرية مع القراصنة عن أن يكون مجرد هارب - لا شىء معه - من حبل المشنقة الذى سيكون أفضل شىء من الممكن أن يحلم به معنا.

ليس هذا فحسب، وحتى لو سقطت كل الأشياء، سوف يُجبر أن يحفظ وعده مع الدكتور ليفزى وحينئذٍ ما الخطر الذى سيحيط بنا، يا لها من لحظة حين يتحول شك زملائه إلى يقين وتأكيد، سوف نضطر ساعتها أن نقاتل من أجل الاحتفاظ بحياتنا، فهو مجرد شخص كسيح وأنا ولد صغير ضد خمسة أقوياء وبحارة نشيطين.

بالإضافة إلى هذا الاعتقال المزدوج ما زالت الخرافة والأسطورة معلقة فى سلوك أصدقائى خاصة هجرتهم غير المفهومة من الحصن وتخليهم غير المبرر عن الخريطة والصعب على الفهم، وقد كان تحذير الدكتور الأخير لسيلفر:

- ابدأ البحث عن الكنز حين تجد العاصفة المطيرة والتجعية.



لكل العالم، تم اقتيادى مثل دب يرقص

ولك أن تحس بالطعم المر الذى وجدته فى فمى أثناء طعام الإفطار وكنت بقلب غير مستريح أتحرك خلف خاطفى فى رحلة البحث عن الكنز.

كانت أشكالنا غريبة جداً لأى أحد يرانا هناك، كنا جميعاً نرتدى ملابس البحارة الموحلة، وكان الجميع باستثنائى مسلحين حتى أسنانهم، كان سيلفر يمتلك بندقيتين متدليتين، واحدة أمامه وواحدة خلفه بالإضافة لسيفه العظيم فى وسطه ومسدس فى كل جيب من جيوب المعطف المربع الذى له ذيل، ولاستكمال شكله الغريب كان ببغاء الكابتن فلنت يحط على كتفه ويثرثر فى أشياء تافهة كحديث البحر الذى بلا هدف، كان حول وسطى حبل يجرجرنى منه طبّاخ البحر وأتحرك وراءه بطاعة أينما ذهب من الطرف المفكوك فى يده، فأنا فى يده الحرة الآن وبين أسنانه القوية، كنت بالنسبة لكل العالم مُقتاداً مثل دب يرقص.

كان الرجال الآخرون يحملون بعض المعاول والجرافات، كان ذلك أول شيء ضرورى ومهم أحضروه من السفينة إلى الشاطئ وكان البعض الآخر محملاً بلحم الخنزير والخبز والبراندى لوجبة منتصف النهار، كان كل الطعام الذى لاحظته جاء من المخزن، استطعت أن أرى حقيقة كلمات سيلفر فى الليلة السابقة، فإذا لم يكسر الصفة مع الدكتور فإنه ومتمرديه الذين تركوا بواسطة السفينة يجب أن يعيشوا على الماء الرائق وبعض ما ينشأ من الصيد، فالماء يكون قليلاً لتذوقهم، فاليحار لا يكون عادة صياداً جيداً، وإضافة لذلك، حين يمتلكون قليلاً من الأطعمة، هذا ليس معناه أنهم يمتلكون الكثير من البارود.

حسناً، بدأنا الرحلة جميعاً مزودين بالمعدات التى نريدها، حتى الزميل صاحب الرأس المكسور الذى يجب أن يكون فى الظل، وتفرقنا واحداً بعد الآخر حتى وصلنا إلى الشاطئ حيث يقف الزورقان فى انتظارنا، اصطحبنا حتى الأثر المزعج لحماقة شاربى الخمر من القراصنة، كان أحدهم فى إحباط كبير والكل فى ظروفهم الموحلة، فالكل كان يحمل معنا من أجل خاطر الأمن، لذلك قمنا بتقسيم أنفسنا وبدأنا نصعد لحضن المرسى حين توقفنا، كان هناك بعض المناقشة بشأن الخريطة، فالصليب الأحمر بالطبع كان بعيداً جداً كى يرشدنا وعلامات الملاحظة كانت فى الخلف، كما ستسمع وتتعرف ببعض الغموض، بدءوا الجرى والقارى ربما يتذكر هذا:

الشجرة الطويلة، كتف جبل النظارة المكبرة، احتمال نقطة أو إشارة إلى الشمال من شمال شمال شرق، جزيرة الهيكل العظمى شرق جنوب شرق ويجانب الشرق عشرة أقدام.

كانت الشجرة هي العلامة الرئيسية، الآن كان على يميننا المرسى المحدد بجوار الهضبة بحوالى ٢٠٠ أو ٣٠٠ قدم ارتفاعاً ومجاوراً لى شمال الانحدار لكتف جبل النظارة المكبرة، ثم تصعد مرة أخرى تجاه جنوب الربوة الصخرية الخشنة والتي تسمى جبل مازن ماست، كانت قمة الهضبة منقطة بأشجار الصنوبر الكثيفة على ارتفاع عال، هنا أو هناك كنا نجد واحدة من الأشجار من جنس مختلف على ارتفاع ٤٠ أو ٥٠ قدماً من جارتها التي تعلوها، وكانت إحدى هذه الأشجار هي الشجرة الخاصة، شجرة كابتن فلنت الطويلة التي من الممكن أن تحدد في هذه البقعة بواسطة قراءة البوصلة جيداً.

وبالرغم من تلك الحالة، فإن كل واحد من الرجال الذين كانوا على المركب أحضر الشيء الذي يحبه جداً، وقبل أن نصل لنصف المسافة دعاهم سيلفر وهو يهز كتفه أن ينتظروا حتى نصل إلى هناك.

سرنا بسهولة وراء توجيهات سيلفر حتى لا يسأم الرجال قبل الأوان، وبعد السير في ممر طويل هبطنا إلى بداية النهر الثانى الذى يتدفق في أحد شقوق الغابة المتصلة بجبل النظارة المكبرة، ثم انحنينا إلى اليسار وبدأنا نصعد المنحدر تجاه الهضبة.

في بداية تحركنا كانت الأرض الموحلة الثقيلة الملبدة بالطين السبخى والمملوءة بالنبات تعوق تقدمنا ولكن قليلاً قليلاً صار الجبل أشد انحداراً وصخرياً تحت أقدامنا وتحولت شخصية الغابة وصارت مكاناً أكثر انفتاحاً عن نظامها المعروف، كان ذلك بالفعل هو الجزء الأكثر سعادة من الجزيرة التي نتقدم إليها الآن، كانت النباتات العطرية الكثيفة والأشجار المزهرة احتلت مكان الحشائش، كان الكثير من أشجار جوز الطيب تتوزع هنا وهناك مع تلك العمدان الحمراء والظل الواسع لشجر الصنوبر والتي اختلطت توابلهم مع نكهة الأشجار الأخرى، كان الهواء المنعش الطازج تحت أشعة الشمس يشكل حالة رائعة من الانتعاش لأحاسيسنا.

نشرت المجموعة نفسها على نطاق واسع فى المكان، كان الجميع متحمساً، يصرخون ويروحون جيئةً وزهاباً عند المنتصف تقريباً وبطريقة جيدة خلف بقية المتمردين، كان يشدنى سيلفر بحبل من وسطى وكنا نتبعهم بلهات عميق بين الصخور والحصى المتساقطة، كنت من وقت لآخر أساعده حتى لا تنزلق قدمه ويسقط خلف التل.

واصلنا التقدم حتى قطعنا تقريباً نصف ميل وصرنا قريبين من حافة الهضبة حتى بدأ الرجل الذى كان بالقرب من أبعد جزء فى اليسار يصرخ بصوت عال، كما لو كان فى رعب، صرخة بعد أخرى تأتى من جهته وبدأ الآخرون يجرون فى اتجاهه، قال مورجان وهو يمر من علينا مسرعاً:

- لا يمكن أن يكون قد وجد الكنز، إنها مجرد قمة خالية!!

حين وصلنا البقعة التى حددها الرجل وجدنا شيئاً مختلفاً جداً تحت شجرة الصنوبر الكبيرة والمحاطة بنباتات خضراء زاحفة والتى بدأت عظامها تصعد وجدنا هيكلًا عظمياً مفروداً عليه خرقات بالية من الملابس على الأرض، أعتقد أن قشعريرة ضربت كل واحد فى قلبه من الرجال، قال جورج مارى الذى كان أكثر جرأة واقترب أكثر منه وفحص ملابسه الممزقة:

- كان بحاراً.. هذه ملابس بحار جيد.

قال سيلفر:

- كفى، لن تجد بالطبع هنا مطرئاً أو أسقفاً، أعتقد ذلك، ثم هذه هى الملابس التى يجب أن يرتديها شخص ميت، هذا أمر طبيعى.

ومع اللمة الثانية للهيكل العظمى لا يمكن أن تصدق أن الجسد فى وضع طبيعى ولكن بسبب بعض القوضى مثل عمل بعض الطيور التى تغذت على الجسد وبعض النباتات الزاحفة التى تغطى بقاياها لم يلحظ أحد ذلك، كان الرجل ممدداً بشكل مستقيم وأقدامه تشير فى اتجاه واحد ويداه مرفوعتان فوق رأسه مثل يد غواص وتشير بشكل مباشر فى الاتجاه المعاكس، قال سيلفر ملاحظاً:

- جاءت لدى فكرة من زميلى الأحمق القديم، ها هى البوصلة، مؤشرها يشير إلى جزيرة الهيكل، إنها ثابتة مثل سنة، فقط خنوا هذا الاحتمال بجدية وسوف تأخذون خيوط الحل من تلك العظام.

وبدأنا العمل، كان الجسد يشير بشكل مستقيم فى اتجاه الجزيرة، كانت قراءة البوصلة بشكل وافٍ هى شرق جنوب شرق، قال الطباخ سيلفر:

- أعتقد ذلك، فالمؤشر يشير إلى النجم القطبى وأموال القرصان.

وأضاف محدثاً صوتاً كالرعد:

- إذا لم يجعلنى ذلك بارداً وهادئاً كى أفكر فى فلنت، ستكون تلك واحدة من نكاته ولا خطأ عنده، كان هو والستة رجال بمفردهم هنا وقتلهم جميعاً رجلاً رجلاً، وهذا أحدهم وقد سحبه إلى هنا ووضع فى اتجاه البوصلة، اهتزت أطرافى، كانوا أصحاب عظام طويلة، وكان شعرهم أصفر، أعتقد أن ذلك هو أليرديس، هل تذكر أليرديس يا توم مورجان؟

عاد مورجان للحديث:

- نعم، أتذكره، إنه مدين لى ببعض النقود، إنه لص، صدقونى، وأخذ سكينى معه للشاطئ.

قال آخر:

- حديث السكاكين، لماذا لا نجدها مع الراقد حولنا، لم يعط فلنت البحار أى فرصة لكى يأخذ حافظة نقوده وأخمن أن الطيور قد تتركها.

قال سيلفر:

- تلك حقيقة.

وقال مارى الذى ما زال يشعر بالوار بين العظام:

- لا يوجد شىء هنا، وحتى عملة الدويت الهولندية النحاسية ولا صندوق من الخمر، هذا لا يبدو طبيعياً بالنسبة لى.

وافق سيلفر بإصرار:

- فعلاً غير طبيعى وليس جيداً، هذا وقت البنادق يا رفقاء الموائد، لكن لو كان فلنت على قيد الحياة لصارت تلك بقعة ساخنة لكم ولى، سيكونون ستة ونحن ستة والعظام هو ما سيبقى الآن.

قال مورجان:

- لقد رأيته ميتاً من مناور السفينة، لقد أخذنى بيلى إلى هناك حيث يرقد وبعض النبات على عينيه.

قال أحد الزملاء الذى يضع ضمادة:

- نعم، مات، أمتأكد بدرجة كافية أنه مات ودفن؟ ولكن لو أن الأرواح تسير، ستكون روح فلنت، لكنه يا قلبى العزيز مات، ومات فلنت.

قال آخر:

- هو فعلاً مات، فالآن هو غاضب ومغتاض ويتذمر الآن من أجل شراب الروم، والآن هو يغنى "خمسة عشر رجلاً" حيث كانت أغنيته الوحيدة يا زملاء، سأقول لكم الحقيقة، لم أحب أن أسمعها منذ تلك اللحظة، لقد كان الجو حاراً وبه رياح وكنت أسمع هذه الاغنية القديمة التى تأتى إلينا بوضوح تام، ولكن الموت قد سبق إلى الرجل فعلاً.

قال سيلفر:

- تعال، تعال، أوقف هذا الكلام، إنه مات ولا يتحرك، لقد عرفت ذلك، وعلى أى حال لن يمشى ويسير بالنهار ومن الممكن أن تركز لذلك، فالحرص يقتل صاحبه، هيا للأمام من أجل الدبلون، العملة الإسبانية الذهبية القديمة.

بدأنا بالتأكيد نواصل المسير على الرغم من الشمس الحارة وضوء النهار، لم يعد القراصنة يجرون منفصلين عن بعضهم أو يصيحون خلال الغابة، ولكنهم يسرون جنباً إلى جنب ويتحدثون بنفس هادئ وخافت، ولم لا؟ فرعب القرصان الميت قد سكن نفوسهم.

٣٢- اصطیاد الكنز

- الصوت بین الأشجار -

بسبب تثبیط الهمم- إلى حد ما- من هذا الإنذار ولأن سیلفر والمهرج المریض ومن معه یریدون أن یرتاحوا، جلست كل المجموعة بمجرد أن وصلت إلى حافة الصعود.

كانت الهضبة محددة فی اتجاه الغرب إلى حد ما، توقفنا عند هذه البقعة لبعض الوقت وأمرنا أن ننقب ونبحث بشكل واسع على الجانب الآخر، وافقنا وفوق قمة الشجرة شاهدنا قمة الغابة مهدبة بواسطة الأمواج المتكسرة على الشاطئ، فی الخلف لم نكن ننظر فقط للمرسى الذى تحتنا ولجزيرة الهيكل العظمى، ولكننا رأينا بوضوح عبر تلك البقعة والأرض المنخفضة الشرقية مساحة كبيرة من البحر المفتوح عند الشرق عمودياً فوقنا، كان جبل النظارة المكبرة المنقط بأشجار الصنوبر المنفردة، وحيث حوافه التى تتسم بالقذارة والظلمة، لم يكن هناك أى صوت إلا أصوات تكسير جبلية منتظمة من كل جانب وسقسقة بعض الحشرات التى لا تعد ولا تحصى فی الأشجار، فلا إنسان ولا أى شراع على سطح البحر، وكان اتساع المنظر الطبیعى للبحر یزید الإحساس بالوحدة.

مال سیلفر وهو جالس إلى احتمال مؤكد للبوصلة، وقال:

- توجد ثلاث أشجار من الشجر الطویل تقريباً على یمين جزيرة الهيكل وكتف جبل النظارة المكبرة، أنا مع هذا، ويعنى مؤشر هذه البوصلة أنه یشير لذلك، ولعبة الأطفال التى تؤكّد على شىء تجده الآن، لدى شعور أننى أود أن أتناول العشاء أولاً.

قال مورجان:

- أنا لا أشعر برغبة جامحة فی ذلك، أنا أفكر فی فلنت، أفكر أين كان، هذا ما یشغلنى.

قال سيلفر:

- آه.. حسناً يا بنى، أنت تمدحه، لكنه صار ميتاً الآن.

صاح القرصان الثالث، وهو يهز كتفه:

- إنه كان شيطانياً قبيحاً وكانت القسوة فى وجهه أيضاً.

قال مارى:

- وكان يسيطر شراب الروم عليه، لقد كان فعلاً قاسياً وصارماً، أعتقد أنه كان

كذلك وكلمة قاس كلمة حقيقية.

ومنذ أن وجدوا الهيكل العظمى وحصلوا على تلك القافلة من الأفكار، وهم يتحدثون بشكل منخفض، حتى صار كل حديثهم الآن همساً، لدرجة أن أصواتهم أحياناً تقطع بصعوبة صمت الغابة، وفجأة حدث شىء خرج من منتصف الأشجار التى أمامنا، سمعنا صوتاً رقيقاً مرتعشاً يخترق الهواء المعروف جيداً والكلمات عالياً:

خمسة عشر رجلاً على التابوت،

يو يو يو وزجاجة من شراب الروم.

لم أر رجلاً مؤثراً عليهم بشكل مرعب أكثر من هؤلاء القراصنة، لقد ذهب لون وجوههم جميعاً مثل السحر، قفز بعضهم واقفاً، والبعض أمسك فى البعض الآخر وانبطح مورجان على الأرض، قال ميرى:

- إنه قلنت!!

توقفت الأغنية فجأة كما بدأت، انقطعت تماماً، من الممكن أن تقول - فى ملاحظة لك - إن شخصاً ما قد وضع يده على فم المطرب وهو يغنى، وقد وضع ذلك خلال الطقس المشمس بين قمم الأشجار الخضراء، أعتقد أن الصوت كان رقيقاً ومرحاً لكن تأثيره على أصدقائى كان غريباً، قال سيلفر مكافحاً بشفافيته الرمادية كى يحصل على الكلمة:

- تعالوا، هذا لم يحدث، أجهزوا لكى نتجول، تلك هى بداية شراب الروم المُسكر، لا أستطيع أن أحدد صاحب الصوت، واحتمال أن يكون واحداً يعيش بالليل، شخص ما من لحم ودم ويجب أن تقتنعوا بهذا.

عادت شجاعته إليه مرة أخرى حين تحدث، وعاد إليه بعض من لون وجهه، وبدأ الآخرون يعطونه أذانهم إلى تلك الشجاعة وبدأوا يعيدون إلى أنفسهم قليلاً حين بدأ الصوت مرة أخرى يغنى بشكل متراجع صدها وخافت بين شقوق جبل النظارة المكبرة.

بدأ الصوت ينتحب: "داربى أم جرو" كانت تلك الكلمة التى حددت الصوت وتكررت نفس الكلمة مرات أخرى وبدأت ترتفع أعلى وأعلى بإصرار وسمعنا بعد ذلك، أحضر قرب شراب الروم يا دربى.

ظل القراصنة منغرسين فى الأرض، وعيونهم جاحظة فى رؤوسهم، وبعد أن تلاشى الصوت بكثير، ظلوا مبجلين فى صمت ورعب، قال أحدهم شاهقاً:

- لقد تغير الكلام، دعونا نذهب فوراً.

أن مورجان قائلاً:

- تلك كانت كلماته الأخيرة.. كانت كلماته الأخيرة فوق المركبة.

أخرج ديك الإنجيل وبدأ يصلى بإخلاص، إنه شخص قد تربى جيداً، لقد أحضره معه ديك قبل أن يأتى إلى السفينة ويقع بين هؤلاء الزملاء الأشرار، لم يزل سيلفر لم يقهر بعد واستمعت إلى اصطكاك أسنانه فى رأسه لكنه لم يستسلم بعد، زام سيلفر قائلاً:

- لا أحد فى هذه الجزيرة سمع عن دربى، لا أحد هنا ولكننا نحن أيضاً لم نسمع عنه، وعليه سوف نبذل قصارى جهدنا يا زملاء السفينة، فأننا هنا كى أحصل على كل الممتلكات ولن أهزم من أى إنسان أو شيطان، فلم أخف من فلنت فى حياته وسوف أواجهه ميتاً وبكل قوتي، يوجد سبعمائة ألف جنيه على بعد لا يزيد عن ربع ميل من هنا، فمتى يظهر أحد رجال الكنز الشبان شجاعته وإقدامه لهذه الدولارات الكثيرة التى لا تعد فى مواجهة بحار عجوز سكران بوجه قاس وميت أيضاً؟

وعلى الرغم من ذلك لم توجد أى إشارة لشجاعة طارئة لزملائه أكثر من زيادة الرعب بسبب كلماته المستهترة وغير الموقرة، قال ميرى:

- بلى هناك يا جون، يوجد شجعان، ألا تعبر الجبل؟!

كان الجميع أكثر رعباً لدرجة أنهم لا يستطيعون الرد، جرى كل واحد فى اتجاه بعيداً قدر استطاعته، لكن الخوف جمعهم مرة أخرى وجعلهم ملتصقين ببعض بجوار جون، كما لو أن جرأته ساعدتهم، وكما أنه استطاع من جانبه أن يقاوم ضعفه، قال سيلفر:

- الجبل، حسناً، ربما، لكن يوجد شيء واحد غير واضح لى، يوجد صدى، والآن لا أحد من الرجال رأى أى شبح، حسناً، ترى ماذا يفعل بصدى الصوت له، أحب أن أعرف، أليس ذلك أمراً صعباً.. بالتاكيد؟

كانت تلك المجادلة ضعيفة بالنسبة لى، لكنك لن تستطيع أن تقول ما هو تأثير تلك الخرافة، ولدهشتى كان جورج ميرى مرتاحاً لدرجة كبيرة، قال:

- حسناً، وهو كذلك، أنت تمتلك رأساً فوق أكتافك جون، ولا خطأ، استيقظوا أيها الزملاء، فالطاقم هنا فى الاتجاه الخاطى، أعتقد ذلك وأدعوكم للتفكير فى ذلك، إنه يشبه فقط صوت فلنت، أوافقكم ولكن ليس كما تقولون بالضبط، وبعد كل ذلك إنه يشبه صوت شخص آخر الآن، إنه يشبه..

زأر سيلفر قائلاً:

- بكل تأكيد إنه يشبه بن جن.

صرخ مورجان بعد أن قفز على ركبتيه:

- حسناً.. هو بن جن.

قال ديك:

- أنا لم أفعل أى شيء خطأ أو شيء شاذ حتى الآن، بن جن ليس موجوداً هنا بجسده مثل فلنت تماماً، لكن الأيدي العجوزة حبيت تلك الملاحظة، باختصار.

صرخ ميرى قائلاً:

- لماذا لم يفكر أحد فعلاً فى بن جن إذا كان ميتاً أو على قيد الحياة، لم يفكر أحد فى ذلك.

كان ذلك شيئاً غريباً أن تعود أرواحهم إليهم مرة أخرى، وأن يعود لون وجوههم مرة ثانية، هم الآن يتحدثون ويدردشون معاً، يستمعون لبعضهم، ولم يمر وقت طويل حتى لم يعد يسمعون أى صوت، فحملوا أدواتهم على أكتافهم وبدأوا الرحلة مرة ثانية، كان ميري يسير فى البداية مع بوصلة سيلفر كى يحافظ على الاتجاه الأيمن لسفينة الهيكل العظمى، لقد قال الحقيقة، ميتاً أو حياً لا أحد فكر فى بن جن، كان ديك يحمل إنجيله وينظر حوله كلما ذهب بنظرات مرعبة، لكنه لم يجد أى تعاطف من أحد ودائماً ما يسخر منه سيلفر من حرصه الشديد، قال سيلفر:

- لقد قلت لك من قبل إنك أفسدت إنجيلك ولم يعد صالحاً أن تقسم به.

ثم انتزع أصابعه ووقف للحظة على عكازه، لكن ديك لم يكن مرتاحاً حقاً، كان واضحاً لى أن الفتى قد أصيب بالمرض، فالسرعة مع الحرارة والإنهاك والصدمة والحمى التى تنبأ بها الدكتور ليفزى كان من الواضح أنها تزداد عليه أكثر.

كان السير مفتوحاً هنا فوق القمة، كان طريقنا منحدرًا قليلاً كما قلت، والهضبة كانت تقبع فى الغرب، وأشجار الصنوبر الكبيرة والصغيرة تنمو باتساع فى كل مكان وحتى بين كُتل أشجار جوز الطيب والأزالية المنتشرة على نطاق واسع والمشوية فى حرارة الشمس، والمدهش أننا تقدمنا بالقرب من الشمال الغربى عبر الجزيرة، تسحبنا على الجانب الآخر بالقرب من تحت جوانب جبل النظارة المكبرة، وعلى الناحية الأخرى حيث نظرنا بشكل متسع فوق الخليج الغربى حيث قُذفت وارتعشت أطرافى فى الزورق.

وصلنا إلى أول مجموعة من الأشجار الطويلة، وبالتخمين عرفنا أنها الخطأ، ومع الثانية تكرر نفس الشئ، ومع الثالثة ارتفعنا حوالى ٢٠٠ قدم فى الهواء فوق كتلة من الأشجار والخضروات بها عمود أحمر ضخم مثل كوخ وظل واسعاً حولها ليسمح للصحة أن تتاور وتتحرك.

كان واضحاً أنه بعيد عن البحر من جهة الشرق أو الغرب، وربما يدخل إليه عن طريق علامة الشراع فوق الخريطة.

لم يكن ذلك بالقدر الكبير الذى أثر على زملائى الآن، فقد كانت المعلومات أن سبع مائة ألف جنيه من الذهب ترقد مدفونة تحت ظلها المنتشر، كان التفكير فى المال كلما

اقتربوا يبتلع رعبهم السابق، فقد احترقت عيونهم فى رؤوسهم وصارت أقدامهم أكثر سرعة وخفة عن ذى قبل، وظلت روحهم معلقة بهذا الكنز، وأنهم سوف يقضون حياتهم فى حالة الترف والسعادة التى ظل كل واحد منهم ينتظرها.

كان سيلفر يعرج على عكازه وكانت فتحنا منخاره مفتوحتين ومرتجتين، سب ولعن مثل رجل مجنون حين حط بعض الذباب على وجهه الشمس الساخن، التقطها بغضب من على وجهه، جذبنى ذلك إليه، ومن وقت لآخر كان ينظر إلى نظرة مميتة، بالتأكيد لم يشعر بأى ألم كى يخفى أفكاره، لقد قرأهم مثل طابعة، وحين اقترب من الذهب، كل شيء نُسى تماماً، كان وعده وتحذيرات الدكتور ليفزى شيئاً من الماضى لا أكثر، لم أشك لحظة أنه كان يريد أن يقبض على الكنز، ويجده ويبحر بالسفينة هيسبنيولا تحت جنح الليل ويقطع كل ما يربطه بشأن الجزيرة، ويبحر بعيداً كما نوى أول مرة محملاً بالجرائم والثروات.

كم اهتزت بهذه التنبيهات والتحذيرات لقربنا من الكنز، لم أكن أستطيع أن أساير خطوات صيادى الكنز السريعة، كنت أتعثر من وقت لآخر، وحين ذلك شدنى سيلفر بعنف من الحبل وأطلق على النظرات المميتة، كان يسقط وراعنا ديك، وكان دائماً متأخراً عن الجميع ويثرثر بصلواته ولعناته بسبب الحمى التى بدأت تزداد عليه، وزاد ذلك من تعاستى، كنت محاطاً بأفكار بسبب الفكرة المأساوية التى من الممكن أن توجد على الهضبة، حين مات القرصان الشرير صاحب الوجه الأزرق على حشائش السافانا، وهو يغنى ويصيح من أجل السراب هناك، والذى بيده قتل ستة من تابعيه، فهذا البستان الذى صار أكثر سلاماً سوف يغنى الآن بالصرخات، أعتقد وما زلت أعتقد أنني أسمع، وما زال يرن، نحن الآن على حافة الغابة، صرخ ميرى:

- هو ذا يا زملاء، تعالوا جميعاً.

وتسابق الجميع فى الجرى ناحيته، وفجأة، على بعد لم تزد عن عشر ياردات توقفنا، ارتفعت صرخة منخفضة، زاد سيلفر من سرعته وبدأ يحفر بقدمه الخشبية مثل الأخرى التى يمتلكها، بعد لحظة تالية وصلنا معاً إلى حالة تردد مميتة.

لقد كان قبلنا تنقيب عظيم، ولم يكن جديداً بل قديماً لدرجة أن حواف الحفرة قد سقطت ونبتت بعض النباتات في قاعها، ورأينا فيها مقبضاً لفأس مكسورة إلى نصفين وبعض ألواح مبعثرة من صناديق الشحن متناثرة حولنا، وعلى أحد هذه الألواح رأينا اسماً سفينة فلنت مكتوبة وممهورة بالحديد الساخن مثل ماركة مسجلة.

كل شيء صار واضحاً جداً، يبدو أن المخبأ قد اكتشف وسُرق، لقد ضاعت السبعمئة ألف جنيه هباء.

٣٣- سقوط رئيس العصابة

لم يكن هناك إحساس بالسقوط أكثر من ذلك في العالم كله، فكل واحد من الرجال الستة كأنه مضروب فوق رأسه، لكن الأمر بالنسبة لسيلفر مر بثبات، فكل فكرة من روحه قابلة للأخذ والرد مثل المقامر من أجل المال، قد يكسب وقد يخسر، فقد تربى على ذلك، ففي ثانية واحدة استطاع أن يستعيد رأسه ويسترد حالته المزاجية قبل أن يدرك الآخرون حالة الإحباط التي أصابته، وهمس إلى قائلاً:

- جيم، خذ هذا واستعد لأي مشاكل.

وأعطاني مسدساً بروحين وفي نفس الوقت بدأ يتحرك بهدوء شمالاً ويعد عدة خطوات جعل الحفرة بيننا نحن الاثنين وهم الخمسة، ثم نظر إلى وأوماً وكان يود أن يقول:

- هذا ركن ضيق.

فكرت فيما قال حقاً، فلم تكن نظراته وبودة وكنت ثائراً ومتمرداً لهذه التغيرات المستمرة لدرجة أنني لم أستطع أن أقاوم همسى، وقلت له:

- لقد غيرت مكانك مرة أخرى.

لم يكن لديه أى وقت متبقي لكي يرد على، فالقراصنة الذين يصرخون ويستحلفون بدأوا يقفرون واحداً بعد الآخر إلى الحفرة، وبدأوا يحفرون بأصابعهم ويرمون الألواح الخشبية التي تقابلهم بعيداً قدر استطاعتهم، ووجد مورجان قطعة ذهبية، حملها في يديه بعناية فائقة، كأنها بداية الغيث، كانت قطعة ذهبية إنكليزية تقدر بجنيهين، ومرت تلك القطعة الذهبية من يد لأخرى بينهم جميعاً في خلال ربع دقيقة، زار ميرى قائلاً:

- جنيهان إنكليزيان!!

وهز ميرى الجنيهين فى يده أمام سيلفر، وقال:

- أهذه السبعمئة ألف جنيه، إنك رجل مخادع، أليس كذلك؟ إنك شخص يعمل
أى شىء بلا اتفاق، إنك شخص أخرق برأس خشبية.

قال لهم سيلفر ببرود وعجرفة وسخرية:

- احفروا أيها الأولاد، سوف تجدون بعض ثمار شجر الحقوق أو الجوز
الأمريكى.

رد ميرى صارخاً:

- ثمار شجر الحقوق الأمريكى!! هل سمعتم ذلك أيها الزملاء؟ أقول لكم الآن إن
هذا الرجل يعرف ذلك من وقت بعيد، انظروا لوجهه، ستجدون ذلك مكتوباً عليه.

أبدى سيلفر ملاحظته قائلاً:

- آه.. يا ميرى، ما زلت تحلم أن تكون الكابتن، إنك طموح ومغامر، متأكد
من ذلك.

صار الآن كل واحد مع ما يقوله ميرى تماماً، ويدأوا يصعدون من الحفرة
ويتوقفون عن التنقيب، وثبوا بثبات وتصاحبهم نظرات غاضبة وراهم، شىء واحد
لاحظته كان جيداً بالنسبة لنا، وهو أنهم قد خرجوا من الجانب المقابل لنا.

حسناً، وقد وقفنا نحن الاثنين فى جانب والخمسة رجال من العصاة فى جانب
آخر، وكانت الحفرة بيننا ولم يستجمع أحد منهم أى شجاعة له كى يبدأ أول هجومه
علينا، فلم يتحرك سيلفر، فقد ظل يراقبهم وهو واقف على عكازه، وقد كان بارداً
وشجاعاً ولم يفعل أى خطأ.

بدأ ميرى يفكر فى الكلام الذى من الممكن أن يساعده فى تلك الأحوال، وقال:

- أيها الزملاء، يوجد اثنان بمفردهما هناك، أحدهما أعرج كسيح عجوز أحضرنا
جميعاً وأربكتنا بالحضور إلى هنا، والآخر ثعلب ماكر أتمنى أن أخرج قلبه الآن
يا أصدقاء.

وبدا ميرى يرفع ذراعه وصوته، كان يقصد أن يعطى زملاءه قدراً من الشجاعة، لكن فى هذه اللحظة قد سمع صوت أسلحة نارية:

- كراك، كراك، كراك.

أنارت طلقات ثلاث بنادق خارجة من الدغل، فسقط ميرى برأسه مرة أخرى إلى الحفرة، وسقط الرجل الذى يوجد ضمادة حوله مثل لعبة الخدروف القديمة بكل طوله على جنبه، حيث خر ميتاً، لكنه ما زال يرتعش وينتفض، واستدار الرجال الثلاثة الباقون فارين بما أتو من قوة.

وقبل أن تستطيع أن ترمش بعينيك، كان سيلفر قد أفرغ خزينتين من المسدس فى صدر ميرى المكافح، بينما كان الرجل يحرج عينيه إليه، وهو فى النزاع الأخير لسكرات الموت قال له سيلفر:

- أعتقد يا جورج أننى جعلتك مستقراً ومرتاحاً.

فى نفس اللحظة انضم إلينا الدكتور ليفزى وجراى وين جن بأسلحتهم التى ما زالت تخرج دخانها بين أشجار جوز الطيب، صرخ الدكتور قائلاً:

- للأمام، للأمام، أسرعوا يا فتيان، يجب أن نحول بينهم وبين الوصول للمركبين.

ثم بدأنا الجرى بسرعة كبيرة، كنا أحياناً نغوص خلال الشجيرات حتى صدرنا وكان سيلفر مرهقاً جداً كى يسايرنا فى العمل الذى نقوم به، كان يقفز على عكازه حتى صارت عضلات صدره على وشك الانفجار، وعلى الرغم من ذلك لم يكن أحد من الرجال الأصحاء يساويه وكذلك يعتقد الدكتور، كان سيلفر على بعد ثلاثين ياردة خلفنا وكان على شفا أن يختنق حين وصل إلى حافة المنحدر، وصاح قائلاً:

- دكتور.. انظر هناك، لا تسرعوا!

بالطبع لم يكن هناك أى داع للعجلة والإسراع، فقد كنا فى منطقة مفتوحة كثيراً على الهضبة الربوة، واستطعنا أن نرى الناجين الثلاثة، وهم ما زالوا يجرون فى نفس الاتجاه الذى بدأوا الجرى فيه، يميناً إلى تل ميزن ماست، كنا فعلاً بينهم وبين

القاربين، شعرنا بالراحة، جلسنا نحن الأربعة نأخذ قسطاً من الراحة، بينما كان لونج جون يقف يمسح وجهه ثم جاء إلينا ببطء ثم قال:

- أشكرك من كل قلبي يا دكتور، لقد جئت إلينا فى اللحظة الحاسمة لكى تنقذنى أنا وجيم.

وأضاف قائلاً:

- أأنت بن جن، إنك شخص لطيف بالتأكيد.

فأجاب بن جن وهو يتلوى مثل سمك الجريث فى ارتبائه قائلاً:

- أنا بن جن، بن جن.

وأضاف بعد توقف طويل إلى حد ما قائلاً:

- كيف حالك يا سيلفر، أجيد أنت، متشكر جداً.

صاح سيلفر قائلاً:

- أأنت بن جن، أشكرك على ما فعلت.

ثم أرسل الدكتور ليفزى جراى مرة أخرى كى يحضر أحد المعاول التى تركت فى رحلتهم بواسطة المتمردين، وبينما نحن فى طريقنا إلى التل حيث ترقد المركبتان هناك بدأنا نسمع حكاية كانت مهمة جداً بالنسبة لسيلفر، كان بطلها من البداية للنهاية بن جن الذى ترك بمفرده على الجزيرة.

اكتشف بن جن فى تجواله بمفرده على الجزيرة لمدة طويلة هيكلاً عظيماً، إنه الهيكل الذى قد أخذ ما معه فى ملبسه، لقد اكتشف الكنز وبدأ يحفر بجد (وقد ترك مقبض المعول المكسور فى الحفرة) بدأ يحمل هذا الكنز على ظهره فى رحلات مملة ومتعبة وكئيبة من تحت شجرة الصنوبر الطويلة إلى الكهف الذى وجدته فى الجبل ذى القمتين فى زاوية الاتجاه الشمال الشرقى للجزيرة، وهناك بدأ يخزن هذا الكنز فى أمان منذ شهرين قبل وصول السفينة هيسبنيولا.

وحين انتزع الدكتور ليفزى هذا السر من بن جن وغرفته صباح يوم الهجوم وشاهد فى الصباح التالى المرسى مهجوراً، ذهب إلى سيلفر الحصن وأعطاه الخريطة التى صارت بلا فائدة وأعطاه ما معه من مخزون أيضاً، فقد كان لبن جن كهفاً مملوءاً بلحم الماعز المقدد الذى فعله بنفسه وأعطاه أى شىء وكل شىء حتى يجد الفرصة للتحرك بأمان من الحصن إلى الجبل ذى القمتين، فهناك سيكون المكان خالياً بالطبع من الملاريا وسيكون حارساً على الكنز، وأضاف الدكتور قائلاً:

- وبالنسبة لك يا جيم كان الأمر بالطبع ضد قلبى ولكنى فعلت ما اعتقدت أنه الأحسن لأولئك الذين يقفون كى يؤدوا واجبهم، وإذا لم تكن واحداً من هؤلاء ساعتها، فخطأ من يكون؟!

وجدت نفسى هذا الصباح مشاركاً فى خيبة الأمل المرعبة التى أعدها الدكتور للمتمردين، ظل يجرى طوال الطريق إلى الكهف، فقد كان قد ترك العمدة تريلونى كى يحرس الكابتن، وأخذ جراى وبين جن وبدأ يصنع خطأ مائلاً عبر الجزيرة كى تكون فى متناول يده بجانب أشجار الصنوبر.

وعاجلاً وبرغم أنه رأى جماعتنا قد أخذت البداية منه فى الهجوم على القراصنة، فإنه أرسل بن جن بسرعة فى المقدمة كى يبذل ما فى وسعه بمفرده واستطاع أن يمارس على زملائه القدامى فى السفينة طقوس الخرافة والأساطير، وكان نجاحه لا نظير له حين جعل جراى والدكتور يأتون ويستعدون ويهاجمون من مكنهم قبل وصول صيادو الكنز، قال سيلفر:

- نعم، لقد كنت محظوظاً أن يكون معى جيم هنا، كنت ستترك جون العجوز بمفرده يُقطع إرباً، ولم تعره أى اهتمام يا دكتور.

رد الدكتور ليفزى قائلاً بسعادة:

- ولا فكرة!!

وقبل هذا الوقت كنا قد وصلنا إلى القارين، فدمر الدكتور ليفزى بأحد المعاول أحد القارين وصعدنا جميعاً القارب الآخر وبدأنا رحلتنا فى البحر متجهين صوب خليج الشمال.

كانت الرحلة حوالى ثمانية أو تسعة أميال، ورغم أن سيلفر كان قد قتله التعب والإجهاذ فإنه كان يجلس على أحد المجاديف مثل الباقين، وكنا نسير بخفة ورشاقة وانسيابية فوق البحر المنساب وبعدها عبرنا المضائق وضاعفنا السرعة حتى وصلنا إلى الركن الجنوبي الشرقى للجزيرة، ومنذ أربعة أيام مضت استطعنا أن نقطر ونجر السفينة هيسبنيولا.

وبينما نحن نمر على الجبل ذى القمتين، استطعنا أن نرى الفم الأسود لكهف بن جن وشيء ما يقف بجواره يتكئ على بندقية، إنه كان العمدة تريلونى، لوحنا له بمنديل وهتفنا له ثلاث مرات، وكان صوت سيلفر مميزاً حين كان يهتف من قلبه.

أبحرنا ثلاثة أميال أخرى داخل فم خليج الشمال، لم نقابل فيه إلا السفينة هيسبنيولا، كانت تبخر بنفسها وكان آخر طوفان قد رفعها مع رياح شديدة وتيار مد قوى، حين كنا فى المرسى الجنوبي لم نجد لها بداً ولم نجد لها جانحة للشاطئ طالبة للمساعدة، وعندما وجدناها كان هناك خطأ خلف حطام الشراع الرئيسى، جهزنا هلباً آخر للمرسى أنزلناه كى نقيس العمق وكان لمنتصف الماء، والتفطنا جميعاً حول كهف الروم، وهو أقرب نقطة لمكان الكنز الذى يمتلكه بن جن، ثم عاد جراى بالقارب إلى السفينة هيسبنيولا، حيث اضطررنا لقضاء الليلة فى الحراسة.

كان هناك منحدر لطيف يرتفع من الشاطئ وحتى مدخل الكهف، عند القمة قابلنا العمدة تريلونى، كان بالنسبة لى ودوداً وطيباً ولم يقل شيئاً عن هروبى باللوم أو المدح، وكان حميماً بالنسبة لتحية سيلفر المؤدبة، قال:

- جون سيلفر، أنت وغد وشريير مذهل.. دجال، دجال رهيب يا سيد سيلفر، أنا أقول لك ولا أحاكمك ولن أحاكمك، لكن الرجال الأموات يا سيد سيلفر سوف يظلون معلقين فى رقبتك مثل أحجار الطاحونة.

أجاب جون وهو يحييه:

- أشكرك جداً بكل ود يا سيدى.

صرخ العمدة قائلاً:

- لا أريد أن تشكرنى، إن هذا إهمال جسيم لواجبى، قف فى الخلف.

وعند ذلك، دخلنا جميعاً الكهف الذى كان واسعاً ومهوّياً وبه عين ماء صغيرة وبركة من الماء الرائق والأرضية من الرمال، وكان يرقد الكابتن سموليت قبل راكية كبيرة من النار فى ركن بعيد، كانت تومض فى الظلام بلهب مشتعل، شامت أكواماً عظيمة من العملات وأرباعاً صنّعت من سبائك الذهب، إنه كنز قلنت الذى جئنا كي نبحث عنه والذى تكلف حياة حوالى ١٧ رجلاً من رجال السفينة هيسبنيولا، فكف ذلك من دم وحزن، وكف سفينة غرقت فى القاع بسبب ذلك، وكف من رجال شجعان ساروا على الأمواج الخشبية معصوبى العينين من أجل ذلك، وكف من طلقات مدافع أطلقت، وكف من عار وأكاذيب وقسوة حدثت، ربما لا نجد رجلاً على قيد الحياة يحكى لنا تلك المأسى باستثناء ثلاثة ما زالوا على قيد الحياة، سيلفر، ومورجان العجوز وبين جن الذى أخذ نصيبه من هذه الجرائم كما كان يأمل كل واحد أن يشارك فى الحصول على هذا الكنز بلا جدوى، قال الكابتن سموليت:

- تعال يا جيم، أنت ولد جيد جداً لم أكن أعتقد أن أذهب أنا وأنت إلى البحر مرة ثانية، فأنت من أفضل المخلوقات إلى، أما أنت يا جون ما الذى أحضرك إلى هنا يا رجل؟!

عاود سيلفر قائلاً:

- قف إلى جانبى يا سيدى.

لم يقل الكابتن شيئاً أكثر من كلمة:

- آه!!

يا له من عشاء هذا الذى تناولته هذا المساء مع الأصدقاء الذين يحيطون بى، يا لها من وجبة تلك التى أعدها بن جن من لحم الماعز المملح، فقد كانت شهية جداً مع زجاجة من الخمر المعتقد من السفينة هيسبنيولا، لم أكن أستطيع أن أقدر حالة المرح والسعادة التى عليها الرجال.

وكان سيلفر جالساً فى المؤخرة تقريباً بعيداً عن راكية النار يأكل بشهية ويقفز للأمام حين يود أى شىء وكان يشارك بهدوء فى هزارنا، كان نفس البحار الرقيق المؤذب، المجامل لرحلة بحرية انتهت.

٣٤- الختام

حين حان صباح اليوم التالى، بدأنا العمل مبكراً فى نقل كميات كبيرة من الذهب لمسافة ميل عن طريق البر إلى الشاطئ وثلاثة أميال بالقارب إلى السفينة هيسبنيولا، وكانت تلك مهمة ليست سهلة لعدد قليل من العمال، كان الزملاء الثلاثة الفارون ما زالوا على ظهر الجزيرة لا يضايقوننا أبداً، مجرد حارس واحد فوق كتف الجبل كان كافياً لى يضمن لنا ويكشف أى هجوم مفاجئ علينا من قبلهم، وكنا متاكدين أنهم كم عانوا كثيراً من القتال وأنهم لن يهاجمونا.

كان العمل يسير بخفة ورشاقة، فقد كان جرائى وين جن يذهبان بالقارب، بينما الباقون يكومون الذهب على الشاطئ أثناء غيابهم، اثنان من السبائك كانتا متدليتين فى نهاية حبل، كانت حملاً سعيداً بالنسبة للشاب اليافع، وكان سعيداً أن يسير ببطء بهما، أما بالنسبة للورى لم أكن معتاداً أن أحمل شيئاً ولكننى كنت مشغولاً طوال اليوم فى تعبئة كل النقود فى أجولة فى الكهف.

لقد كانت مجموعة غريبة من النقود، مثل ذخيرة ببلى بونز المتنوعة من العملات ولكنها أكثر تنوعاً لدرجة أننى اعتقدت أننى لن أجد أى سعادة فى فرزها وتصنيفها، لقد كانت إنجليزية وفرنسية وإسبانية وبرتغالية وجنيهات تنتمى للملك جورج ولويس والابلون وجنيهات إنكليزية وعملة المويدور البرتغالية الذهبية والسكوين الإيطالية الذهبية، كانت عليها صور لكل ملوك أوروبا فى آخر مائة عام، وقطع شرقية مطبوع عليها ما يشبه خصلات من الخيوط، وقطع من شبك العنكبوت، وقطع دائرية وقطع رباعية الشكل وقطع مثقوبة من الوسط وكأنك سوف ترتديها حول رقبتك، تقريباً كل أنواع العملة الموجودة فى العالم، أعتقد أننى وجدت مكاناً فى هذه المجموعة وبالنسبة

للعدد كنت متأكداً أنها كثيرة مثل أوراق الخريف، ولم لا؟! فالموت والمال ينتميان لشيء واحد، لذا ظهرى أوجعنى من كثرة الانحناء، وأصابعى أوجعتنى من كثرة فرز وتصنيف تلك العملات.



كنت مشغولاً طوال النهار فى الكهف أضغ النقود المسكوكة فى أجولة الخبز

ويوماً بعد يوم كان يسير العمل ويستمر، وكل مساء كنا نخبئ المزيد من الكنز على ظهر السفينة ونجد المزيد منه كى ينتظر أن نخبأه فى الصباح، وطوال تلك الفترة لم نسمع شيئاً عن الناجين الثلاثة الذين فروا أخيراً، أعتقد أن ذلك حدث فى الليلة الثالثة، حين كنت أتنقل مع الدكتور على كتف الجبل الذى كان يطل على الأرض المنخفضة للجزيرة، حين جاءنا من الظلام الدامس تحتنا وأحضرت لنا الرياح ضوضاء كانت ما بين الصياح والغناء، كان مجرد نزاع وصل لأذاننا ثم عاود حالة الصمت السابقة، قال الدكتور:

- الله يسامحهم، إنهم المتمردون.

ضربنا صوت سيلفر من خلفنا قائلاً:

- الكل شارب يا سيدى.

إنه سيلفر الذى سمح له بالحرية الكاملة، وعلى الرغم من الرفض اليومى له فإنه ينظر لنفسه على أنه شخص مستقل وودود ومتميز حقاً، كان الملاحظ أنه يحاول أن يجد لنفسه مكاناً بأدبه الحميم واستمراره الدائم فى محاولات التواصل ببراعة مع الجميع، ومع ذلك لا أعتقد أن أحداً عامله أفضل من كلب ما عدا بن جن الذى ما زال خائفاً من ضابطه وسيده، وبالنسبة لى ما زلت أحمل له فى نفسى شيئاً من الشكر لأجل ما فعله معى، وعلى الرغم من تلك الحالة فإنبنى ما زال لدى سبب أن أفكر فيه أسوأ من أى شخص آخر، لأننى قد رأيته يفكر ويتأمل غدر جديد فوق الربوة، على أى حال لقد كان رد الدكتور عليه خشناً، فقال:

- مخمورون أم هذيانون.

أجاب سيلفر قائلاً:

- عندك حق يا سيدى، احتمال أن تكون خلاقات بسيطة بينهم، بالنسبة لك أو لى.

رد الدكتور ليفزى بسخرية قائلاً:

- أعتقد أنك سوف تطلب منى أن أدعوك إنساناً طيباً، لذا ربما تدهشك مشاعرى يا سيد سيلفر، ولكن إذا تأكدت أنهم يهزون أو أن أحداً منهم مصاب بالحمى، سوف أغادر هذا المعسكر إليهم وسوف أخاطر بنفسى وأساعدهم قدر ما تمكننى مهاراتى وقدرتى لفعل ذلك.

قال سيلفر مقدراً ذلك:

- معذرة يا سيدي، سوف تكون مخطئاً لو فعلت سوف تفقد حياتك الثمينة لو قررت ذلك، أنا معك الآن، يدى بيدك ولا يجب أن أتمنى أن أرى جماعتى ضعفت، دع نفسك بحالها، أرى كما أعترف أننى مدين لك، إن هؤلاء الرجال الذين هناك أسفل لا كلمة لهم أبداً، لا تعتقد أنهم أبداً يرغبون ذلك، وأكثر ما عندهم أنهم لن يصدقوا كما أنت تصدق.

قال الدكتور:

- لا.. أنت الرجل الذى يحفظ كلمته ونحن نعرف ذلك.

حسناً، وعن آخر أخبار القراصنة الثلاثة، سمعنا صوت طلق نارى خارجاً من المنطقة التى هم بها، اعتقدنا أنهم تم اصطيادهم، عقدنا مجلسنا وقررنا أننا يجب أن نتركهم على ظهر الجزيرة، عمت حالة من الفرح الجميع وكان بن جن الأكثر استحياساً للأمر عن جرائى، تركنا لهم مخزوناً كبيراً من الذخيرة والطلقات وكميات من لحم الماعز المملح، وبعض الأدوية الكافية وبعض الضروريات والأدوات والملابس وشراعا احتياطيا وهلبا وبكرتين من الحبال وهدية جديدة من التبغ كما أراد الدكتور.

وكان ذلك آخر شيء قمنا به على الجزيرة، وقد كنا قبلها قد خبأنا الكنز على السفينة وملأناها بالماء الكافى وما تبقى من لحم الماعز المملح خشية من أى محنة.

وأخيراً فى أحد الصباحات المعتدلة الجيدة، رفعنا المرساة استعداداً للرحيل، وكان الأمر فى مقدرتنا تماماً وبدأنا فى اتجاه خليج الشمال، كنا نرفع على السفينة نفس الأعلام التى حارب تحتها الكابتن ورفعناها حين كنا فى الحصن ضد المتمردين.

كان الزملاء الثلاثة متاكدين أننا نقرب منهم أكثر مما نحن نعتقد ذلك وتأكد لنا ذلك بعدها، ولكى نمر من خلال المضائق اضطررنا أن نكون قريبين جداً من النقطة الجنوبية، وهناك رأينا الثلاثة يركعون معاً فى بقعة من الرمال ويرفعون أيديهم ويتوسلون لنا أن نأخذهم، ورغم أن ذلك مس قلوبنا جميعاً أن نتركهم فى هذه الحالة البائسة،

لكننا لم نستطع أن نغامر بتمرد آخر يعرضنا للخطر ورأينا أننا لو أخذناهم معنا فسوف نأخذهم أيضاً إلى المشنقة وسيكون ذلك نوعاً من الرحمة القاسية، فالأفضل أن نتركهم.

ونادى عليهم الدكتور ليفزى وأخبرهم عن المؤن التى تركناها لهم وأين سيجدونها، ولكنهم ظلوا يناون علينا بأسمائنا ويناشدوننا باسم الرب والرحمة ألا نتركهم يموتون فى هذا المكان، أخيراً بدأت السفينة تشق طريقها وبدأنا نبعد عن مرمى السمع للزملاء الثلاثة لكن واحداً منهم لم أستطع أن أتعرف عليه قفز على قدميه وصرخ صرخة فظة وأستل بندقيته من على كتفه وأرسل طلقة صفرت فوق رأس سيلفر واخترقت الشراع الرئيسى.

ظللنا بعد ذلك تحت غطاء من جانب السفينة، وحين نظرت مرة أخرى كانوا قد اختفوا من تلك البقعة والبقعة ذاتها قد ذابت من مرمى الرؤية تماماً كلما بعدت المسافة وكان ذلك نهاية الأمر، وقبل الظهيرة كان فرحى بلا حدود حين رأيت أن الصخرة العالية لجزيرة الكنز قد اختفت تماماً وغرقت فى دوامات البحر الأزرق، لقد كنا رجالاً منهمكين جداً لدرجة أن كل واحد منا كان يقدم يد المساعدة، فقط الكابتن الوحيد الذى يرقد على فراشه فى مؤخرة السفينة ويعطى أوامره، من أجل شفافئه التام كان ما زال يرغب فى الهدوء.

وجهنا السفينة إلى أقرب ميناء فى أمريكا الإسبانية، فلم نكن نستطيع أن نغامر بالتوجه للوطن بدون إمدادات جديدة ومن أجل ذلك ظللنا صامدين إلى ما بعد العاصفة والنوات الجديدة حتى وصلنا إلى الميناء.

لقد جاء المساء حين وصلنا إلى الميناء، فنثرنا المرساة فى الخليج المغلق الأكثر جمالاً فى هذا المكان، أحاطنا فى الحال عدد من قوارب الشاطئ المملوءة بالزنوج والهنود المكسيكيين والملونين الذين يبيعون الفواكة والخضروات ويعرضون أن يغطسوا مقابل بعض قطع المال، شاهدنا كثيراً من الوجوه الظريفة خاصة الزنوج وتوقنا الفواكه الاستوائية وفوق كل ذلك بدأت الأنوار تشرق فى المدينة، فجعلت هذا النور يتناقض مع الإقامة الدامية المظلمة على الجزيرة.

أخذنى الدكتور ليفزى والعمدة تريلونى معهما، تنزهنا على الشاطئ حتى مر جزء من الليل، هنا قابلنا رياناً ومقاتلاً إنجليزياً، تحدثنا معه، ذهبنا على ظهر سفينته وباختصار قضينا وقتاً لطيفاً، كان هذا اليوم إجازة ممتعة تذكرونها حين ذهبنا إلى جانب السفينة هيسبنيولا.

كان بن جن على سطح المركب، وبمجرد أن وصلنا إلى سطح السفينة، بدأ يجعلنا نعترف بما حدث مستخدماً قدرته العالية على لىّ قسمت وجهه وجسده، كان سيلفر قد ذهب، تواطى بن جن على هروبه من السفينة على متن قارب شاطئ من عدة ساعات مضت، وأكد لنا بن جن أنه فعل ذلك من أجل الحفاظ على أرواحنا التى من الممكن أن تفقد فى ظل وجود رجل بقدم واحدة يوجد بيننا على ظهر السفينة.

ولم يكن ذلك كل ما حدث، فلم يهرب طبياخ البحر - سيلفر - خالى الوفاض فقد قطع الحاجز غير المراقب وحرك واحداً من أجولة العملة التى تقدر بثلاث أو أربع مئات من الجنيهات الإنجليزية كى تساعده فى تجواله الطويل، كنا سعداء جداً لهذا الهروب الرخيص لسيلفر.

حسناً، ولكى نقصر الرحلة الطويلة، حصلنا على بعض المساعدات القليلة الكافية من البعض، لذا كانت رحلة بحرية جيدة للعودة للوطن، ووصلت السفينة هيسبنيولا إلى ميناء بريستول بينما كان السيد براندلى يبدأ فى التجهيز لإعداد قارب آخر صغير مرافق لها، فقد عاد مع السفينة فقط خمسة رجال من الذين أبحروا معها، والذين شربوا الخمر ولعب الشيطان بالباقي منهم، كانت روح الانتقام والتأثر وعلى الرغم من ذلك والتأكيد لم نكن أسوأ حالاً من أولئك الذين كانوا على السفينة الأخرى ويغنون قائلين:

ظل واحد من طاقمها على قيد الحياة

بينما أرسل للبحر واحداً وسبعين رجلاً

امتلك كل واحد منا نصيباً وافراً من الكنز واستخدمه بحكمة أو بغباء طبقاً لطبيعته، تقاعد الآن الكابتن سموليت من عمل البحر، ولم يدخر جراى نقوده فقط ولكنه أصيب بأفة أن يزود هذا المال، بدأ يدرس مهنته تماماً، صار الآن زميلاً وصاحباً مشاركاً لعدد من السفن الشراعية وتزوج بالإضافة لذلك، وصار رباً لعائلة، وبالنسبة

لبن جن فقد حصل على ألف جنيه أنفقها أو قل أضاعها فى ثلاثة أسابيع، ولكى نكون أكثر دقة فى ١٩ يوماً فقط وعاد مرة أخرى للتسول فى اليوم العشرين وأعطى كوخاً كى يعيش فيه وهو ما زال بالطبع خائفاً كما كان على ظهر الجزيرة، ما زال يعيش مع أطفال القرية ومع مطرب فذ فى كنيسة أيام الاحاد وأيام القديسين وهذا أفضل شىء لديه رغم أنه يصيبه بعض السخرية من الآخرين.

وبالنسبة لسيلفر، لم نعد نسمع عنه أى شىء، فهذا البحار الصعب صاحب القدم الواحدة قد خرج أخيراً نظيفاً من حياتى، لكنى أستطيع أن أقول إنه ربما قابل امرأته الزنجية العجوز وربما يعيش فى راحة معها ومع الكابتن فلنت، لقد كان يأمل هذا وأعتقد أن فرصه للراحة فى عالم آخر قليلة جداً.

ما زالت سبائك الفضة والأسلحة مدفونة فى الجزيرة وأنا أعرف كل ذلك وأين دفنها الكابتن فلنت، وبالتأكيد هم ما زالوا راقدين هناك لأجلى، لكن الثيران والأحبال القوية لن تستطيع أن تجررنى إلى هناك ثانية، إلى تلك الجزيرة الملعونة، حيث أسوأ أحلام رأيتها فى حياتى حين كنت أسمع زعيق الأمواج على السواحل فأذهب واقفاً من فراشى على صوت حاد للكابتن فلنت، ما زال يرن فى أذنى حتى الآن وهو يقول:

قطع الثمانية، قطع الثمانية.

مراجع

- Bell, Ian. *Dreams of Exile: Robert Louis Stevenson, a Biography*. New York: Henry Holt, 1993.
- Calder, Jenni. *Robert Louis Stevenson: A Life Study*. New York: Oxford University Press, 1980.
- Calder, Jenni, ed. *Stevenson and Victorian Scotland*. Edinburgh: Edinburgh University Press, 1981.
- Daiches, David. *Robert Louis Stevenson and His World*. London: Thames and Hudson, 1973.
- Mackay, Margaret. *The Violent Friend: The Story of Mrs. Robert Louis Stevenson, 1840-1914*. Garden City, NY: Doubleday, 1968.
- Maixner, Paul, ed. *Robert Louis Stevenson: The Critical Heritage*. London: Routledge and Kegan Paul, 1981.
- McLynn, Frank. *Robert Louis Stevenson: A Biography*. New York: Random House, 1994.
- Pope-Hennessy, James. *Robert Louis Stevenson*. New York: Simon and Schuster, 1974.
- Eigner, Edwin M. *Robert Louis Stevenson and Romantic Tradition*. Princeton, NJ: Princeton University Press, 1966.
- Frye, Northrop. *Anatomy of Criticism: Four Essays*. Princeton, NJ: Princeton University Press, 1957.
- James, Henry. "The Art of Fiction." 1884. In *The House of Fiction: Essays on the Novel*, edited and with an introduction by Leon Edel. London: Rupert Hart-Davis, 1957.
- . "Robert Louis Stevenson." 1887. In *The House of Fiction: Essays on the Novel*, edited and with an introduction by Leon Edel. London: Rupert Hart-Davis, 1957.

- Kiely, Robert. *Robert Louis Stevenson and the Fiction of Adventure*. Cambridge, MA: Harvard University Press, 1964.
- Smith, Janet Adam, ed. *Henry James and Robert Louis Stevenson: A Record of Friendship and Criticism*. London: Rupert Hart-Davis, 1948.
- Swinnerton, Frank. *R. L. Stevenson: A Critical Study*. New York: George H. Doran, 1923. Swinnerton was shrewdly critical of RLS, causing *Treasure Island* to be panned when it appeared; hence this is an important historical document.
- Defoe, Daniel. *A General History of the Pyrates*. 1724. Edited by Manuel Schonhorn. Mineola, NY: Dover, 1999.
- Dow, George Francis, and John Henry Edmonds. *The Pirates of the New England Coast, 1630–1730*. 1923. New York: Dover, 1996.
- Ritchie, Robert C. *Captain Kidd and the War against the Pirates*. Cambridge, MA: Harvard University Press, 1986.
- Stevenson, Fanny. *The Cruise of the "Janet Nichol" among the South Sea Islands: A Diary*. London: Chatto and Windus, 1915.

- Stevenson, Robert Louis. *The Complete Stories of Robert Louis Stevenson*. Edited and with an introduction by Barry Menikoff. New York: Modern Library, 2002.
- . *The Lantern-Bearers and Other Essays*. Edited by Jeremy Treglown. London: Chatto and Windus, 1988. Includes the essays "Walt Whitman," "A Gossip on Romance," "A Humble Remonstrance," and "My First Book—*Treasure Island*."
- . *The Letters of Robert Louis Stevenson*. Edited by Bradford A. Booth and Ernest Mehew. 8 vols. New Haven, CT: Yale University Press, 1994–1995.

المؤلف فى سطور :

روبرت لويس استيفنسون

روائى وشاعر وكاتب مقالات وأحد أبرع كتاب أدب الرحلات فى العالم، ولد فى ١٣ نوفمبر عام ١٨٥٠، وتوفى فى ٢ ديسمبر عام ١٨٩٤، أشاد به عدد من الكتاب العالميين الذين عاصروه، مثل لويس بورخيس وهمنجواى ودانيال دافو وفلامير نابكوف.

ولد روبرت لويس استيفنسون فى مدينة أديرة بإسكتلندا لأب يعمل مهندساً فى أنهار وموانئ إسكتلندا وكان يحلم أن يكمل ابنه فى الوظيفة التى يعمل بها لكن الابن التحق بكلية القانون، وبعد أن تخرج لم يجد فى نفسه القدرة والحماس للعمل بالقانون، لأنه اكتشف فى نفسه موهبة الكتابة ووجد تشجيعاً كبيراً من العائلة والأصدقاء الذين كانوا يتعاطفون معه ربما لمرضه الدائم بالسل الذى لم يمنعه من حياة حافلة وغزيرة بالإنتاج الأدبى والشعرى والفكرى الذين كان بحق كنزاً للبشرية.

بدأ حياته الأدبية بأدب الرحلات الذى ولد فى رحم المعاناة فى أسفاره ورحلاته فى المناطق الدافئة بعيداً عن أزمات مرض السل فى المناطق الباردة، فأصدر كتابه الأول "رحلات داخلية" عام ١٨٧٨، و"رحلات مع حمار" عام ١٨٧٩، وتوالى أعماله المبدعة التى حققت له شهرة واسعة بعد زواجه من الأمريكية فانون أوسبورين التى أحبته وبدأت معه حياتها بعد أن طلقت من زوجها. أصدر فى تلك الفترة روايته الغذة "جزيرة الكنز" التى حققت له شهرة عالمية واسعة، كما أصدر رواية المخطوف فى عام ١٨٨٦، والسهم الأسود عام ١٨٨٨، وكاتريون والطيب جيكل ومستر هايد وحديقة الأشجار.

بدأ روبرت استيفنسون فى عام ١٨٨٨ رحلته وعائلته على ظهر يخت استأجره من سان فرانسيسكو إلى جزر جنوب المحيط الهادى، وقد استغرقت أربعة أشهر،

زار خلالها ٢٢ جزيرة، وكانت ثمرة تلك الرحلة كتابة المهم "حاشية للتاريخ" ١٨٩٢، وكتاب "البحار الجنوبية" وصارت جزيرة ساموا وطنه الدائم الذي عاش فيها منذ عام ١٨٩٠، ومات فيها أيضاً عام ١٨٩٤ ودفن على قمة جبل فيبيها.

وأخيراً.. لم يكن يحلم الشاب روبرت لويس استيفنسون المولود في أدينبوره عام ١٨٥٠ الذي ذهب لقضاء إجازة في جبال إسكتلندا أنه سيكتب عملاً يظل في نفوس الصغار والشباب والكبار لعدة قرون ويتحول إلى العشرات من الأعمال الدرامية في السينما العالمية والتليفزيونية والمسرحية والموسيقية، ويصير رمزاً للأعمال التي تتناول المغامرات وأعمال القرصنة وحياة نوعية معينة ممن يركبون البحر. لم يكن يحلم أن شخصياته التي نحت بعضهم ممن يحيطون به سوف تطول أعمارها كل هذه القرون وأنها ستكون أطول عمراً منه.

المترجم فى سطور :

محمد عبد الحافظ ناصف

كاتب مسرحى وكاتب أطفال وقاص وسيناريست ومترجم، ولد فى مدينة المحلة الكبرى عام ٦٧، حصل على عدد كبير من الجوائز المصرية والعربية فى المسرح والقصة القصيرة وأدب الأطفال والدراسات الأدبية ودراما الطفل، منها جائزة محمد تيمور فى المسرح لثلاث دورات والتأليف المسرحى من المجلس الأعلى للثقافة لثلاث دورات أيضاً، وجائزة محمود تيمور فى القصة القصيرة، وجائزة يوسف السباعى فى النقد، والجائزة الذهبية فى مهرجان الإذاعة والتليفزيون عام ٢٠١٠ عن مسلسل "حكايات رمضان أبو صيام" كأحسن عمل درامى للأطفال.

عضو اتحاد الكتاب ونقابة المهن التمثيلية وأتيلية القاهرة ونادى القصة وجمعية الأدباء ونقابة المعلمين، وعمل رئيساً لإقليمى شرق الدلتا الثقافى والقاهرة الكبرى وشمال الصعيد، وعضو لجنة ثقافة الطفل بالمجلس الأعلى للثقافة وعمل نائباً ورئيساً للهيئة العامة لقصور الثقافة.

صدر له العديد من كتب الأطفال فى مجال القصة والرواية ومسرح الطفل والترجمة من عدد من دور النشر المصرية والعربية العامة والخاصة منها، الفارويكة ومقاع خالية، ومن حكايات البنت المسافرة (قصص قصيرة) وطلوع النهار أول الليل ووداعا قرطبة والفلكات وأرض الله وحضرة صاحب البطاقة والنهر ومصر إيجار جديد (مسرحيات) وحارة الموناليزا، وحرف النون يبتسم، وابتسامة القمر، مينا أمير الحياة، وأبو الهول معبد الأسرار، وأحلام النهار، وساعة الغابة، وسجين الهاء والواو، رقصة الفران الأخيرة، وعلقة تقوت، وأغنية الشمس، وساعتى تكذب (أدب طفل).

قدم له التلفزيون المصرى مسلسلين هما: حارة الموناليزا، وحكايات رمضان أبو صيام،
وقدم له المسرح المصرى عدداً من المسرحيات على خشبات المسرح القومى والهناجر
وقصور الثقافة والجامعة والتربية والتعليم والشباب والرياضة.

ومن ترجماته القناع الذهبى، والعنكب، وحكاية فنان، وحكايات لونها أبيض
وليس هذا كل شىء، والثعلب على الصندوق، وعالياً تصعد العنزة، واذهبى بعيداً يا بيكا
وحكايات لونها أبيض.

التصحيح اللغوى: مدحت إبراهيم
الإشراف الفنى: حسن كامل

